أبو الفرَج الأصْبهَاني
وكتابه الأغاني

دراسة وتحليل لأزهى العصور الإسلامية

بقلم
محمد عبد الجَوَاد الأصمعي
بدار الكتب المصرية

ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة

كان أبو الفرج الأصبهانىّ زعيم الأدباء فى عصره ، وتصانيفه من أحسن التصانيف فى فنها لأنه أجاد فيها وأبدع ، وكتبها بلغته السامية ومادّته الواسعة ، لذا كانت كتبه المثل السائر بين المؤلفات .

ومن أجلّ مؤلفاته نفعاً ، وأكثرها فائدة « كتاب الأغانى » الذى كتب له الرواج والانتشار فى جميع العصور الإسلامية ، ولم ينل كتاب غيره مثل ما نال من الشهرة والذيوع ، وانتفع به كل مؤلف وأديب وشاعر وناثر على اختلاف العصور ، لأسلوبه السهل الممتنع فى الكتابة ، وحسن ذوقه العالى الشفاف فى الاختيار .

فجدير بنا أن نضع لأبى الفرج الأصبهانى وكتابه الأغانى الذى يعدّ من مفاخر الفكر العربى كتاباً خاصًّا نحلل فيه شخصيته البارزة ، وآثاره الخالدة ، وآراء العلماء — قديمها وحديثها — لتكون مرآة لجليل قدر هذا العالم المفكر ، والعبقرىّ الفذّ .

لذا نقترح تخليداً لذكرى اسم هذا الأديب الكبير والكاتب المبدع الذى انتفع من كتابه الأغانى كبار أدباء هذا العصر وشعراؤه وكتابه إطلاق

اسمه مشفوعاً باسم كتابه الأغانى على شارع موصل إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد بالقاهرة ، وشقيقتها جامعة فاروق بالإسكندرية ، وإنشاء كرسيين بهما يحملان اسمه ومؤلفه أيضا تقديراً لهما .

فالأغانى مفخرة لغة العرب لو اقتصر متأدب عليه لجاء منه أوّل أديب وأجلّ كاتب ، لأنه يظفر فيه بأدقّ الشعر . وأجزل الخطب . وأرق الأسلوب إلى ما فيه من أخبار وطرف وسير ومجالس وبدائع .

ولنا كبير الرجاء فى زعيم أدباء هذا العصر وكبير كتابه حضرة صاحب المعالى العالم الجليل والمفكر الكبير الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف فى تحقيق هذا الاقتراح والعمل على تنفيذه فى أسرع وقت لأن كتاب الأغانى كان سلوته الوحيدة فى إحدى رحلاته إلى أوربا كما فصلناه فى هذا الكتاب .

ولما كان كتاب الأغانى يعدّ من مفاخر أمهات المصادر العربية التى يرجع إليها أهل البحث والتحقيق ، وأصبح الآن متداولا فى أيدى العلماء والأدباء والفضلاء من عرب وعجم وإفرنج يجدر بنا فى هذه المقدمة أن نبين أول ظهوره فى عالم المطبوعات لقرّاء العربية :

أول ظهور كتاب الأغانى فى عالم المطبوعات :

أوّل ظهور كتاب الأغانى فى عالم المطبوعات وتداول العلماء الأخصّاء له من قرّاء العربية هو الجزء الأول ، فقد طبع بمدينة جوبييز فولد سنة ١٨٤٠ م ومعه ترجمته باللغة اللاتينية للعلامة المسيو روز جارتن وكلّ كلماته مضبوطة بالشكل الكامل . وينتهى إلى أثناء أخبار (ابن محرز ونسبه) ويقع القسم العربى من هذا الجزء فى ٢٣٨ صفحة من حجم كتاب الأغانى . وآخر صفحة فيه تتفق مع صفحة ١٥٢ من الجزء المطبوع بمطبعة بولاق ، وصفحة

٣٨٢ من الجزء المطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية . وكان لا يعلم طبع هذا الجزء إلا الأخصاء من قراء العربية والعلماء الباحثين .

ثم طبع كتاب الأغانى بعد هذا على ما يعلم الجميع بمدينة القاهرة فى عشرين جزءاً بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) وقد أكمله المستشرق (رودلف برونو) بطبعه الجزء الحادى والعشرين منه فى سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) .

وقد ثبت بعد البحث والتحقيق أن هذا الجزء ليس من تجزئة المؤلف ، بل هو زيادات عثر عليها العلامة المستشرق المذكور فى عدة نسخ مخطوطة محفوظة بمكتبات برلين وغيرها عند مراجعته نسخة طبعة بولاق على هذه الأصول المخطوطة فجمعها وجعلها فى جزء واحد سماه بالجزء الحادى والعشرين .

وجدير بالعلماء المشتغلين بتحقيق الأجزاء التى ستطبع من هذا الكتاب توزيع هذا الجزء فى أماكنه من هذه الأجزاء لا سيما أن الأصول المخطوطة المحفوظة بمكتبات برلين وغيرها هى الآن من المراجع التى يعتمدون عليها .

ويجب أن ينبه عند أول زيادة توضع بعد حصرها بين قوسين مربعين بأنها من الجزء الحادى والعشرين المطبوع بمدينة كذا ومنقولة من نسخة كذا . وبهذا يصبح الكتاب فى عشرين جزءاً حسب تجزئة المؤلف .

ويتضح من هذا أن الأصل الذى طبع عليه فى مطبعة بولاق كان ناقصا أو مخروماً بدليل وجود هذه الزيادات فى هذه النسخ المخطوطة .

وتكفل بعد ذلك العلامة جويدى الطليانى ونفرٌ من أفاضل المستشرقين بعمل فهارس هجائية وافية لهذا الكتاب النفيس طبعوها باللغة الفرنسية فى مجلد ضخم على حدته بمدينة ليدن سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) وهو يشتمل على أربعة فهارس : الأول فى أسماء الشعراء ، والثانى فى القوافى ، والثالث

فى أسماء الرجال والنساء والقبائل وغيرها ، والرابع فى أسماء الأمكنة والجبال والمياه .

أما الطبعة الثانية فقد قام بطبعها فى القاهرة الحاجّ محمد أفندى الساسى ، وأضاف إليها الجزء الحادى والعشرين أيضا مع ترجمة الفهارس التى وضعها العلماء المستشرقون ، ولكن مع الأسف الشديد لم تطبق أرقامها على هذه الطبعة فجاءت كلها مغلوطة لأنها لا تتفق إلا مع طبعة بلاق فقط .

أثرنا العلمىّ فى خدمة كتاب الأغانى :

أما أثرنا العلمى فى خدمة هذا الكتاب فيتلخص فيما يلى :

(أولا) : كان إمام أئمة اللغة العربية فى عصره العلامة المرحوم الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطى صحح نسخته الخاصة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٤٤ أدب ش) ضمن كتبه المودعة بها ، وبذل جهد المستطاع فى تصحيح ما فيه . مما فات مصححيه ، وأفرغ منتهى العناية فى إيضاح بعض ما خفى من معانيه ، والله يعلم أنه لم يكن فى وسع أحد أن يقدم على تصحيح هذا الكتاب الجليل القدر ، سوى ذلك الإمام الذى اشتهر فى المغارب والمشارق بالبحث والتحقيق، والنبوغ الفائق فى التدقيق . فلقد كان أعلم أئمة اللغة العربية فى وقته ، وأعرفهم بغريبها ، وأحفظهم لأنساب العرب وتاريخهم . لذلك امتازت نسخته بما دوّنه بخط يده على هوامشها ، وفى كلماتها ، وفى ثنيات سطورها بتصحيحاته المفيدة ، لا سيما أنه صحح غلطات غامضة لا تكاد تدركها الأفهام، ولا يعلمها إلا الراسخون فى العلم ، وقليل ماهم .

وكان العلامة المرحوم أحمد زكى باشا بمناسبة اشتغالى فى « الخزانة الزكية » فى ذلك العهد طلب إلىّ أن أصحح كتاب الأغانى المحفوظ بخزانته

(وهى من طبعة بلاق) على نسخة الإمام الشنقيطى المحفوظة بالدار ، فلبيت الطلب ، بعد أن عانيت فى ذلك كثيراً من المشقة ، وكابدت من الجهود ما لا يعرفه إلا المشتغلون بمثل هذه الأمور ، لأننى قرأت هذا الكتاب بإمعان ودقة سطراً سطراً ، ونخلت كلماته كلمة كلمة ، ومكثت فى هذا العمل المضنى أكثر من ثلاثة أعوام من سنة (١٩١٣ — ١٩١٥) وكان الإمام الشنقيطى — رحمه الله — يكتب صواب الكلمة تارة بالهامش، وطوراً يكشطها ثم يكتب صوابها بغاية الدقة فى موضعها الأصلى ، وآونة يصلح الحرف المغلوط بالحرف الصحيح كالدال فى موضع الراء ، ومرّة يكشط نقطة أو يضيف على الموجودة أخرى ، أو يعجم الحرف المهمل ، أو يهمل المعجم ، وهلمّ جرًّا ، وذلك كلّه فى نفس الكلمة المطبوعة وبطريقة لا تكاد تظهر إلا بإنعام النظر وكثرة التأمل ، مما يقضى فى كثير من الأحيان إلى الاستعانة بالنظارة العدسيّة .

وفوق ذلك فقد كتب — رحمه الله — بعض هذه التصحيحات بخط مغربىّ لا يقرأ إلا بشقّ الأنفس ، مما كان يضطرنى لمراجعة دواوين الأدب ومعجمات اللغة ، تفادياً من الوقوع فيما يجب اجتنابه .

وبعد ما أتممت المهمة التى ندبنى لها المرحوم أحمد زكى باشا وفرغت من تصحيح نسخته رأى — رحمه الله — ألا يستأثر وحده بهذه المزيّة ، فأشار علىّ بجمع هذه التصحيحات كلها ، وطبعها فى كراسة مستقلّة بنفسها ، مع الإشارة إلى رقم الصفحة وعدد السطر فى كل من طبعتى بلاق والساسى ليستفيد كل من توجد لديه نسخة من كتاب الأغانى ، سواء أكانت من الطبعة الأميرية أم الطبعة العادية ، وقد قمت بهذا العمل الشاقّ خدمة للآداب العربية ، إذ من التقصير والتفريط أن تبقى مثل هذه التصحيحات النفيسة مستورة تحت طىّ الخفاء مع إمكان الوصول إليها ، خصوصاً لمثل هذا الكتاب العظيم الشأن الذى قد ضربت به الأمثال ، وسارت بذكره

الركبان ، وكفاه فخراً انتشاره فى المشارق والمغارب، وكثرة تداوله فى أيدى الفضلاء الباحثين من عرب وعجم وإفرنج .

فكم له بالشرق من حامد وكم له بالغرب من شاكر

لذلك استخرت الله وشمّرت عن ساعد الجد ، وواصلت سواد الليل ببياض النهار حتى أنجزت هذا العمل ، وجاء بحمد الله وفق المرام ، وهو أول أثر من آثار اشتغالى بالخزانة الزكية . واخترت لطبعه حجماً يماثل حجم الأغانى ، وورقاً يشابه ورقه ، ليتمكن الراغب من إضافة هذه الكراسة إلى كتابه الأصلى فتكون بجانبه مماثلة له ، ومؤتلفة معه .

وهذه التصحيحات جعلناها على هيئة جداول ليسهل مراجعتها ، متحريا الأمانة فى النقل . ومتوخيا الذمة فى العمل .

وقد انتهيت من طبعها على هذا الشكل فى ٢٧ رجب سنة ١٣٣٤هـ (٢٩ مايو سنة ١٩١٦ م) .

وقد استفاد منها كثير من العلماء والأدباء ، وقررت وزارة المعارف العمومية شراءها وضمها إلى جميع نسخ كتاب الأغانى المحفوظة بمكتبات مدارسها .

واستفاد منها أيضاً مصححو القسم الأدبى وكنت منهم عند إعادة طبعه بمطبعة دار الكتب المصرية ، ولكن لأمر ما لم يشر إلى اسمى فى هذه الطبعة ، بل اكتفى بذكر هذه العبارة « فى نسخة الشنقيطى » . كذلك أغفل اسمى من الترجمة المفصلة التى كتبتها لأبى الفرج الأصبهانى ، وهى المنشورة الآن فى صدر الجزء الأول من طبعة دار الكتب المصرية .

وإليك نص ما ورد فى التصدير (ص ٤٨) بالحرف الواحد .

(٧) نسخة ب

« وقد اصطلحنا على تسميتها بالحرف (ب) وهى نسخة كاملة رقمها بالدار ١٤٤ أدب ش فى ٢٠ جزءاً مطبوعة بمطبعة بولاق الأميرية سنة ١٢٨٥ﻫ وهى نسخة العلامة الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطى ، وقد صحح بعض ما بها من تحريف تبينه أثناء مطالعة الكتاب ، وكان أحياناً يكتب صواب الكلمة بالهامش ، وطوراً يكشطها ثم يكتب صوابها بغاية الدقة فى موضعها الأصلى ، أو يصلح الحرف المحرَّف بالحرف الصحيح ، كالدال فى موضع الراء ، ومرة يكشط نقطة أو يضيف على الموجودة أخرى ، أو يعجم الحرف المهمل ، أو يهمل المعجم ، وذلك كله فى نفس الكلمة المطبوعة وبطريقة لا تكاد تظهر إلا بإنعام النظر وكثرة التأمل » .

وهذه السطور بنصها وحروفها هى التى وصفت بها ما لاقيته فى جميع هذه التصحيحات .

فمن يراجع مقدّمة «تصحيح كتاب الأغانى» المطبوعة سنة ١٩١٦ (ص ١) وتصدير الجزء الأول من كتاب الأغانى (ص ٤٨) لا يخالجه أدنى شك أن كاتبهما واحد .

(ثانياً) : عندما شرعت دار الكتب المصرية فى إعادة طبع كتاب الأغانى سنة ١٣٤٣ ﻫ (١٩٢٥ م) كنت وفقت إلى تكملة نقص فيه فى إحدى المجلات الألمانية وكنت أواصل مراجعة هذه المجلة لنشرها مقالات باللغة العربية عن الحضارة الإسلامية أو الأدب العربى ، فرفقت إلى هذا البحث النفيس وهو خاص بتكملة بياض وقع فى الأجزاء الأخيرة من كتاب الأغانى فوجدت

خدمة للعلم والأدب أن أغتنم هذه الفرصة الثمينة وأنشر هذا البحث فى جريدة يومية لينتفع به قراء العربية، وتستفيد منه دار الكتب المصرية فى إعادة طبع هذا الكتاب لتضمه إلى أجزائه فى أمكنة البياض لسدّ نقص جوهرى فى كتاب الأغانى ، وقد نشر هذا البحث بجريدة المقطم الغراء بتاريخ ١٥ ، ١٧ اكتوبرسنه ١٩٢٥م ليكون لى حق الأولية فى هذا الكشف الأدبى العظيم ، وإليك نص ما قلناه بالحرف الواحد بعد المقدمة التى أشرنا فيها إلى أن ابن منظور كان أول من تنبه إلى أن أبا الفرج أغفل ترجمة أبى نواس :

كان المتأدبون يدهشون من خلوّ الأغانى من ترجمة أبى نواس بعد أن رأوا أبا الفرج — رحمه الله — يذكر فى حوادثه أن أخبار أبى نواس ذكرت فى موضع آخر .

وأول من تنبه إلى هذا النقص الإمام الجليل العلامة ابن منظور المصرى صاحب لسان العرب ومختصر كتاب الأغانى المتوفى فى شعبان سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) فقد أفرد لأبى نواس كتاباً خاصاً بدأه بقوله :

« قال محمد بن المكرم : هذه الترجمة ترجم عليها أبو الفرج — رحمه الله — بما صورته :

(أخبار أبى نواس وجنان خاصة ، إذ كانت أخباره قد ذكرت مقدما) ولم أجد لأبى نواس ترجمة مفردة فى نسخ الأغانى التى وقفت عليها .

وما أدرى ، هل أغفل أبو الفرج ذكره من كتابه، أم أسقطت ترجمته من كتابه بعده ؟ وليت شعرى إذا أغفل أبو الفرج ذكر أبى نواس من كتابه فمن ذكر ؟ على أن أبا الفرج ليس ممن يجهل قدر أبى نواس فى فضله ونبله وجدّه وهزله وسائر فنونه : من صدقه ومجونه وإنه لطراز[1] الكتب بل علم أهل الأدب » .

(١) أى علمها ومشهورها ، مأخوذ من طراز الثوب .

وبعد أن سرد بعض أقوال العلماء فى تقريظ أبى نواس قال : «وناهيك بهذا القول من دلالة على قدر من قيل فى حقه ومكانته من الفضل» .

«وقد أضفت إلى ما ذكر فى ترجمته أشياء من نمط كتابه ، على أنه لم يذكر فى ترجمته إلا ما مقدار مختاره ورقتان أو ثلاثة لا غير ، فكأنما نحن قد عرفنا عنه هذه الترجمة» .

وقد طبع الجزء الأول من هذا الكتاب فى سنة ١٩٢٤ بواسطة صديقى الأديب الفاضل عباس أفندى الشربينى الموظف بدار الكتب ويقع فى نحو ٢٥٢ صفحة . فيتبين من ذلك أن أول من تنبه إلى هذا النقص هو الإمام ابن منظور وقد أكمله بوضع كتابه ، وهو مجلد ضخم طبع نصفه .

ولما كنت شديد الاهتمام بكل ما يتعلق بكتاب الأغانى من تصحيحات وزيادات وحل رموزه الخاصة بالأصوات فقد جمعت تصحيحات الأستاذ العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطى المدوّنة بنسخته وطبعتها فى رسالة خاصة سنة ١٩١٦ بعد أن عانيت فى ذلك من المشقة وكابدت من المجهود ما لا يعرفه إلا المشتغلون بمثل هذه الأمور ، وهى التى أشار إليها أحد الأدباء بالمقطم الصادر فى ٢١ مايو سنة ١٩٢٥ وطلب من مصححى القسم الأدبى إضافتها إلى الطبعة الجديدة .

أما تكميل البياض فى طبعتى بولاق والساسى ولم يتنبه له أحد من قراء العربية[1] بدليل عدم نشر شىء عنه حتى الآن بعد هذه الضجة الهائلة التى حدثت على صفحات المقطم ، لإعادة طبع كتاب الأغانى بمطبعة دار الكتب ، وقد عثرنا على هذه الزيادة فى المجلة الألمانية Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft فى المجلد ٥٠ ص ١٤٢ — ١٥١ المطبوعة

(١) من حسن الحظ أن هذه الزيادة التى عثرنا عليها لم تطبع حتى الآن فى أجزاء الأغانى الأماكن التى تقع فيها لأنها لم تصدر بعد من دار الكتب المصرية ، وها نحن نثبتها هنا بعد مرور ست وعشرين سنة على نشرها بجريدة المقطم .

سنة ١٨٩٦ نشرها العالم المستشرق الأستاذ (فلهاوزن) وبمجرد عثورى على هذه التحفة النادرة أخبرت صاحبى السعادة العالمين الكبيرين الأستاذين أحمد تيمور باشا وأحمد زكى باشا فسرا جداً وطلبا إلىّ أن أنقل لكل منهما صورة منها .

ولما كان المقطم الأغر هو الذى اهتم بكتاب الأغانى وفتح صدره لما نشر حول طبعه آثرته بنشر هذه التحفة الثمينة ليكون له فخر إذاعتها لأول مرة فى صحيفة عربية .

قال العلامة المستشرق (فلهاوزن) ما تعريبه :

وجدت فى المجلد الرابع عشر من الأغانى صفحة ١٣٩ طبع بولاق بياضاً كبيراً لا يستحسن وجوده و نى أكمله نقلا عن المخطوط المحفوظ فى (م) « كذا » تحت رقم ٤٧٠ ص ٢١١ وأنقل هنا ما لم يرد فى قصة عنترة التى طبعها الأستاذ طوربيكى بمطبعة ليبسيج سنة ١٨٦٧ م وهذه القصة مأخوذة من الأغانى (راجع كتاب الأغانى ج ٧ ص ١٤٨ وما بعدها و ج ٨ ص ١٣٤ وما بعدها) وهذا منقول من المخطوط المذكور أيضاً فى صفحة ٢١٥ وإليك تكميل البياض المنقول فى المجلد الرابع عشر ، إنك تقرأ فى صفحة ١٣٩ منه تتمة مقتل ربيعة بن مكدّم وانتقل بك الكلام إلى المغيرة . وهذا هو المحذوف :

« وفى بعض هذه الأراجيز التى جرت بين عمرو بن معد يكرب وربيعة ابن مكدّم غناء وقد جُمع شعراهما معاً فى لحن واحد وهو :

صوت

أنا ابنُ ذى التقليد فى الشَّهرِ الأصَمّْ أنا ابنُ عبدِ اللهِ قتَّالِ البُهَمْ

أكرَمُ مَنْ يَمْشِى بساقٍ وقدَمْ مَنْ يَلْقَنِى يُودِ كما أَوْدَتْ إرَمْ

أتركُه لحماً على ظَهْرِ وَضَمْ كالليثِ إن هَمَّ بِتَقْصامٍ قَصَمْ
مُؤْتَمَنُ الغَيبِ وَفِيٌّ بِالذِّمَمْ

ذكر أحمد بن يحيى أن الغناء فى هذا الشعر لحنين خفيف ثقيل بإطلاق الوَتَر فى مجرى البنصر. وذكر الهشامىّ أنه لابن سَرْجيس الملقب قُرابط.

حدَّثتنى قُمْرِيةُ العَمْرية جاريةُ عمرو بن بانة أنها أخذتْ عن أحمد ابن العلاء هذا اللحن فقال: انظرى أىَّ صوت أخذت فوالله لقد أخذتُه عن مُخارق، فلما استوَى لى قال لى مُخارقٌ: انظرْ أىَّ صوت أخذتَ فوالله لقد أخذتُه عن يحيى المكىّ، فلما غنيته الرشيدَ أطربه فوهب ليحيى عشرة آلاف درهم.

أخبرنى علىُّ بن سُليمان الأخفشُ قال: حدَّثنى محمد بن الحسن الأحوَلُ عن الطرْسُوسىّ عن ابن الأعرابىّ قال: أجوَدُ بيت وُصفتْ به الطَّعنةُ قولُ أهبانَ بن عاديا قاتل ربيعةَ بن مكدَّم حيث يقول:

ولقد طَعَنْتُ ربيعةَ بن مُكَدَّمٍ يومَ الكَديدِ فخَرَّ غيرَ مُوَسَّدِ
فى ناقعٍ شَرِقَتْ بما فى جَوْفِهِ منه بأحْمَرَ كالعَقيق المُجْسَدِ

هذه أخبارُ عنترة قد ذكرتُ منها ما حَضر. وأما عبدُ قيس بن خُفاف البرْجمىّ فإنى لم أجد له خبراً أذكرُه إلا ما أخبرنى به جعفرُ بن قُدامة قال: قرأتُ فى كتاب لأبى عثمان المازنىّ: كان عبدُ قيس بن خُفاف البرْجمىّ أتى حاتم طيىء فى دماء حملها عن قومه فأسلموه فيها وعَجِز عنها فقال: والله لآتينَّ مَنْ يَحملها عنّى — وكان شاعرا شريفاً شجاعاً — فلما قَدِمَ على حاتم قال: إنه وَقعتْ بينى وبين قومى دماء فتواكلوها وإنى تحمّلتها فى مالى وأملى فقدّمتُ مالى وأخرتُ أملى وكنت أوثق الناس له فى نفسى فإن تَحملها فكمْ من حَق قَضَيْته وَهمّ كفيته. وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذمُمْ

قومك ولم أنس أمسك ولم أيأس من غدك ، ثم أنشأ يقول :

حملتُ دماءً للبراجمِ جمّةً فجئتُك لمّا أسلمتنى البراجمُ
وقالوا سفاهاً لِمْ حملتَ دماءنا فقلتُ لهم يكفِى الحمالةَ حاتِمُ
متى آتِهِ فيها يقُلْ لِىَ مرحباً وأهلاً وسهلاً أخطأتْكَ الأشائِمُ
فيحْمِلُها عَنِّى وإن شئتُ زادنى زيادةَ مَن حِيزتْ إليه المكارِمُ
يَعيشُ النَّدى ما عاشَ حاتِمُ طيِّئٍ وإن ماتَ قامت بالسخاءِ المآتِمُ
يُنادِينَ ماتَ الجُودُ معْك فلا ترى مُجِيباً له ما دامَ فى اللَّحْدِ حاتِمُ
وقال رجالٌ أنهبَ العامُ مالَهُ فقلت لهم إنّى بذلك عالمُ
ولـكنّه يُعْطِى مِنَ اموالِ طيِّئٍ إذا خلَّفَ المالَ الحُقوقُ اللوازِمُ
فيُعْطِى التى فيها الغِنَى وكأنَّه لتصغيره تلك العطيّةَ حارمُ
بذلك أوصاه عَدِىٌّ وحَشْرَجٌ وسعدٌ وعبدُ اللهِ تلكَ القماقِمُ

فقال حاتمٌ : إن كنت لأحبّ أن يأتينى مثلك من قومك . وهذا مرباعى من الغارة على بنى تميم فخذه وافراً فإن وفى بالحمالة وإلا أكملتها لك ، وهى مائتا بعير سوى بنيها وفصالها مع أنى لا أحبّ أن تؤنس قومك بأموالهم ، فضحك أبو جبيل وقال : لكم ما أخذتم منا ، ولنا ما أخذنا منكم ، وأىّ بعير دفعته إلىّ وليس ذنبه فى يد صاحبه فأنت منه برىء ، فأخذها وزاده مائة بعير وانصرف راجعاً إلى قومه فقال حاتم :

أتانى البُرْجُمِىّ أبو جُبَيلٍ لهمٍّ فى حوالته طَوِيلِ
فقُلتُ له خُذِ المِرْباعَ رَهْواً فإنّى لستُ أرضى بالقليلِ
على حالٍ ولا عوّدتُ نفسى على عِلّاتِها عِلَلَ البخيلِ
فخُذْها إنها مائتا بَعِـيرٍ سِوَى النابِ الرَّذِيّةِ والفَصِيلِ

ولا مَنٌّ عليك بها فإنى ... رأيتُ المَنَّ يُزْرِى بالجَميلِ
وآبَ البُرْجُمِىُّ وما عليه ... مِنَ اعباء الحمالةِ من قتيلِ
يَجُرُّ الذَّيل يَنفُضُ مِذْرَوَيْهِ ... خفيفَ الظَّهرِ من حَمْلٍ ثَقِيلِ

صوت

أدركْتِ ما مَنَّيْتُ نفسى خالياً ... لله دَرُّكِ يا ابنةَ النُّعْمَانِ
إنِّى لحَلْفَكِ بالصَّليبِ مُصَدِّقٌ ... والصُّلْبُ أصْدَقُ حِلْفَةِ الرُّهْبَانِ
ولقد رَدَدْتِ على المُغيرة ذِهْنَهُ ... إنَّ المُلوكَ بَطِيئةُ الإذْعانِ
يا هِنْدُ حَسْبُكِ قد صَدَقْتِ فأمْسِكِى ... والصِّدْقُ خَيْرُ مقالةِ الإنْسانِ

الشعرُ للمغيرة بن شُعبة الثقفىّ يقوله فى هند بنت النعمان بن المنذر لما خَطَبها فرَدَّتْه ، وخبره فى ذلك وغيره يُذكر هاهنا إن شاء الله . والغناء لِحُنَين ثانى ثقيل بالبنصر عن الهشامىّ .

أخبار المغيرة ونسبه

هو المغيرةُ بن شُعبة بن أبى عامر بن مسعود بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن سعد بن عمرو بن عَوْف بن قِسِىّ وهو ثقيف ، ويُكنى أبا عبد الله ، وكان يُكنى أبا عيسى فغيرّها عُمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه وكناه أباعبدالله ، وأمه أسماء بنت الأفقم بن أبى عمرو بن ظُوَيْلم بن جُعيل بن عمرو ابن دُهْمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هَوَازن .

وكان المغيرة من دُهاة العرب وَحزمتها ، وذوى الرأى منها والحيل الثاقبة ،

وكان يقال له فى الجاهلية والإسلام : مُغيرةُ الرأى، وكان يقال : ما اعتلجَ فى صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزَمهما ، وصحب النبيّ صلى الله عليه وسلم وشهد معه الحديبة ومابعدها ، وبعثه أبو بكر — رضى الله عنه — إلى أهل البُحَير وشهد فتحَ اليمامة وفتوحَ الشام ، وكان أعوَر أصيبتْ عينهُ فى يوم اليرْموك وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقّاص ، فلما أراد مُراسَلةَ رُستم لم يجد فى العرب أدْهى منه ولا أعقلَ فبعث به إليه ، وكان السفيرَ بينهما حتى وقعت الحرب ، وولاه عمر — رضى الله عنه — عدّةَ ولايات أحدُها البصرة ففتحَ وهو واليها : مَيسانَ ودَستَ ميسان وأبرقُباذ . وقاتلَ الفرْسَ بالمرَعات فهزَمهم ، ونَهضَ إلى مَنْ كان بسوق الأهواز فقاتلهم وهزَمهم وفتحها ، وانحازوا الى نَهر تيرى ومناذر الكبرى فزَحفَ إليهم فقاتلهم وخرج إلى المشرق مع النعمان بن المقرن ، وكان المغيرة على ميسرته وكان عُمرُ قد عهدَ إنْ هلك النعمانُ فالأميرُ حُذيفةُ فإن هلك فالأميرُ المغيرة بن شُعبة .

ولما فُتحتْ نَهاوندُ سارَ المغيرة فى جيش إلى همدان ففتحها ، وولاه عُمرُ بعدَ ذلك الكوفةَ فقُتلَ عُمر وهو واليها ، وولاه إياها معاوية بن أبي سفيان، فكان عليها إلى أن مات بها . وهو أوّل مَنْ وَضعَ ديوانَ الإعطاء بالبصرة ورتّبَ الناسَ فيه فأعطاهم على الديوان ثم صارَ رَسماً لهم يحتذُونه .

قال محمد بن سعد كاتب الواقدىّ : أخبرنا محمد بن عُمر قال حدّثنى محمد بن سعد الثقفىّ وعبد الرحمن بن عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفىّ وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب ومحمد بن يعقوب بن عُتبة عن أبيه وغيرهم قالوا : قال المغيرة بن شُعبة : كنّا قوماً من العرب متمسكين بديننا ونحن سدَنةُ اللات فأرانى لو رأيتُ قوماً قد أسلموا ما تبعتهم ، فأجمعَ نفرٌ من بنى مالك الوُفود على المقوقس وأهدَوْا له هدَايا فأجمعتُ

الخُرُوجَ معهم فاستشرتُ عمى عُروةَ بن مسعود فنهانى وقال لى : ليس معك من بنى أبيك أحدٌ فأبيتُ إلا الخروج وخرجتُ معهم ، وليس معهم أَحدٌ من الأحلاف غيرى حتى دخلنا الإسكندرية فإذا المقوْقسُ فى مجلس مُطلٌّ على البحر فركبْتُ زَاربا حتى حاذَيْتُ مجلسه فنظرَ إلىّ فأنكرنى وأمرَ مَنْ يُسائلنى ما أنا وما أريد ؟ فسألنى المأمورُ فأخبرتُه بأمرنا وقُدومنا عليه ، فأمر بنا أن نُنزَلَ فى الكنيسة وأجرى علينا ضيافة ، ثم دعا بنا فنظرَ إلى رأس بنى مالك فأدناه وأجلسه معه ثم سأله : أكلّ القوم من بنى مالك ؟ فقال : نعم إلا رجلا واحداً من الأحلاف . فعرّفه إياىَ فكنتُ أهْوَنَ القوم عليه ، وَوَضَعوا هداياهم بينَ يدَيه فسرَّ بها وأمر بقبضها وأمر لهم بجوائز وفضّل بعضهم على بعض وقصّر بى ، فأعطانى شيئاً قليلا لا ذكرَ له وخرجنا ، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون ولم يعرض أحدٌ منهم علىّ مُواساة وخرجوا وحملوا معهم خمراً فكانوا يشربُونَ منها وأشربُ معهم ونفسى تأبى أن تدعَنى معهم وقلتُ : ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا وما حباهم به الملكُ ويُخبرون قومى بتقصيره بى وازدرائه إيّاى ! فأجمعتُ على قتلهم ، فقلتُ : أنا أجدُ صُداعاً فوضعوا شرابهم ودعونى . فقلتُ : رأسى يُصدَّع ولكنى أجلسُ وأسقيكم ، فلم يُنكرُوا شيئاً . وجلستُ أسقيهم وأشربُ القدحَ بعد القدح ، فلما دبت الكأسُ فيهم اشتهوا الشرابَ فجعلتُ أصرفُ لهم وأنتزعُ الكأس فأهمدتْهمُ الكأسُ حتى ناموا ما يعقلون ، فوثبتُ إليهم فقتلتهم جميعاً وأخذتُ جميعَ ما كان معهم ، فقدمتُ على النبىّ صلى الله عليه وسلم فوجدتُه جالساً فى المسجد مع أصحابه وعلىّ ثياب السفر ، فسلمتُ بسلام الإسلام ، فنظر إلىّ أبو بكر بن أبى قُحافة – وكان بى عارفاً – فقال : ابنُ أخى عُروة ؟ قلتُ : نعم ؛ جئتُ أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمدُ لله الذى هداك

إلى الإسلام» فقال أبو بكر : أمِنْ مصرَ أقبلتم ؟ قلتُ : نعم، قال : فما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قلتُ : كان بينى وبينهم بعضُ ما يكونُ بين العرب ونحنُ على دين الشِّرك فقتلتهم وأخذتُ أسلابهم وجئتُ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمسها ويَرَى فيها رأيه فإنما هى غنيمة من مشركين وأنا مسلمٌ مُصدِّقٌ بمحمد صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أما إسلامُك فنقبله ولا نأخذُ من أموالهم شيئاً ولا نخمسها لأن هذا غدْرٌ والغدرُ لا خيرَ فيه» فأخذنى ما قَرُب وما بَعُدَ، فقلتُ : يا رسول الله ، إنما قتلتهم وأنا على دين قومى ثم أسلمتُ حين دخلتُ عليك الساعة ، فقال : «إن الإسلام يَجُبّ ما كان قبله». قال وكان ....إلخ ومن هنا نجد الباقى فى طبعة بولاق جزء ١٤ ص ١٤٠ .

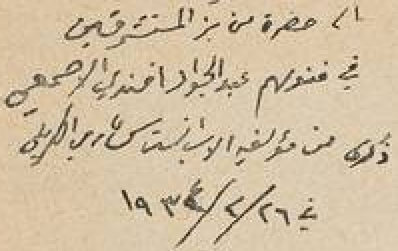
(ثالثا) : عند إعادة طبع كتاب الأمالى لأبى على القالى للمرة الثانية صدّرته بترجمة وافية لأبى على القالى نالت — ولله الحمد — إعجاب العلماء والأدباء والباحثين ، لأنى وضعتها على نسق لم يسبق له مثيل ، كما وضعت فهارس هجائية وافية لجميع أجزاء الكتاب ، وهى تشتمل على خمسة فهارس .

ولما نجز طبع هذا الكتاب فى سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) أهديت منه نسخة لحضرة صاحب العزة محمد أسعد برادة بك مدير دار الكتب فى ذلك العهد فسرّ سروراً عظيما وهنأنى على هذا العمل الخالد وقال لى لن يفتخر علينا المستشرقون بعد هذا بعمل الفهارس ، ثم طلب إلىّ — وكان العمل جارياً فى طبع الجزء الأول من كتاب الأغانى — أن أعمم هذه الفهارس فى جميع مطبوعات دار الكتب ، وأن أقوم بعمل هذه الفهارس فى ساعات إضافية بعد الظهر نظير مكافأة حتى لا أعطل أعمال التصحيح فى الصباح .

فباشرت فى عمل فهارس هذا الجزء كما طلب ، وجاءت بحمد الله فى

ترتيبها وتنسيقها وتصحيحها على أكمل وجه وأبدع نظام ، كما شهد بهذا كل من اطلع عليها من العلماء والأدباء حتى المستشرقين أنفسهم ، ولا يخفى أن عمل الفهارس من أشق الأعمال المضنية لأنها تحتاج إلى صبر وجلد ودقة وعناية .

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نسجل الشهادة التى كتبها لنا بخطه علامة بغداد البحاثة اللغوى المحقق المرحوم الأب أنستاس مارى الكرملى صاحب مجلة لغة العرب وعضو مجمع فؤاد اللغوى بمناسبة قيامنا بترتيب وتنسيق عدة فهارس لأكثر من أربعين كتاباً متداولة الآن بين أيدى العلماء والأدباء . وهذا نصها :



(رابعاً) : تصويبنا لخطأ جوهرىّ وقع فيه ، ولم يتنبه له أحدٌ منذ نيِّف وألف سنة إلى يومنا هذا . وقد نشرناه فى بحث بمجلة المقتطف فى الجزء الثالث من المجلد الرابع والثمانين الصادر فى أول مارس سنة ١٩٣٤ م وصححناه فى الجزء السابع من كتاب الأغانى (ص ١٩٢ — ١٩٤ طبع دار الكتب المصرية) .

وهذا التصحيح خاص بدير فى العراق يقال له : « دير مَريان » ، وآخر بالشام يقال له : « دير مُرّان » ، فقد ذكر فى كتاب الأغانى فى طبعتيه : « بلاق » و « الساسى » باسم واحد : « دير مران » وهو خطأ وقع فى الأغانى منذ تأليفه ، وسار على هذا الخطأ من نقل عنه من العلماء والمؤلفين فى الأدب والتاريخ والجغرافيا فى مختلف العصور الإسلامية ،ولم يتنبه له أحدٌ منهم منذ ألّف هذا الكتاب إلى يومنا هذا حتى وفقنا الله إلى تصحيحه ونشرناه فى بحث مستفيض بعدد المقتطف المذكور فليرجع إليه من أراد الاستزادة فى البحث والتحقيق من هذا المقال ، « والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

وكان من حُسن الطالع إنجاز هذه المقدمة فى يوم يبتهج فيه الوادى من جنوبه إلى شماله على اختلاف هيئاته وطبقاته بعيدين سعيدين ، ومناسبتين كريمتين : عيد الجلوس الملكى السعيد ، وعيد القران الملكى الميمون المبارك لصاحب العرش المفدّى جلالة الملك المعظم :

« فاروق الأول »

حفظه الله وأدام ملكه

ونسأل الله العلىّ القدير أن يجعله قراناً مباركاً مشمولا بالهناءة والإسعاد ، والرفاء والبنين ، إنه سميع مجيب .

تحريراً فى { ٣٠ رجب سنة ١٣٧٠ هـ
(٦ مايو سنة ١٩٥١ م)

محمد عبد الجواد الأصمعى
بدار الكتب المصرية

الباب الأول

الحياة العلمية والأدبية

من صدر الإسلام إلى عصر أبي الفرج

ويشتمل على تسعة فصول

الفصل الأول

منبع الحضارة الإسلامية

ومشرق المعارف والآداب

تمهيد :

كانت دمشق داراً لملك بنى أمية ، وشعارهم البياض فى راياتهم ولباسهم. فلما جاء بنو العباس اتخذوا بغداداً مقرًّا لكرسيهم والسواد شعاراً لهم ، وكانت جنودهم تسمى « المسوّدة » لأن راياتهم سود(١).

والأصل فى اتخاذ العباسيين الأسود شعاراً لهم مخالفة الأمويين ، وتلك سنة أخلاف الملوك لأسلافهم . وأمثال ذلك كثيرة معروفة منها : أن المأمون الخليفة العباسى لبس الأخضر مجاملة للعلويين ، فكاد يختلّ أمر الملك فرجع بعد أسبوع إلى الأسود .

وصارت بغداد فى عهد الرشيد وابنه المأمون منبعاً للحضارة ، ومشرقاً للمعارف والآداب ، ولا نزيد عصر العباسيين وصفا ، ولا حضارتهم تعريفاً بغير قول الخطيب البغدادى أحد المشاهدين لها فى زمن قريب من هذا العصر فى كتابه « تاريخ بغداد » لأنه أوفى وأصدق كتاب وصفها وكتب عن علمائها ، كما قال الرئيس أبو الخطاب يمدح الخطيب :

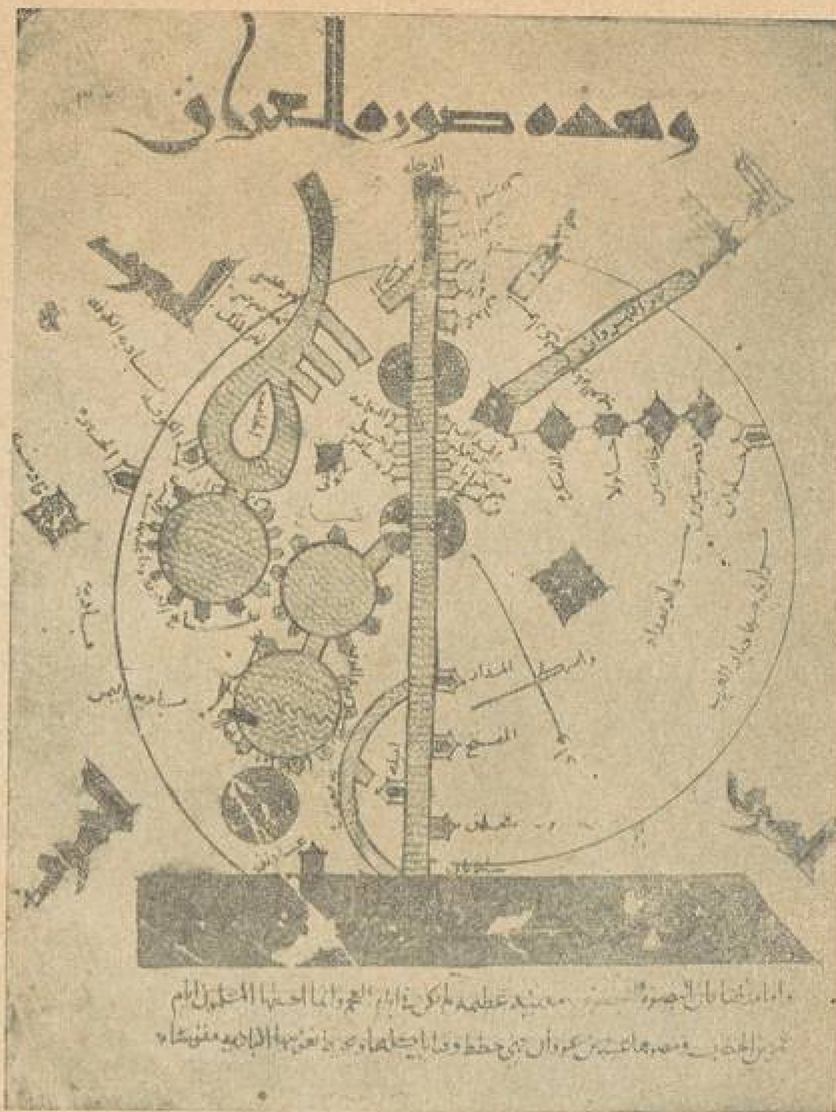
فاق الخطيبُ الورَى صِدْقاً ومعرفةً　　وأعجز الناس فى تصنيفه الكُتُبا

جلا محاسنَ بغدادٍ فأودعها　　تاريخه مخلصاً لله محتسبا(٢)

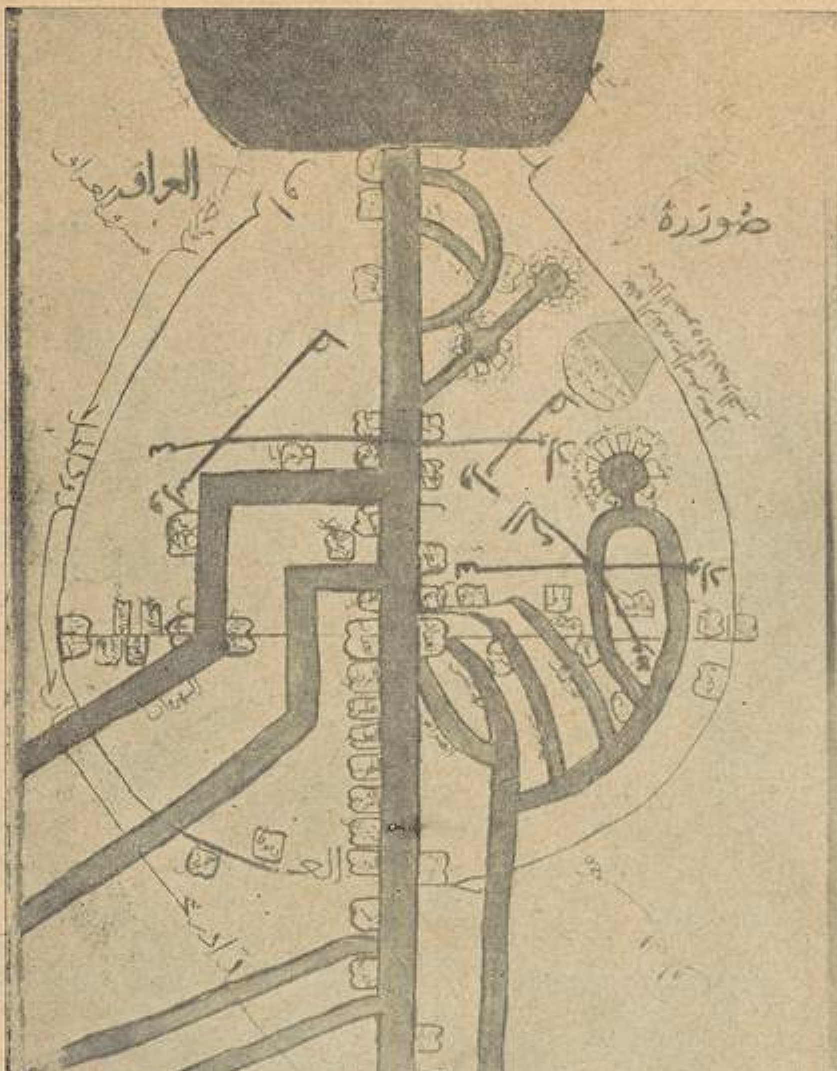
---

(١) انظر صبح الأعشى للقلقشندى فى كلامه على « شعار الخلافة» (ج ٣ ص ٢٧٣ – ٢٧٥).

(٢) معجم الأدباء لياقوت (ج ١ ص ٢٥٩ طبعة هندية) .



خريطة العراق قبل زمن أبي الفرج نقلا عن كتاب صور الأقاليم السبعة لأبي زيد البلخي .
وهو أول مصور جغرافي في الاسلام . محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٩ جغرافيا .



خريطة العراق فى عصر أبى الفرج نقلا من كتاب المسالك والممالك للعلامة أبى القاسم أحمد بن حوقل من علماء القرن الرابع الهجرى . والكتاب محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٨ جعرافيا .

وصف بغداد كما رآها الخطيب :

وإليك وصف بغداد قديماً وإطراؤها للحافظ أبى بكر الخطيب :

« لم يكن لبغداد فى الدنيا نظير فى جلالة قدرها ، وفخامة أمرها ، وكثرة علمائها وأعلامها ، وتميز خواصها وعوامها ، وعظم أقطارها ، وسعة أطرارها[١] ، وكثرة دورها ومنازلها ، ودروبها وشعوبها ، ومحالها وأسواقها ، وسككها وأزقتها ، ومساجدها وحماماتها ، وطرزها وخاناتها ، وطيب هوائها ، وعذوبة مائها ، وبرد ظلالها وأفيائها ، واعتدال صيفها وشتائها ، وصحة ربيعها وخريفها ، وزيادة ما حصر من عدة سكانها . وأكثر ما كانت عمارة وأهلا فى أيام الرشيد ، إذ الدنيا قارّة المضاجع ، دارّة المراضع ، خصيبة المراتع ، موروودة المشارع ، ثم حدثت بها الفتن ، وتتابعت على أهلها المحن ، فخرب عمرانها ، وانتقل قطانها ، إلا أنها كانت قبل وقتنا ، والسابق لعصرنا ، على ما بها من الاختلال ، والتناقص فى جميع الأحوال ، مباينة لجميع الأمصار ، ومخالفة لسائر الديار[٢] »

عظمة بغداد وأبهة الملك والسلطان :

وقد حكى ابن الأثير فى تاريخه : « أنه لما وصلت رسل ملك الروم إلى بغداد فى سنة ٣٠٥ فى خلافة المقتدر . رُتب من العسكر فى دار الخلافة مائة وستون ألفاً ما بين راكب وراجل ، ووقف بين يدى الخليفة سبعمائة حاجب ، وسبعة آلاف خادم خصىّ : أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود ، ووقف الغلمان المجرية الذين هم بمثابة مماليك الطباق الآن بالباب ، بتمام الزينة والمناطق المحلاة ، وزينت دار الخلافة بأنواع الأسلحة ، وغرائب الزينة ، وغشيت جدرانها بالستور ، وفرشت أرضها بالبسط ،

(١) أطرار البلاد : أطرافها .

(٢) تاريخ بغداد (ج ١ ص ١١٩ طبع مصر) .

وكانت عدة البسط اثنين وعشرين ألف بساط ، وعدة الستور المعلقة ثمانية وثلاثين ألف ستر ، منها اثنا عشر ألف ستر من الديباج المذهّب ، وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب والفضة بأغصانها وأوراقها ، وطيور الذهب والفضّة على أغصانها ، وأغصانها تتمايل بحركات موضوعة ، والطيور تصفَر بحركات مرتّبة ، وألقيت المراكب والزبازب[١] فى دجلة بأحسن زينة وكان هناك مائة سبع مع مائة سبّاع إلى غير ذلك من الأحوال الملوكية[٢] . . . إلخ » .

وليس أدل على عظمة بغداد فى ذلك العصر من شعر إسحاق الموصلىّ حين خرج مع الواثق بالله إلى النجف فقال متشوّقاً إليها وإلى حنينه إلى ولده :

أتبكى على بغداد وهى قريبةٌ ... فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُعْدا
لعمركَ ما فارقتُ بغداد عن قِلًى ... لو أنّا وجدنا من فِراقٍ لها بُدّا
إذا ذَكَرَتْ بغداد نفسى تقطّعتْ ... من الشوق أو كادت تموت بها وَجْدا
كفى حَزَنا أن رُحْتَ لم تستطع لها ... وَدَاعاً ولم تُحْدِث لساكنها عَهْدا[٣]

---

(١) الزبازب : السفن الصغيرة .
(٢) صبح الأعشى للقلقشندى (ج ٣ ص ٢٧٢) .
(٣) الأغانى (ج ٩ ص ٢٨٥ طبع دار الكتب المصرية) .

الفصل الثانى

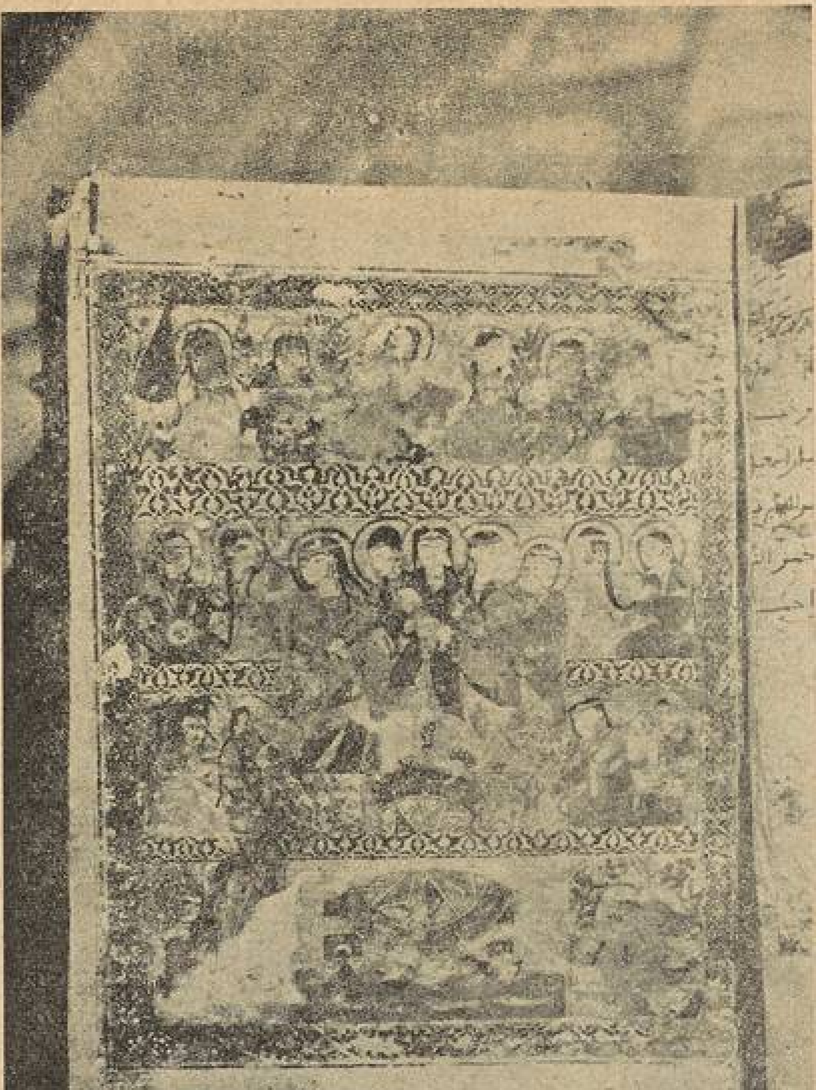
حالة بغداد فى عصر بنى بُويّه

الترف والنعيم فى عصر بنى بُوَيْه :

قبل البدء فى تحليل شخصية أبى الفرج وتصوير حياته الممتازة ، وما وصل إليه من النبوغ الفكرىّ فى وضع « كتاب الأغانى » الذى يعدّ بحقّ أوفى موسوعة عربية للحياة الأدبية والاجتماعية ، وما وصلت إليه الحضارة الإسلامية ، والنهضة العلمية والأدبية فى عهد الدولة الأموية والدولة العباسية ، من نشر العلوم والفنون والآداب . ورواج سوق الأدب ، وكثرة الشعراء والمفكرين والمغنين ، وظلت كذلك حتى عصر بنى بُوَيْه الذى عاش فيه أبو الفرج ، ونال فيه الحظوة والعطف والرعاية من الملوك والوزراء والأمراء نذكر وصفاً موجزاً لتلك الدولة يتبين منه الباحث الأبهة والفخامة والترف والنعيم والإجلال والإكبار والمنزلة الرفيعة التى تمتع بها أبو الفرج عند معزّ الدولة بعد استيلائه على بغداد وكان من ندمائه ، وانقطع إلى وزيره المهلبىّ وأصبح من أخصّ ندمائه المقرّبين إليه ، الأثيرين لديه .

وإذا كان الترف والنعيم قد بلغا أقصاهما فى أواسط الدولتين الأموية والعباسية ، فلا شك أن الحالة فى عصر أبى الفرج — وهو عصر بنى بُوَيْه — كانت أكثر مما يوصف . ومن يقرأ تاريخ حياة الوزير المهلبىّ الذى انقطع إليه أبو الفرج لتأكدّ ما كان فيه من ترف ونعيم وفخامة وأبهة .

وأى ترف تنعّم به الوزير المهلبىّ . ذلك الترف البالغ الذى وصفه ياقوت الحموىّ بقوله : « وكان من ظرفه فى فعله ، ونظافته فى مأكله ،



الصفحة الأولى من الجزء الثانى من كتاب الأغانى وهى تشمل على صورة تمثل مجلساً من مجالس الغناء والطرب وبعض آلات الطرب والمغنيات منقولة عن بعض أجزاء كتاب الأغانى المخطوطة سنة ٦١٤ هـ ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧٩ أدب .



الصفحة الأولى من الجزء الرابع من كتاب الأغانى وهى تشتمل على صورة تمثل مجلساً من مجالس الغناء والطرب وبعض آلات الطرب والمغنيات منقولة عن بعض أجزاء كتاب الأغانى المخطوطة سنة ٦١٤ هـ ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧٩ أدب .

أنه كان إذا أراد أكل شيء بملعقة كالأرز واللبن وأمثالهما . وقف من جانبه الأيمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقة زجاجاً مجروداً — وكان يستعمله كثيراً — فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون مرة واحدة ، ثم يدفعها إلى غلام آخر قام من الجانب الأيسر ، ثم يأخذ أخرى فيفعل بها فعل الأولى حتى ينال الكفاية لئلا يعيد الملعقة إلى فيه دفعة ثانية[١] » .

وقد وصف هذا الترف أيضا القاضى التنوخى بقوله :

« وشاهدنا نحن أبا محمد المهلبىّ فى وزارته وقد اشترى فى ثلاثة أيام متتابعة وردا بألف دينار ، فطرحت فى بركة عظيمة كانت له فى دار كبيرة تعرف بدار البركة وشرب عليه ونهب . وكان فى البركة فوّارة حسنة فطرح الورد فيها وفرشه فى مجالسه[٢] » .

وكان من عادة الوزير المهلبىّ كما قال القاضى التنوخىّ أيضاً أنه « كان يكثر الحديث على طعامه ، وكان طيب الحديث ، وأكثره مذاكرة بالأدب وضروب الحديث على المائدة لكثرة من يجمعهم عليها من العلماء والكتاب والندماء وكنت كثيراً ما أحضر[٣] . . . إلخ » .

مجالس الوزير المهلبىّ :

وكانت للوزير المهلبىّ مجالس مختلفة : للفقهاء يوما ، وللقضاة يوما ، وللمتكلمين يوما ، وإذا كانت هذه المجالس لا تخلو من الشراب والغناء فقد كان يجرى فيها من غرائب العلم وبدائع الحكمة الشيء الكثير فى فنون شتى .

وقد دوّن الكثير من هذه المجالس فى عصر الوزير المهلبىّ وغيره من الوزراء والخلفاء وكبار الدولة أبو حيان التوحيدىّ فى كتبه : « المجالس »

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٥٣ طبعة هندية) .
(٢) نشوار المحاضرة (ص ١٤٧) ومعجم الأدباء (ج ٣ ص ١٨٨) .
(٣) معجم الأدباء لياقوت (ج ٣ ص ١٩٠ طبعة هندية) .

و « المقابسات[١] » و « الإمتاع والمؤانسة »[٢] .

التصوير الحقيقىّ لوصف مجلس شراب ولهو من مجالس الوزير المهلبىّ لشاهدعيان.

قال ياقوت فى معجم الأدباء أثناء ترجمته لعلىّ بن محمد القاضى التنوخىّ :

« ويحكى أنه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبىّ ويجتمعون عنده فى الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة ، وهم : ابن قَرِيعة[٣] ، وابن معروف ، والقاضى التنوخىّ وغيرهم ، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان المهلبىّ ، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس . ولذّ السماع ، وأخذ الطرب منهم مأخذه وَهبوا ثوب الوقار للعقار ، وتقلبوا فى أعطاف العيش ، بين الخفة والطيش ، ووضع فى يد كل منهم طاس ذهب من ألف مثقال مملوءا شراباً قطربليا أو عكبريا ، فيغمس لحيته فيه ، بل ينقعها حتى تتشرّب أكثره ثم يرشّ بها بعضهم على بعض . ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبغات ، ومخانق البَرَم[٤] والمنثور ويقولون كلما يكثر شربهم : « هرهر » وإياهم عنىَ السرىّ بقوله :

مجالسُ ترقُصُ القُضاة بها إذا انتشَوْا فى مخانِقِ البَرَمِ
وصاحب يخلط المُجون لنا بشيمةٍ حُلْوة من الشيَمِ

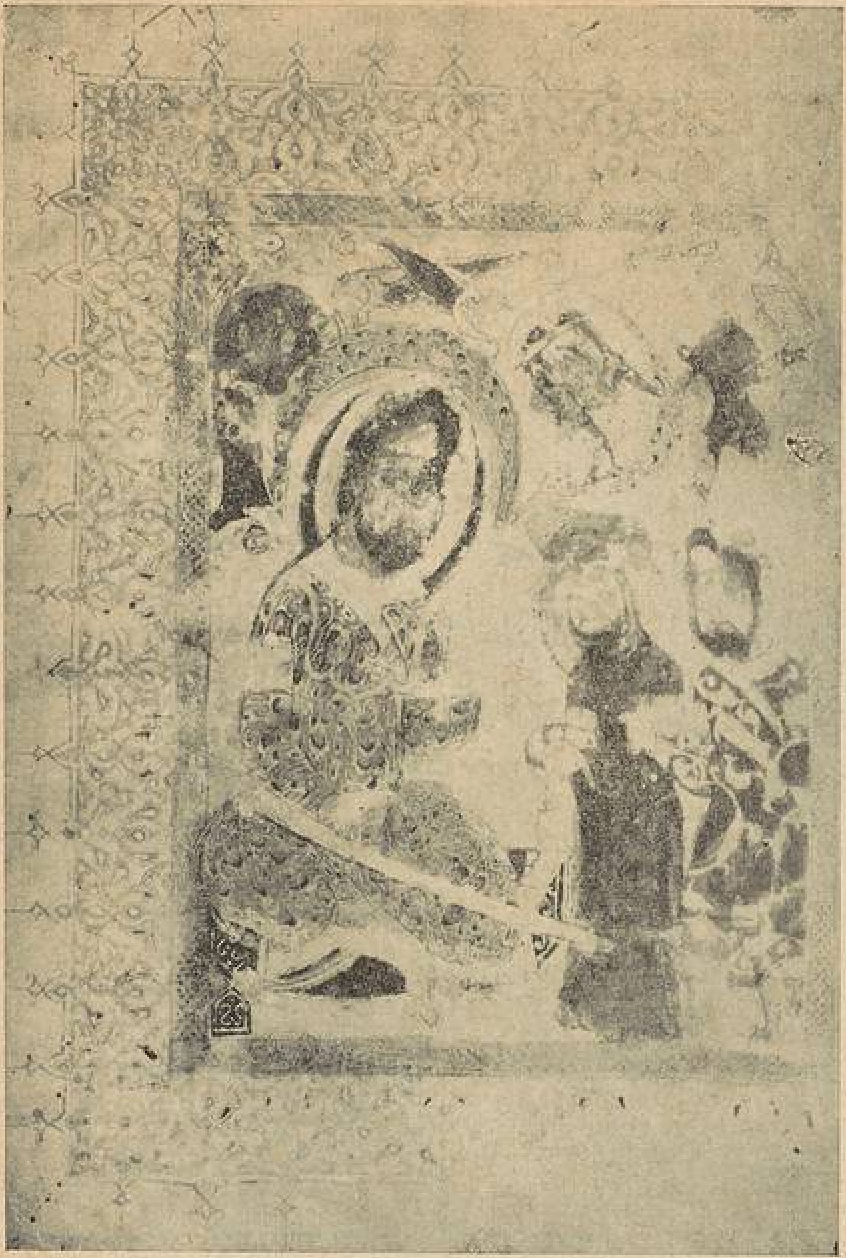
---

(١) طبع بمصر سنة ١٣٤٧ (١٩٢٩) بتحقيق وشرح الأديب الأستاذ حسن السندوبى.

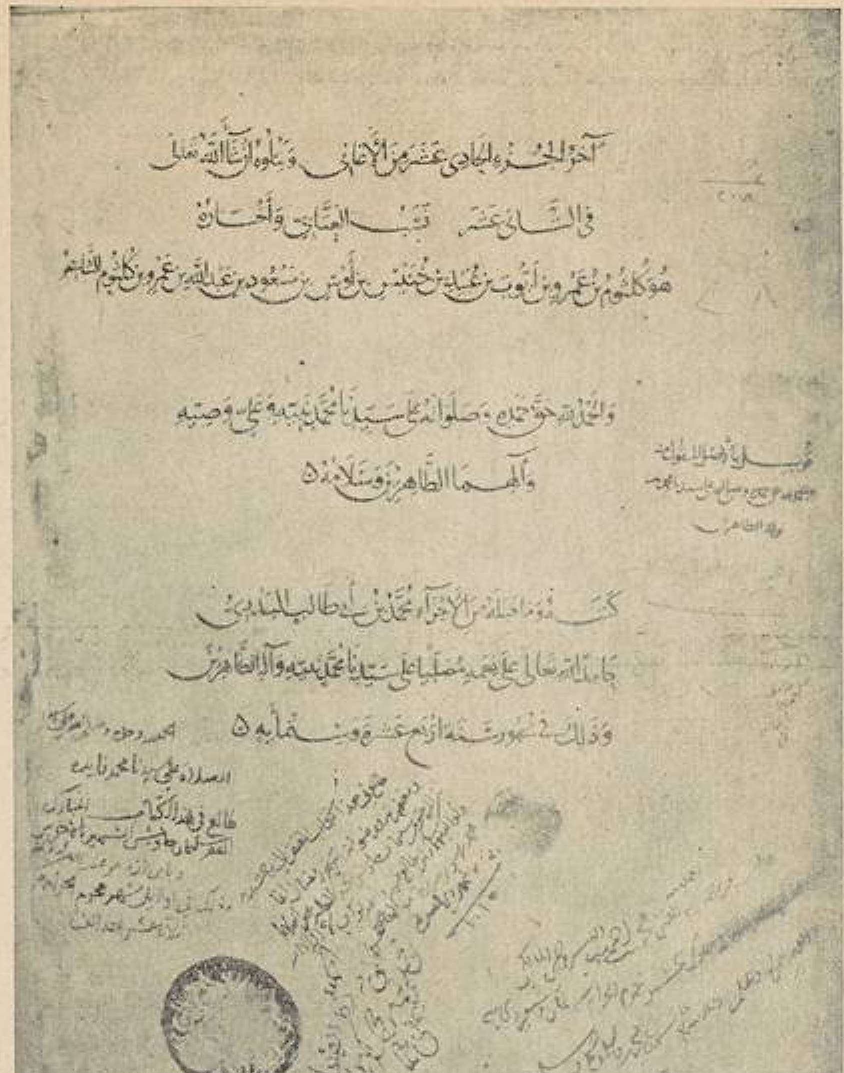
(٢) طبع هذا الكتاب النفيس بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر فى ثلاثة أجزاء انتهى طبع الجزء الثالث فى سنة ١٩٤٤ .

(٣) هو القاضى أبو بكر محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة البغدادى . كان قاضى السندية وغيرها من أعمال مدينة السلام. وكان مختصاً بحضرة الوزير أبى محمد المهلبى منقطعاً إليه . وهو على ما ذكر ابن خلكان إحدى عجائب الدنيا فى سرعة البديهة وحسن الجواب عن جميع ما يسأل عنه . وله مسائل وأجوبة مدونة فى كتاب مشهور بأيدى الناس ذكر له ابن خلكان بعض الأجوبة على أسئلة هزلية كانوا يضعونها له ، خستها تمنع من ذكرها . توفى لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٧ هـ .

(٤) المخانق : جمع مخنقة وهى القلادة . والبرم : الزهور .



الصفحة الأولى من الجزء الحادى عشر من كتاب الأغانى وهى تشتمل على صورة تمثل مجلساً من مجالس الغناء والطرب وبعض آلات الطرب والمغنيات . منقولة عن بعض أجزاء كتاب الأغانى المخطوطة سنة ٦١٤ ﻫ ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧٩ أدب .


آخر الجزء الحادي عشر من الأغاني ويتلوه إن شاء الله تعالى
في الثاني عشر نسب العتابي وأخباره
هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عبد الله بن عمرو بن كلثوم الشاعر
والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وعلى صحبه وآله الطاهرين وسلامه
كتب هذه الأجزاء محمد بن أبي طالب [illegible]
حامداً لله تعالى على نعمه مصلياً على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين
وذلك في شهور سنة أربع عشرة وستمائة

صورة توضح تاريخ كتابة الأجزاء التى نقلنا منها صور مجالس الغناء والطرب التى ورد ذكرها فى كتاب الأغانى. كل صورة تمثل مجلساً يختلف عن الآخر ويشتمل على بعض آلات الطرب والمغنيات وهى بعض أجزاء كتاب الأغانى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧٩ أدب ومكتوبة سنة ٦١٤ﻫ.

يخضب بالراح شيبه عبثا   أناملاً مثل حُمْرة العَنَمِ[1]
حتى تخال العيون شيبته   شيبة فعلان[2] ضُرِّجت بدَمِ

فإذا أصبحوا عادوا إلى عاداتهم فى التزمُّت والتوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء»[3].

أدب المهلبىّ :

وكان الوزير المهلبىّ شاعراً بليغاً وكاتباً فريداً ، ومن قوله :

« كتابى — أطال الله بقاء سيدنا القاضى — عن سلامة لا زالت له إلفاً وعليه وقفاً :

وحمدٌ لمولَى أستمدّ بحمده   له الرُّتبة العَلْياء والعزّ دائما
وإنْ يَسخَط الأيام بالجمع بيننا   ويَرضَى المُنَى حتى تُرِيَنِيه سالما

وصل كتابه — أدام الله عزّه — فقمتُ معظماً له ، وقعدتُ مشتملا على السرور به :

وفضضتُه   فوجدتُه   ليلا على صفحات نُورِ
مثل السوالف والخدو   ر البيض زُيِّنت بالشُّهورِ
بنظام لفظٍ كالثغو   ر اللآلى فى النحورِ
أنزلتُه فى القلب منـــزلةَ القلوب من الصدور[4]

(١) العنم : ضرب من الشجر له نور أحمر تشبه به الأصابع مخضوبة .
(٢) يريد عثمان بن عفان رضى الله عنه .
(٣) معجم الأدباء (ج ٥ ص ٣٣٤) ويتيمة الدهر (ج٢ ص ١٠٦ طبع بيروت) .
(٤) نشوار المحاضرة (ص ٢٠٨) .

التصوير الخيالى لمجالس الشرب واللهو فى ذلك العصر :

وكتب زعيم الأدباء الكاتب الكبير معالى الدكتور طه حسين باشا يصف هذه المجالس بقوله :

« وكانت اجتماعاتهم ناعمة غضّة ، فيها اللهو وفيها الترف ، وكانوا لا يجتمعون إلا على لذّة ، إلا على كأس تُدار أو إثم يُقترف ، وكانت اللذة والآثام حديثهم إذا اجتمعوا يتحدّثون فيها شعراً ونثراً ، وكان الدين واللغة والفلسفة حديثهم أيضاً ، ولم تكن اجتماعاتهم تخلو دائماً من النساء ، فقد كانت الإماء الظريفات يأخذن منها بنصيب عظيم ، وكانوا يجتمعون فى الحانات والأديرة وفى بيوت الأمراء والوزراء وفى بيوتهم الخاصّة فيلذّون ويتحدّثون .

فأنت تستطيع أن تتنبأ بمقدار ما كان لأحاديثهم هذه من أثر عظيم فى الأدب العربىّ والعقل العربىّ . كانت هذه الأحاديث عذبة غير متكلفة ولا ثقيلة الروح ، كانت تصدُر عنهم عفواً فتمثل عقولهم وشعورهم وقوّة حرصهم على اللذات ، وشدّة شغفهم بالجديد أحسن تمثيل .

وكانت هذه الأندية الأدبية لها أيام بنى العباس أثر فى الأدب لا يمحى ، ويدٌ على الشعر لن ينالها النسيان .

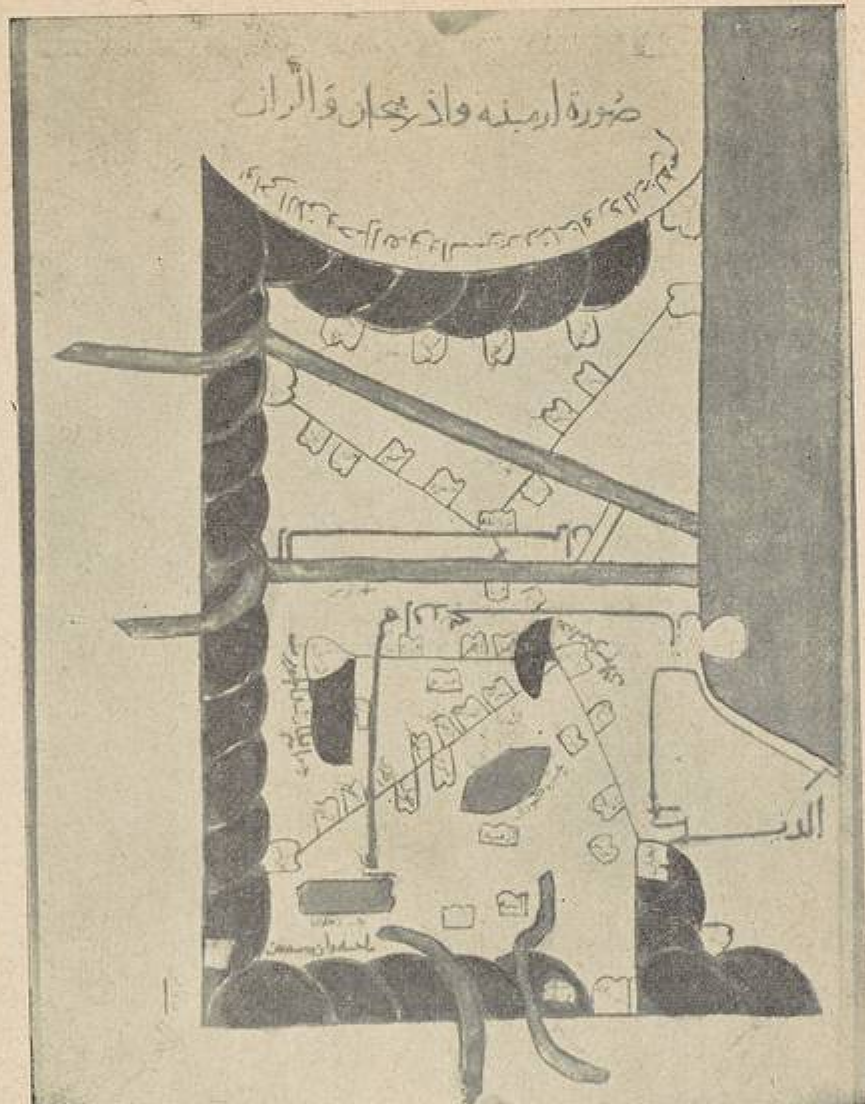
ولم تكن هذه الأندية تجتمع فى أماكن معينة ، أو منازل معروفة ، وإنما كانت تجتمع حيث يتاح لها الاجتماع ، كانت تنتقل بأدبها وعلمها ، وبجدّها وهزلها ، بين مدن العراق المختلفة ، وبين ما كان فى هذه المدن وضواحيها من الحدائق والبساتين ، ومن الأديرة والحانات وبيوت الإثم . وكانت تجتمع بنوع خاص فى قصور الخلفاء والوزراء والقادة وكبار الدولة[1] »

---

(١) حديث الأربعاء (ج ١ ص ٤٠ – ٤١) .



خريطة الديلم ونواحيها قبل زمن أبى الفرج نقلا عن صور الأقاليم السبعة لأبى زيد البلخى
وهو أول مصور جغرافى فى الإسلام . محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٩ جغرافيا .



خريطة الديلم فى عصر أبى الفرج . نقلا من كتاب المسالك والممالك للعلامة أبى القاسم ابن حوقل من علماء القرن الرابع الهجرى . والكتاب محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٨ جغرافيا

من أوصاف الوزير المهلبى :

« كان أبو محمد المهلبىّ يناصف العشرة أوقات خلوته ، ويبسطنا فى المزح إلى أبعد غاية ، فإذا جلس للعمل كان امرءاً وقوراً ومهيباً ومحذوراً ، آخذاً فى الجدّ الذى لا يتخوّنه نقص ، ولا يتداخله ضعف(١) » .

وصف الديلم وعاداتهم :

ولما كان بنو بُوَيْه الذين تغلبوا على ممالك الخلافة فى القرن الرابع الهجرى ، وهم ديالمة(٢) ، ولغتهم فارسية ، نذكر كلمة فى وصفهم وعاداتهم للعلامة المقدسىّ قال :

« وآل ديلم حسان اللحى والوجوه أيضا ، ولهم طلل ، ولهم رسوم عجيبة لا يزوّجون إلى غيرهم . وكنتُ فى بعض الخانات فإذا بصبيّة تعدو ورجل شاهر سيفه يعدو خلفها يروم قتلها . فقلت : ما فعلت حتى استوجبت القتل؟ قال : إنها زوّجت إلى غيرنا وقتل من فعل ذلك واجب عندنا . وإذا كان لهم مأتم كشفوا رءوسهم واجتمعوا ، وقد التفّ المعزِّى والمعزَّى فى الأكسية وأداروها على رءوسهم ولحاهم . ولهم مجالس فى السكك والأسواق مرتفعة يجتمعون بها بأيديهم الزُّوبينات(٣) وعليهم الأكسية الطبرية يسمون العالم معلّماً ، وربما تعلقوا بى وقالوا : « لوك » معلم ، واللوك : هو الجيد ، ولا رَسم لهم فى بيع الخبز ويَخْفُرون مَن تساءل ، وإنما ينبغى للغريب أن يقصد دورهم فيأخذ

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٣ ص ١٨٦ طبعة هندية) .

(٢) ينسبون إلى الديلم . وهى ناحية واسعة بين طبرستان وأذربيجان على بحر قزوين . قاعدتها مدينة « رشت » خرج منها طائفة من دول الشرق . مثل : بنى بويه بالعراق ، وبنى مرداويج بجرجان وغيرهم . وهى الآن إقليم جيلان بمملكة إيران (معجم الخريطة الإسلامية للمرحوم أمين واصف بك) .

(٣) الزوبينات : الرماح القصيرة (انظر الألفاظ الفارسية المعربة ص ٨١ طبع بيروت) .

من الطعام ما يحتاج إليه . ولهم أسواق على أيام الجمعة فى السهل ، لكل قرية يوم ، فإذا فرغوا انحاز الرجال والنساء إلى معزل يتصارعون فيه ، ورجل جالس معه حبل ، كل من غلب عقد له عقدة ، فإذا هوى الرجل امرأة راح معها فيتلقاه أهلها بالبشر والترحيب ، ويتباهون به إذ رغب فى كرمهم فيضيفونه ثلاثة أيام ، ثم ينادى المنادى بعد ما اجتمع معها أسبوعاً فى عمارة له بمعزل فيجتمعون ويخطون . وسألتُ أبا ثابتة الأنصاريّ قلت : هل يُصيبها قبل العقد ؟ قال : لو علموا بذلك قتلوه . وكثيراً ما حضرتُ عقود أهل بيار يجتمع الناس بعد العتمة مع كل رجل قارورة من ماء ورد والنيران تقد على باب الختن والعروس فيبدأ بعض المشايخ فيخطب خطبة بليغة يطلب فيها الزوجين ويطلب المرأة ثم يجيبه آخر من قبل العروس فى خطبة بأحسن جواب . وأكثرهم خطباء أدباء ثم يعقدون النكاح(١) . . . . إلخ » .

زيهم الخاص بهم :

ولقد كان للديلميين عمامة خاصة ، ومشية خاصة ، وقد أشار إليهما ياقوت فى معجمه فى ترجمة أبى الفتح بن العميد قال :

« حدث أحد أصحاب أبى الفضل بن العميد المختصين به قال : كان أبو الفتح بن أبى الفضل يباكر أباه فى كل يوم ، ويدخل إليه قبل كل أحد ، فاتفق أن دخل يوماً وأنا جالس عنده فلما رآه مقبلا فى الصحن وشاهد عمته ، وكانت ديلمية ، ومشيته وهو يختال فيها ويسرف فى تلويها عجب من ذلك وقال لى : أما ترى إلى هذه العمة وهذه المشية فى مخالفتها لعادتنا ، ومفارقتها طريقتنا ، فقلت : قد رأيت ، وإن رسم الأستاذ أن أخاطبه فيها وأنهاه عنها فعلتُ ، فقال : لا تفعل فإنه قصير العمر ، وما أحبّ أن أدخل على قلبه همًّا ولا أمنعه هوى(٢) » .

---

(١) أحسن التقاسيم للمقدسى (ص ٣٦٨–٣٧٠ طبع أوربا) .

(٢) معجم الأدباء (ج ٥ ص ٣٥٣ – ٣٥٤ طبعة هندية) .

استيلاء آل بُوَيْه على بغداد ووصول معزّ الدولة إليها :

فى ثانى عشر جمادى الأولى من سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) تمّ استيلاء آل بُويْه على بغداد بوصول معزّ الدولة أبى الحسين أحمد بن بُوَيْه إليها، واجتمع بالخليفة العباسىّ المستكفى بالله أبى القاسم عبد الله، وبايعه، وحلف له المستكفى وخلع عليه، ولقبه فى ذلك اليوم بمعزّ الدولة، وأمر أن تضرب ألقاب بنى بُوَيْه وكناهم على الدنانير والدراهم، ونزل معزّ الدولة بدار مؤنس(٢)، وأنزل أصحابه فى دور الناس، فلحق الناس من ذلك شدّة عظيمة، وصار رسماً عليهم بعد ذلك. وهو أول من فعله ببغداد، ولم يعرف بها قبله. ورتب معزّ الدولة للمستكفى كلّ يوم خمسة آلاف درهم يتسلمها كاتبه لنفقات الخليفة(٣).

وهو أوّل مَن وضع السعاة ببغداد ليجعلهم رُسلا بينه وبين أخيه ركن الدولة إلى الرىّ. وكان له ساعيان: فضل ومرعوش، وكان كلّ واحد منهما يمشى فى اليوم ستة وثلاثين فرسخا فضرىَ(٤) بذلك شباب بغداد وانهمكوا فيه، حتى نَجبَ منهم عدّة سُعاة(٥).

زوال سلطة الخليفة العباسىّ :

وباستيلاء آل بُوَيْه على بغداد زال ما كان باقياً من النفوذ للخليفة

(١) هو أبو الحسين أحمد بن بويه وكان أصغر إخوته سناً، وأكثرهم سعادة، وأوسعهم ملكاً. وكان ملكاً شجاعاً مقداماً قوى القلب، صلب العود، أبي النفس وكانت وفاته فى ربيع الآخر سنة ٣٥٥ هـ (نهاية الأرب القسم الأول من الجزء الرابع والعشرين ورقة ٦٠ و ٦٤ من النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة).

(٢) هى دار مؤنس الخادم ثم سكنها ابن رائق (راجع النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٧٤ طبع دار الكتب المصرية).

(٣) الكامل لابن الأثير (ج ٨ ص ٣٣٧ طبع أوربا).

(٤) ضرى فلان بالشىء ضراوة: لهج به وحرص عليه.

(٥) النجوم الزاهرة (ج ٣ ص ٢٨٥ طبع دار الكتب المصرية).



نقود الراضي بالله محمد أحد الخلفاء العباسيين المعاصرين لأبي الفرج تولى الخلافة ببغداد من سنة ٣٢٢ هـ (٣٩٤ م) إلى سنة ٣٢٩ هـ (٩٤١ م)



نقود المطيع لله الفضل أحد الخلفاء العباسيين المعاصرين لأبي الفرج تولى الخلافة ببغداد من سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) إلى سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م)

العباسىّ فى الدولة الإسلامية ، وأصبحوا من ذلك اليوم أصحاب السيطرة والسلطان فى أمور الدولة ، واستمروا أسياداً على بغداد والعراق نحو قَرْن من الزمن ، وتمكّنوا فى أثنائه من القضاء على سلطان الأتراك ونفوذهم ، وطردوا بنى حَمدان من الموصل وحكموا الجزيرة ، والعراق العربىّ، وغربى بلاد العجم حكماً فعلياً .

وبنو حَمدان هم الذين وصفهم أبو منصور الثعالبىّ فى اليتيمة بقوله :

«كان بنو حَمدان ملوكاً وأمراء ، أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم ، وحضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال، ومحط الرحال ، وموْسم الأدباء ، وحَلبة الشعراء[1] » .

تشيُّع معزّ الدولة وسببه :

وكان معزّ الدولة متشيّعاً لأنه من الديلم الذين كانوا يتشيّعون ويغالون فى التشيع ويعتقدون أنّ العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها فلم يكن عندهم باعث دينىّ يحثهم على الطاعة ، حتى إنّ معزّ الدولة استشار جماعة من خواصّ أصحابه فى إخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعزّ لدين الله العلوىّ ، أو لغيره من العلويين ، إذ تلقوا المبادئ الإسلامية على يد الحسن بن زيد ، والحسن الأطروش ، وكلاهما زيدىّ ومن غُلاة الشيعة ، فكلهم أشار عليه بذلك ما عدا بعض خواصّهم ، فإنه قال : ليس هذا برأى ، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك مَن يعتقد أنت وأصحابك صحّة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوه ، فأعرض عن ذلك متبعاً نصيحة الناصحين ، وأبقى اسم

---

(١) يتيمة الدهر (ج ١ ص ٨ طبع بيروت) .

الخلافة للعباسيين وانفرد هو بالسلطان[١] .

« وكانت الشيعة يتأكدون السنة بالتختم بأبيضها . والسُّنة يتأكدون الشيعة بالتختم بالسواد ، فيأتون بالعلم الأسود والعلم الأبيض مكان العقيدة والمذهب[٢] » .

وضع تأليف مزيف لمآثر بنى بويه وتاريخهم :

« ونقم عضد الدولة على إبراهيم بن هلال الصابئ فحبسه ، وكان قد خدم الخلفاء والأمراء من بنى بويه والوزراء ، وتقلد أعمالا جليلة . فسئل فيه وعرف بفضله فقال عضد الدولة : قد سوغته نفسه ، فإن عمل كتاباً فى مآثرنا وتاريخنا أطلقته ، فشرع فى محبسه فى « كتاب التاجى » فى أخبار بنى بويه . وقيل : إن بعض أصدقائه دخل عليه الحبس وهو فى تبييض وتسويد فى هذا الكتاب ، فسأله عما يعمله ، فقال : أباطيل أنمقها ، وأكاذيب ألفقها !

فخرج الرجل وأنهى ذلك إلى عضد الدولة ، فأمر بإلقائه تحت أرجل الفيلة ، فشفع فيه بعضهم فبقى فى السجن بضع سنين إلى أن تخلص فى أيام صمصام الدولة بن عضد الدولة[٣] »

(١) الكامل لابن الأثير (ج ٨ ص ٣٣٩ طبع أوربا) .
(٢) جواهر البيروني (ص ٢١٥) .
(٣) معجم الأدباء لياقوت (ج ١ ص ٣٢٥ طبعة هندية) .

الفصل الثالث

الحياة العلمية والأدبية

دراسة وتحليل :

ولما كانت الحياة العلمية والأدبية بلغتا شأواً عظيماً فى عصر أبى الفرج وظهر أثرهما فيمن نبغ من العلماء وأئمة الأدب العربىّ ، آثرنا أن نذكر نبذة تاريخية عن حالة الدراسة والتعليم من ظهور الإسلام حتى عصر أبى الفرج .

معاهد التعليم فى صدر الإسلام :

كان الكتّاب أوّل هذه المعاهد ، وكان يتعلّم فيه الصّبيان مبادئ القراءة والكتابة والقرآن(١) .

ولما كانت دار العلم فى مقدمة الأمور التى عنى بها المسلمون ، فكان المسجد أوّل مكان اتخذ لتعليم القرآن الكريم والحديث الشريف ، فكان أوّل دار علم فى الإسلام .

ومن ذلك الحين اتخذ المسلمون الجامع مكاناً للتعليم . فالمسجد فى الإسلام لم يكن مكاناً للعبادة فحسب ، ولكن كانت تؤدّى فيه أعمال أخرى ، فقد كان محكمة للتقاضى ، ومعهداً هامًّا للدراسة(٢) . فمن مبدإ الإسلام جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذ منه مجلساً للقضاء ومدرسة للتعليم ، ففى البخارىّ أنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فوقف اثنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أحدهما

(١) تاريخ التربية لمصطفى أمين بك (ص ١٦٧) .
(٢) الفاطميون فى مصر للدكتور حسن إبراهيم حسن بك (ص ١١٩) .

فرجة من الحلقة فجلس وجلس الآخر خلفه[١] واستمر المسجد مكاناً لتعليم القرآن والحديث واللغة والفقه ، حتى تنوّعت العلوم فى العصر العباسىّ ، فتنوّعت كذلك حلقات الدرس ، فكان فى مسجد البصرة مثلا حلقة للجدَل ، وحلقات أخرى للشعر .

حدّث خلاّد الأرقط قال : جاءنا مروان بن أبى حفصة إلى حلقة يونس فأخذ بيد خلف الأحمر فأقامه ، وأخذ خلف بيدى فقمنا إلى دار أبى عمير فجلسنا فى الدهليز ، فقال مروان لخلف[٢] . . . . إلخ » .

اتخاذ المساجد والجوامع معاهد للتعليم :

ومن هذا نعلم أنهم كانوا يعقدون بالمساجد والجوامع حلقات لإقراء العلوم لا تكاد تخلو حلقة منها من التدريس أثناء اليوم ، كالمسجد الجامع ببغداد الذى بناه أبو جعفر المنصور ، وزاد فيه لضيقه المعتضد بالله ، ومسجد الرصافة الذى بناه المهدى .

وقال ثعلب : « إنه شاهد ابن الأعرابىّ ، وكان يحضر مجلسه زُهاء مائة إنسان ، كل يسأله أو يقرأ عليه ويجيب من غير كتاب . قال : ولزمته بضعة عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قطّ . وما أشكّ فى أنه أملى على الناس ما يحمل على أجمال ، ولم ير أحد فى علم الشعر واللغة أغزر منه » .

وقال محمد بن الفضل الشعرانىّ : « كان للناس رؤساء : كان سفيان الثورىّ رأساً فى الحديث ، وأبو حنيفة رأساً فى القياس ، والكسائىّ رأساً فى القرآن ، فلم يبن الآن رأس فى فنّ من الفنون أكبر من ابن الأعرابىّ فإنه رأس فى كلام العرب . وكان من وسم بالتعليم . فكان يأخذ كل شهر ألف درهم فينفقها على أهله وإخوانه[٣] » .

---

(١) ضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين بك (ج ٢ ص ٥٢) .
(٢) الأغانى (ج ١٠ ص ٨١ طبع دار الكتب المصرية) .
(٣) معجم الأدباء لياقوت (ج ٧ ص ٦٠٥ طبعة هندية) .

مناقشاتهم العلمية وأدب التلميذ فى توجيه السؤال إلى أستاذه :

وفى ترجمة أبى بكر بن الأنبارىّ النحوىّ اللغوىّ وهو من شيوخ أبى الفرج « أنه كان يُملى فى ناحية من المسجد وأبوه فى ناحية أخرى.

وكان يملى كتبه المصنفة. ومجالسه المشتملة على الحديث والتفسير والأخبار والأشعار كل ذلك من حفظه[١] » .

وكان يُلقى درسه كلّ يوم جمعة ، ويستدلّ على هذا ما حكاه تلميذه أبو الحسن الدّارقُطنىّ قال : « إنه حضر مجلس إملائه فى يوم جمعة فصحف اسماً أورده فى إسناد حديث – إما كان حبان فقال حَيان – قال الدّارقُطنىّ : فأعظمتُ أن يُحمل عن مثله فى فضله وجلالته وَهمٌ ، وهبتُ أن أوقفه على ذلك . فلما فرغ من إملائه تقدّمتُ إليه فذكرتُ له وَهمه وعرّفته صواب القول فيه وانصرفتُ . ثم حضرتُ الجمعة الثانية مجلسه ، فقال أبو بكر للمستملى : عرف جماعة الحاضرين أنا صحّفنا الاسم الفلانى لما أملينا حديث كذا فى الجمعة الماضية ونبهنا ذلك الشابّ على الصواب وهو كذا وعرّف ذلك الشابّ أنّا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال[٢] » .

المحاضرات العامة والمناقشات كالتى تقوم به الجامعات الآن :

والذى يُخيل إلينا أنّ هذا المجلس ، الذى كان يُعقد أسبوعياً ، لم يكن يُقصد به طلبة العلم النظاميون . بل كان من نوع المحاضرات العامّة والمناقشات التى تقوم به الجامعات الآن ، رغبة فى تيسير العلم للجمهور ، والظاهر أن مثل هذه المجالس كان شائعاً فى بغداد ، فضلا عن الدروس التى كان الطلاب يتلقونها بانتظام .

---

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٧ ص ٧٣) .

(٢) معجم الأدباء لياقوت (ج ٧ ص ٧٣ – ٧٤ طبعة هندية) .

وفى الأندلس فى عصر أبى الفرج كانت تُلقى أيضاً هذه المحاضرات العامة ، فقد حدّث الإمام الجليل أبو علىّ القالى فى أماليه أنه أملى كتابه من حفظه فى أيام الأخمسة بقرطبة فى المسجد الجامع بالزهراء فقال :

« لما رأيت العلم أنفسَ بضاعة ، أيقنتُ أنّ طلبه أفضلُ تجارة ، فاغتربتُ للرواية ، ولزمتُ العلماء للدراية ، ثم أعملتُ نفسى فى جمعه ، وشغلتُ ذهنى بحفظه ، حتى حَويتُ خطيره ، وأحرزتُ رفيعه، ورويتُ جليله ، وعرفتُ دقيقه ، وعقلتُ شارده ، ورويتُ نادره ، وعلمتُ غامضه ، ووعيت واضحه .... فأمللتُ هذا الكتاب من حفظى فى الأخمسة بقرطبة ، وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة ، وأودعته فنوناً من الأخبار ، وضروباً من الأشعار ، وأنواعاً من الأمثال ، وغرائب من اللغات (١) .. إلخ » .

قال أحمد بن الحسن بن جعفر : ذكر ابن الثلاج أنه حدّثه فى جامع الرصافة عن محمد بن سليمان بن الحارث الباغندىّ . وكان ابن الثلاج موجوداً سنة ٣٢٥ (٢) .

وكان محمد بن أحمد بن محمد بن فارس ذا حفظ ومعرفة وأمانة وثقة ، مشهوراً بالصلاح قال الخطيب البغدادىّ فى تاريخه : « سمعتُ منه بعض أماليه ، وقرأتُ عليه قطعة من حديثه ، وكان يسكن بالجانب الشرقى ويُملى فى جامع الرّصافة . ولد سنة ٣٣٨ هـ ، وتوفى فى يوم الأربعاء السادس عشر من ذى القعدة سنة ٤١٢ هـ (٣) » .

وقال العلامة اللغوىّ النحوىّ أحمد بن فارس : « دخلتُ بغداد طالباً للحديث فحضرتُ مجلس بعض أصحاب الحديث وليست معى قارورة ، فرأيت شابًّا عليه سمة جمال فاستأذنته فى كتب الحديث من قارورته ، فقال :

(١) راجع الجزء الأول ص ١ و ٣ طبع دار الكتب المصرية (تصحيح وتحقيق وشرح مؤلف هذا الكتاب) .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب (ج ٤ ص ٩٠ طبع مصر) .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب (ج ١ ص ٣٥٣ طبع مصر) .

مَن انبسط إلى الإخوان بالاستئذان فقد استحقّ الحرمان(١) » .

وقال ياقوت الحمويّ فى معجمه :

« وكان أبو الفرج المبارك بن سعيد الحماميّ المؤدّب يسكن قراح بنى رزين من بغداد، وله به مكتب يعلم فيه الصبيان . وكان أديباً فاضلا وشيخاً صالحاً ، تخرّج به خلق كثير ، وكان محمود السيرة ، مشكوراً عند الناس ، وكان داهية على الصبيان ، وكان أولاد الأكابر يقصدون مكتبه من جميع بغداد لما شاع من خيره وصلاحه ، أدركت زمانه ورأيتُ مكتبه وكان مكتباً حفيلا مُزدحماً(٢) » .

مكانة المعلم واحترامه من تلاميذه :

ومن سموّ مكانة المعلم واحترامه من تلاميذه ما حدّث به محمد بن إسحاق النديم قال :

« قرأتُ بخط أبى الطيب بن أخى الشافعىّ قال : أشرفَ الرشيد على الكسائىّ وهو لا يراه فقام الكسائىّ ليلبس نعله لحاجة يريدها فابتدرها الأمين والمأمون ، وكان مؤدّبهما فوضعاها بين يديه فقبّل رأسيهما وأيديهما ثم أقسم عليهما ألاّ يعاودا ، فلما جلس الرشيد مجلسه قال : « أىّ الناس أكرم خدما ؟ » قالوا : « أمير المؤمنين أعزه الله » . قال : بل الكسائىّ يخدمه الأمين والمأمون وحدّثهم الحديث(٣) » .

مسجد خاصّ لدروس التشيّع وسبّ الصحابة :

وكان ببغداد فى الموضع المعروف ببرثاثا مسجد يجتمع فيه قوم ممن ينسب

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ١٠ طبعة هندية) .

(٢) معجم الأدباء لياقوت (ج ٦ ص ٢٢٨ طبعة هندية) .

(٣) فهرست ابن النديم (ص ٦٥ طبع أوربا)، ومعجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٩٥ طبعة هندية) .

إلى التشيُّع ويقصدونه للصلاة والجلوس فيه ، فرفع إلى المقتدر بالله أن الرافضة يجتمعون فى ذلك المسجد لسبّ الصحابة والخروج عن الطاعة ، فأمر بكبسه يوم جمعة وقت الصلاة ، فكبس وأخذ مَن وجد فيه فعوقبوا وحبسوا حبساً طويلا ، وهدم المسجد حتى سُوِّىَ بالأرض وعفى رسمه ووصل للمقبرة التى تليه ، ومكث خراباً إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، فأمر الأمير « بجكم » بإعادة بنائه وتوسعته وإحكامه ، فبنى بالجصّ والآجر وسقف بالساج المنقوش ، ووسع فيه ببعض ما يليه مما ابتيع له من أملاك الناس وكتب فى صدره اسم الراضى بالله . وكان الناس ينتابونه للصلاة فيه والتبرك به ، ثم أمر المتقى بالله بعدُ بنصب منبر فيه كان بمسجد مدينة المنصور معطلا مخبوءاً فى خزانة المسجد عليه اسم هارون الرشيد ، فنصب فى قبلة المسجد وتقدم إلى أحمد بن الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ ، وكان الإمام فى جامع الرصافة، بالخروج إليه والصلاة بالناس فيه الجمعة، فخرج وخرج الناس من جانبى مدينة السلام حتى حضروا فى هذا المسجد ، وكثر الجمع هناك وحضر صاحب الشرطة فأقيمت صلاة الجمعة اثنتى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وتوالت صلاة الجمعة فيه وصار أحد مساجد الحضرة وأفرد أبو الحسن أحمد بن الفضل الهاشمى بإمامته ، وأخرجت الصلاة بمسجد جامع الرصافة عن يده (١) .

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب (ج ١ ص ١٠٩ طبع مصر) .

الفصل الرابع

اعتماد العلماء على الحفظ

ويجمل بنا أن نذكر فى هذا المقام ما كتبه العالم الباحث المحقق أستاذنا المرحوم أحمد زكى باشا فى كتابه «الحضارة الإسلامية» فى هذا الموضوع إتماماً للفائدة وتعميما للنفع ونصه : «ولقد كان العلماء وقتئذ يفاخر بعضهم بعضاً بالحفظ ، وقلما يكون لأحدهم كتاب واحد يعتمد عليه فيما يزاول ، وكان بعضهم يهلك كتبه خوفاً من الاتكال عليها .

يؤيد ذلك أن أول ما اشتغل به علماء العرب من العلوم هو تفهم القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب . وقد أجمع العلماء أمرهم على أن هذه الأشياء الثلاثة لا بدّ فيها من السماع والسند الصحيح ، فمن لم يسمعها بإسناد لا يعدّ عالماً فيها . ولذلك لا يعترف أئمة الحديث واللغة الذين حصلوا علمهم بالرواية كالإمام الحافظ المرحوم الشيخ محمد محمود التركزيّ الشنقيطيّ نزيل القاهرة فى آخر أيامه (١) لا يعترف مثل هؤلاء لمصريّ بعلم الحديث واللغة لانقطاع السماع عنا فى هذه البلاد .

وإذا كان السماع هو العمدة فى صدر الإسلام ، كانت الكتب بالضرورة غير معتدّ بها ، ولا معوّل عليها فى شىء ، إذ المسألة مسألة حفظ محض .

إنّ الصحابة والتابعين لقرب عهدهم بصاحب الشريعة الإسلامية . ولقلة الاختلاف والواقعات ، ولتمكنهم من مراجعة الثقات ، كانوا لكل ذلك

(١) توفى بالقاهرة قبيل غروب يوم الجمعة ٢٣ شوال سنة ١٣٢٢ هـ . وكالعلامة الحافظ المحدث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى نزيل القاهرة ومدرس الحديث بكلية أصول الدين . توفى بالقاهرة يوم الأربعاء ٧ من صفر سنة ١٣٦٣ هـ (٢ فبراير ١٩٤٤ م) .

مستغنين عن تدوين علم الشرائع والأحكام حتى إن بعضهم كره كتابة العلم . فقد روى عن ابن عباس — رضى الله عنه — أنه نهى عن الكتابة وقال : « إنما ضلَّ مَن كان قبلكم بالكتابة » . وجاء رجل إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنه فقال : إنى كتبت كتاباً أريد أن أعرضه عليك ، فلما عرضه عليه أخذه منه ومحاه بالماء فقيل له : لماذا فعلتَ ذلك ؟ قال : لأنهم إذا كتبوا اعتمدوا على الكتابة وتركوا الحفظ فيعرض للكتاب عارض فيفوت علمهم .

ولذلك نبغ الحفاظ فى هذه الأمة وأكثرهم فى الحديث والشعر واللغة ، حتى كان الرجل منهم يتصدّر فى مجلس العلم فيملى من محفوظه ما شاء الله لا يرجع إلى كتاب وتبقى أماليه مرجعاً للباحثين والطلاب . وهذه كتب الأمالى أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر بالشرق والأندلس ؛ وقد وصف العلماء « الأمالى » فقالوا : هو جمع إملاء ، وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً ويسمونه الإملاء والأمالى . وقد روى صاحب (١) كشف الظنون أسماء بعض كتب فى الأمالى نروى هنا بعضها فمنها :

١ — (الأمالى الخمسمائة) للإمام أبى سعيد عبد الكريم بن محمد السمعانى المروزى الشافعىّ المتوفى سنة ٥٥٢ هـ .

٢ — (أمالى ابن الحاجب) المتوفى سنة ٦٧٢ هـ فيه تفسير بعض الآيات وفوائد شتى من النحو على مواضع من المفصل ومواضع من الكافية فى

---

(١) هو كاتب جلبى ، المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطينى مولدا ومنشأ الشهير بحاجى خليفة هكذا ذكر عن نفسه فى كشف الظنون فى كلامه على كتابه (تقويم التواريخ) فى حرف التاء ، ويعرف أيضاً بكاتب جلبى ، وشهرته بحاجى خليفة لأنه كان الخليفة الثانى فى ديوان المحاسبة ولد سنة ١٠٠٠ وتوفى سنة ١٠٦٧ كما فى جميع تراجمه أو سنة ١٠٦٨ كما فى السجل العثمانى (راجع ترجمته فى قاموس الأعلام ج ٥ ص ٣٨٠٦ وفى أسامى للمعلم ناجى ص ٢٦١ وفى الفوائد البهية ص ١٩ فى التعليقات وفى السجل العثمانى ج ٤ ص ٣٩٥) .

غاية من التحقيق .

٣ ـ أمالى ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

٤ ـ أمالى ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ ، وهى فى العربية .

٥ ـ أمالى ابن الشجرىّ المتوفى سنة ٥٧٢ هـ ، وهى ثمانية مجلدات فى خمسة فنون من الأدب . قال ابن خلكان : أملاه فى أربعة وثمانين مجلساً .

٦ ـ أمالى ابن عساكر فى الحديث ، وهو صاحب التاريخ الكبير المتوفى سنة ٥٧١ هـ .

٧ ـ أمالى أبى بكر بن الأنبارى .

٨ ـ أمالى أبى العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ هـ ، وهو مائة كراسة ولم يتمه .

٩ ـ أمالى الإمام أبى يوسف يعقوب بن إبرهيم الأنصارى الحنفى المتوفى سنة ١٨٣هـ ، وهى فى الفقه ، يقال إنها أكثر من ثلاثمائة مجلد .

١٠ ـ أمالى جار الله الزمخشرى .

١١ ـ أمالى الزجاج فى النحو ، وهو أبو إسحق إبرهيم بن محمد النحوىّ المتوفى سنة ٣١٢ هـ ، وهى ثلاثة : الكبرى والوسطى والصغرى .

١٢ ـ أمالى القالى فى اللغة ، وهو الشيخ أبو على إسماعيل بن القاسم اللغوىّ المتوفى سنة ٣٥٦ هـ .

ولما كانت عناية القوم منصرفة إلى الحديث كثُر الحفاظ فى هذا الفنّ ، وأتوا بالغرائب وبالبدائع ، فقد كان معظمهم لا يرجع إلى كتاب ، ولا يقتنى كتاباً ، وإنما يتفجر علمهم من المحفوظ فى صدورهم ، ولم يكن الرجل يستحقّ لقب « الحافظ » إلا إذا بلغ محفوظه من ثلاثة آلاف حديث

فما فوق . ونشير من باب الدلالة إلى بعض أفراد من الحفاظ مثل : ابن غياث الكرخيّ الذى حفظ ثلاثة آلاف حديث ، وابن درهم الذى حفظ أربعة آلاف حديث ، وابن عيينه الذى حفظ سبعة آلاف حديث . وأما الذين اشتهروا بحفظ عشرة آلاف فهم كثيرون مثل : شُعبة وحماد الربعىّ والمروزىّ وغيرهم ، وهناك مَن ضاعف هذا العدد مثل : أبي سعيد عبد الرحمن بن مهدىّ ، وابن عياش ، والاسفرايني . وأما سفيان الثورى فكان يحفظ ثلاثين ألف حديث ، وأبو خالد بن يزيد كان يقول : أحفظ أربعة ألف حديث بالإسناد ولا فخر ، وأحفظ للشاميين عشرين ألفاً لا أسأل عنها . وأما الختلىّ البغدادىّ والعبدىّ البصرىّ فكانا يحفظان خمسين ألفاً ، وابن أبي عاصم نهب الزنج كتبه فى فتنة بالبصرة فأعاد من حفظه خمسين ألفاً . وأما البخارىّ فكان يحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتى ألف حديث غير صحيح . ونهاية ما وصل إليه البشر ما بلغه ابن حنبل ، قالوا : إنه حفظ ألف ألف حديث . كذلك كان شأنهم فى الأدب واللغة فقد أملى ابن الأنبارىّ من غريب الحديث من محفوظه ما ملأ خمسة وأربعين ألف ورقة ، وكان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهداً للقرآن ، وابن أبي هاشم البغدادىّ ، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة فى اللغة خلاف الكتب الكثيرة التى صنفها من غير أن يرجع إلى كتاب [1] »

---

(١) كتاب الحضارة الإسلامية (ص ٧٧ - ٧٩) .

الفصل الخامس

إنشاء المكتبات

وكان فى كل مسجد خزانة كتب للمطالعة والدرس[1] .

وقد بنى الخلفاء والأمراء دوراً للعلم والحكمة كانت تحوى كل منها مكتبة تفتح لطلاب العلم وأهله، وبعضها يجرى فيها أرزاق على المشتغلين بالعلم، وبعضها كانت مراكز للنقل والترجمة ، ولم يكن للمكتبات شأن كبير قبل النهضة العباسية[2] ، فلما نشطت حركة الترجمة والتأليف فى العصر العباسىّ وتقدّمت صناعة الورق كثرت المكتبات التى كانت تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية ، وصارت هذه المكتبات من أهم مراكز التعليم .

ومن أكبر خزائن الكتب فى العراق فى العصر العباسىّ « بيت الحكمة » ويعدّ فى الواقع معهداً عالياً للعلوم العالية كالرياضيات والفلك وغيرها[3] وهو الذى أنشأه الرشيد وعظم شأنه فى زمن المأمون .

وكانت رسالة بيت الحكمة الأساسية ، ترجمة الكتب اليونانية إلى العربية على يد ابن ماسَوَيه وابن إسحاق ، وقد كان سَلم خازن بيت الحكمة فى زمن المأمون ، وممن حاضر فيه وألقى دروسا الإمام الخوارزمىّ[4] .

فإنشاء هذا المعهد العالى كان نتيجة لهذا التقدّم العلمىّ فى العصر العباسىّ؛ ومما لا شكّ فيه أنه ساعد على نشر التعليم بين جمهور المسلمين .

(١) تاريخ التمدن الإسلامى لجرجى زيدان (ج ٣ ص ٢٠٠) .

(٢) تاريخ الإسلام السياسى (ج ٢ ص ٢٥٨) .

(٣) تاريخ التربية عند العرب ا ص ١٥) .

(٤) راجع كتاب صور من التاريخ العربى لنقولا زيادة (ص ٢٤١ - ٢٤٣) .

تنظيم مكتبة الصولى وترتيبها البديع :

وكان لمحمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول أبى بكر المعروف بالصولىّ ، وهو أحد العلماء بفنون الآداب ومن المعاصرين لأبى الفرج مكتبة عظيمة منسقة ومرتبة أبدع ترتيب . قال الأزهرىّ : وسمعت أبا بكر بن شاذان يقول : رأيت للصولىّ بيتاً عظيما مملوءاً بالكتب وهى مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان ، كل صفّ من الكتب لون ، فصفّ أحمر ، وآخر أخضر ، وآخر أصفر وغير ذلك ، قال : وكان الصولىّ يقول : هذه الكتب كلها سماعى«(١) .

وهذا الترتيب البديع هو أحدث نظام متبع الآن فى ترتيب مكتبات أوربا .

ولم يكن إنشاء دور الكتب مقصوراً على العراق بل قامت فى مصر والأندلس دور كتب خاصّة تعهدّها الخلفاء والأمراء والوزراء ، وكانت عاملا كبيراً فى تسهيل دراسة العلم والتعليم ، كذلك لم يكن التعليم مقصوراً على الجوامع والمساجد ، فكثيراً ما كانوا ينسّقون حلقات التدريس فى المستشفيات والرباطات وغيرها من الأماكن(٢) .

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب (ج ٣ ص ٤٣١ طبع مصر) .

(٢) تاريخ التمدن الإسلامى لجرجى زيدان (ج ٣ ص ٢٠٠ وما يليها) ، وتاريخ التربية لمصطفى أمين بك (ص ١٧٢) .

الفصل السادس

الدروس الخاصة لأولاد الخلفاء والأمراء والوزراء

أما الأغنياء كالخلفاء والأمراء والوزراء فكانوا يعهدون إلى معلمين لتعليم أبنائهم ويغدقون عليهم بالعطايا والأموال .

وكان علىّ بن الحسن الأحمر صاحب الكسائىّ مؤدّب الأمين لم يصر إلى أحد قط من التأديب ما صار إليه ، خلف الكسائى فى تعليم أولاد الرشيد ، وأدخل إلى الدار وفرش البيت الذى فيه فرش حسن . وكان الخلفاء إذا أدخلوا مؤدّباً إلى أولادهم فجلس أوّل يوم أمروا بعد قيامه بحمل كل ما فى المجلس إلى منزله مع ما يوصل به ويوهب له . فلما أراد الأحمر الانصراف إلى منزله دُعىَ بحمالين فحمل معه ذلك كله مع بزّ كثير . فقال الأحمر : والله ما يسع بيتى هذا وما لنا إلا غرفة ضيقة ليس فيها مَن يحفظه غيرى فى بعض الخانات ، وإنما يصلح مثل هذا لمن له دار وأهل وكلّ شىء يشاكله ، فأمر بشراء دار له وجارية وحمل على دابّة ووهب له غلام وأقيم له جار ولمن عنده[1]

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نشير إلى ما كان لمجالس المناظرة[2] فى قصور الخلفاء والأمراء والوزراء — وقد زُخرفت وزينت بأبهى المناظر وأجملها — أو المساجد من أثر فى التعليم ، فقد كانت هناك مناظرات بين العلماء وعلى الأخصّ فى العصر العباسىّ فى الفقه والنحو والصرف وفى اللغة والمشاكل الدينية ، وساعدت هذه المناظرات التى قامت فى جميع البلاد الإسلامية على توضيح كثير من المشاكل الدينية واللغوية والعلمية بوجه عامّ .

---

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٠٩ طبعة هندية) .

(٢) عقد الإمام الغزالى فى كتابه فاتحة العلوم ص ٤٧ وما يليها فصل عن المناظرة بين فيه نشأتها وفوائدها وآفاتها .

الفصل السابع

هل كان التعليم مهنة فى صدر الإسلام

ولم يكن التعليم فى صدر الإسلام مهنة للمسلمين ، أو صناعة لهم اتخذوها لكسب عيشهم ، بل علموا القرآن لغرض دينىّ ، هو القربى إلى الله تعالى ، وابتغاء مرضاته ونشر دعوته وخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إصلاح أمته كما قال الإمام الغزالىّ فى كتابه فاتحة العلوم[1] .

رأى العلامة ابن خلدون فى هذا القول :

ويؤيد هذا القول ما ساقه العلامة ابن خلدون فى مقدمته :

« وإن التعليم فى صَدْر الإسلام والدولتين لم يكن كذلك ، ولم يكن العلم بالجملة صناعة إنما كان نقلا لما سمع من الشارع ، وتعليما لما جهل من الدين على جهة البلاغ . فكان أهل الأنساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ الخبرىّ لا على وجه التعليم الصناعىّ ، إذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم ، وبه هدايتهم والإسلام دينهم[2] » .

انتشار الصحابة العلماء بين الأمصار لنشر التعليم :

ولما انتشر الإسلام ، وتسعت الأمصار تفرّق هؤلاء المعلمون من الصحابة والتابعين – رضوان الله عليهم – فى المملكة الإسلامية وقاموا فيها

(١) انظر (ص ١٢) .

(٢) انظر (ص ٣٢ طبع مصر سنة ١٣٢٧) .

بحركة تعليمية مباركة ، واسعة النطاق كان لها صبغة دينية وإن شئت فقل : وزّعوا على الأمصار قصداً إلى تعليمها .

قال الأستاذ الجليل الدكتور أحمد أمين بك فى كتابه « فجر الإسلام » :

« هؤلاء الصحابة العلماء الذين تفرّقوا فى الأمصار أنشأوا حركة علمية فى كلّ مصر نزلوا به ، وكوّنوا مدارس ، وكان لهم تلاميذ ينقلون عنهم العلم(١) » .

العلوم التى كانت تدرس فى ذلك العهد :

وكان التعليم فى البلاد الإسلامية فى أوّل الأمر مقصوراً على العلوم الدينية وهى : القرآن وتفسيره ، والحديث وروايته ، واستنباط الأحكام الفقهية ، والفتاوى الشرعية . ويوضح هذا صاحب كشف الظنون بقوله :

« فكانت العرب فى صَدْر الإسلام لا تعتنى بشىء من العلوم إلا بلغتها ، ومعرفة أحكام شريعتها ، وبصناعة الطبّ ، فإنها كانت موجودة عند أفراد منهم لحاجة الناس طرّاً إليها. وذلك منهم صوناً لقواعد الإسلام وعقائد أهله عن تطرُّق الخلل من علوم الأواخر قبل الرسوخ والأحكام . . . واستمر ذلك إلى آخر عصر التابعين ، ثم حدث اختلاف الآراء وانتشار المذاهب فآل الأمر إلى التدوين(٢) » .

ويزيد هذا وضوحاً الدكتور حسن إبراهيم حسن بك فى كتابه «تاريخ الإسلام السياسىّ» بقوله : « نلاحظ أنّ ما نشر من العلوم فى عهد بنى أمية كان مرتبطاً منها بالدين بعكس ما كانت عليــه الحال فى أيام العباسيين الذين

---

(١) انظر (ج ١ ص ١٨٦) .
(٢) انظر (ج ١ ص ٢١) .

اشتغلوا بالعلوم العقلية ، أو الكونية أيضاً كالطب والفلسفة والرياضيات وغيرها [١]» .

وقلّ أن نجد فى ذلك العصر ما نسميه الآن تخصصاً ، فليس هناك عالم بالتفسير فقط ، أو الحديث فقط ، وكانت الدروس فيها تفسير ، وفيها حديث ، وفيها فقه ، وفيها لغة ، وفيها جدَل دينى [٢] .

شرح العلوم التى تداولها المسلمون فى مساجدهم :

فالعلوم التى تداولها المسلمون فى مساجدهم ومجالسهم العلمية فى صدر الإسلام وعهد بنى أمية كانت تتلخص فيما كتبه ابن خلدون :

«وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه ، وهى مأخوذة من الكتاب والسنة . فلا بدّ من النظر فى الكتاب ببيان ألفاظه أولا ، وهذا هو علم التفسير ، ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم الذى جاء به من عند الله واختلاف روايات القراء فى قراءته ، وهذا هو علم القراءات ، ثم بإسناد السنة إلى صاحبها ، والكلام فى الرواة الناقلين لها ، ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم .... وهذه علوم الحديث . ثم لا بدّ فى استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانونىّ يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط ، وهذا أصول الفقه . وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين ، وهذا هو الفقه .... ثم النظر فى القرآن والحديث لا بدّ أن تتقدّمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها ، وهى أصناف : فمنها علم اللغة ، وعلم النحو ، وعلم البيان ، وعلم الأدب .... وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية [٣] » .

---

(١) أنظر (ج ١ ص ٦٣٧) .

(٢) فجر الإسلام (ج ١ ص ٢٠١) .

(٣) المقدمة (ص ٤٨٦) وكشف الظنون (ج ١ ص ٢٥) .

ولكن لا يفوتنا أن نذكر هنا أن الفقه والقراءة والتفسير والحديث كانت علماً واحداً فى أوّل الأمر ثم استقلت بعضها عن بعض تبعاً لناموس الارتقاء[١].

هذا فيما يختص بالعلوم النقلية . أما العلوم العقلية فكانت قليلة فى عهد الأمويين ، ويؤيد هذا ما كتبه صاحب كشف الظنون :

« واعلم أنّ علوم الأوائل كانت مهجورة فى عصر الأموية[٢] » . وما قاله الدكتور حسن إبراهيم حسن بك « بيد أنّ اشتغال العرب بالعلوم العقلية من كيمياء وطبّ وفلك وتاريخ ونحوها لم يكن له أثر إلا فى صَدْر الدولة العباسية وعلى الأخصّ فى عهد المأمون (١٩٨ – ٢١٨هـ) الذى حمل لواء حركة الترجمة والنقل من اليونانية والفارسية والهندية[٣] » .

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامى لجرجى زيدان (ج ٣ ص ٢٧) وضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين بك (ج ٢ ص ٣٦٢) .

(٢) انظر (ج ٢ ص ٢٢) .

(٣) انظر تاريخ الإسلام السياسى (ج ١ ص ٦٤) .

الفصل الثامن

إعداد بنى أمية البلاد للعباسيين

وفى الحقّ أنّ بنى أمية أعدّوا البلاد للعباسيين ، ولولا جهودهم فى الفتح والتنظيم والإدارة لما تمكن العباسيون من القيام بما قاموا به من تعضيد العلم والتعليم ، وترجمة الكتب ونشر الثقافة العربية .

فاز العباسيون بالخلافة ، وبنوا بغداد ، واحتكوا بالفرس ، ورفعوا شأن الموالى ، وخالطوا الأعاجم ، وهكذا ابتعدوا عن المحيط العربىّ المحض ، وأصبحوا مكتنفين بمحيط جديد وحياة جديدة ، والمعروف أنهم اكتسبوا ثقافة الفرس وتأثروا بمحيطهم ، وفتحوا الأبواب على مصاريعها لنبوغ الأعاجم .

ومما يسترعى النظر أن السواد الأعظم من الذين اشتغلوا بالعلم والتعليم كانوا من الموالى[1] وقد عقد ابن خلدون فى المقدمة[2]. فصلا عن أنّ « حَمَلة العلم فى الإسلام أكثرهم العجم » .

تقدُّم التعليم فى العصر العباسىّ :

وهكذا نجد أنّ التعليم فى هذا العصر العباسىّ قد تأثر تأثراً عظيما ، واتجه اتجاهاً جديداً ، فقد كان قبل ذلك من أجل الله والدين ، فاستحال إلى صناعة لابتغاء الرزق ، ورفع المنزلة فى الدنيا ، وأقبل عليه من كان فى حاجة إلى ذلك ، ويؤيد هذا ابن خلدون بقوله : « فلما استقرّ الإسلام ،

(١) تاريخ الإسلام السياسى (ج ٢ ص ٢٣٩) .
(٢) انظر (ص ٦٣٦ – ٦٣٨) .

ووشجت عروق الملة ، حتى تناوله الأمم البعيدة من أيدى أهلها ، واستحالت بمرور الأيام أحوالها ، وكثر استنباط الأحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاصقها . فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من الخطأ ، وصار العلم ملكة يحتاج إلى التعلم ، فأصبح من جملة الصنائع .... واشتغل أهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان ، فدفع للعلم من قام به سواهم ، وأصبح حرفة للمعاش ، وشمخت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدى للتعليم ، واختص انتحاله بالمستضعفين ، وصار منتحله محتقراً عند أهل العصبية والملك [1] » .

---

(١) المقدمة (ص ٣٢) .

الفصل التاسع

أثر الموالى فى السياسة والعلم والتعليم

قامت الدولة العباسية على رأس مَوَاليها من أهل خراسان والعراق ، وكان لهؤلاء الموَالى شأن كبير فى السياسة والعلم والتعليم ، ودخل فى الإسلام عدد كبير من الفرس والروم والمصريين . كان منهم القراء الكبار ، والمحدثون العظام بجانب إخوانهم من العنصر العربى[1] .

وكان من أثر هذا أن اختلطت علوم الأوائل التى كانت مهجورة فى عصر الدولة الأمويّة بعلوم الإسلام ؛ يقول صاحب كشف الظنون :

« واعلم أنّ علوم الأوائل كانت مهجورة فى عصر الأموية ، ولما ظهر آل العباس كان أوّل من عنى منهم بالعلوم الخليفة الثانى أبو جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨ هـ) وكان – رحمه الله – مع براعته فى الفقه مقدّما فى علم الفلسفة ، وخاصّة فى النجوم محبّا لأهلها ، ثم لما أفضت الخلافة إلى السابع عبد الله المأمون بن الرشيد (١٩٨ – ٢١٨ هـ) أتمّ ما بدأ به جدّه فأقبل على طلب العلم فى مواضعه واستخراجه من معادنه . . . . فداخل ملوك الروم وسألهم وصلة ما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطو وبقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم . وأحضر لها مَهَرة المترجمين فترجموا له على غاية ما أمكن . ثم كلف الناس قراءتها ، ورغبهم فى تعلمها ، إذ المقصود من المنع هو أحكام قواعد الإسلام ، ورسوخ قواعد الأنام ، وقد حصل وانقضى . . . . وقامت دولة الحكمة

(١) التشريع الإسلامى للمرحوم الأستاذ محمد الخضرى بك (ص ١٧٠) .

فى عصره وكذلك سائر الفنون[١] » وإذاً فقد ساعد الموالى بدخولهم فى أحضان الدولة العباسية على أن يكون هذا العصر هو العصر الذهبىّ فى تاريخ الترجمة والنقل عند العرب ، واستطاعوا لإتقانهم السريانية واليونانية أن ينقلوا إلى اللسان العربىّ كلّ ما كان معروفاً من العلم والفلسفة والطبّ والنجوم والرياضيات والأدبيات عند سائر الأمم المتمدينة[٢] .

سبب نضج العلم فى العصر العباسىّ :

ومن العوامل الفعالة فى سرعة نضج العلم فى النهضة العباسية أنّ الخلفاء أصحاب تلك النهضة كانوا يبذلون كلّ مرتخص وغال فى سبيل نقل هذه الكتب ، ويرغّبون النقلة وغيرهم بالبذل والكرم بقطع النظر عن مللهم أو نحلهم أو أنسابهم ، حتى إن صاحب كشف الظنون يقول فى هذه المناسبة :

« والحقّ إنّ أعظم الأسباب فى رواج العلم وكساده رغبة الملوك فى كل عصر[٣] » .

أهمّ الأسباب فى نشر العلم والتعليم فى العصر العباسى :

وثمة عامل آخر كان له القدح المعلى فى نشر العلم والتعليم هو استعمال الورق ، فمما لا شكّ فيه أن حركة العلم وتدوينه فى العصر العباسىّ ما كانت تتصل إلى ذلك القدر من الرقىّ لو ظلت أدوات الكتابة على حالتها الأولى من السذاجة أو الندرة[٤] .

فالتعليم إذاً مدين لصناعة الورق الذى به كثرت الكتب والمكاتب وخزائنها ، وأصبحت مصدراً عظيما للثقافة فساعدت المتعلمين على ارتشاف

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامى لجرجى زيدان (ج ٣ ص ١٦٣) .
(٢) تاريخ التربية عند العرب ص ١٥
(٣) ج ١ ص ٢٩
(٤) ضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين بك (ج ٢ ص ٢١ وما يليها) .

مناهل العلم ، وربما كان تأثير استعمال الورق فى النهضة العلمية فى الإسلام مثل تأثير فنّ الطباعة فى النهضة الأوربية فى أواخر العصور الوسطى » .

خَلْق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل :

« وكان لاستنباط رفعة الدولة العباسية ، ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها أثر كبير فى خَلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل حتى لقد بدا أنّ الناس جميعاً من الخليفة إلى أقلّ أفراد العامّة شأناً قد غدوا فجأة طلاباً للعلم ، أو على الأقل أنصاراً للأدب .

وفى عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارّات سعياً وراء موارد العلم والعرفان ، ثم يعودون إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهفين . ثم يصنفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنفات التى هى أشبه شىء بدوائر المعارف[1] » .

تأثر المسلمين بالعلوم التى نقلت إلى اللغة العربية :

ولقد تأثّر المسلمون بهذه العلوم التى نقلوها إلى اللغة العربية ، فلم تكد تعرف لديهم حتى أخذوا فى درسها والاشتغال بها ، وكان اشتغالهم بها فى أول الأمر لا يتعدّى النظر والتلخيص والشرح ، حتى إذا كسبوا ملكاتها ونضج تمدنهم ، وانتشرت العلوم فى البلاد ، أخذوا يتدبّرون كلّ علم يدرسونه منها ، ويحققون مسائله بكلّ ما أوتوه من قوّة وعقل وصحّة وفهم ، وأصبحت العلوم عمدتها النظر والقياس والتحليل والتركيب .

بغداد كعبة العلم ومقصد العلماء :

وكانت بغداد أثناء هذه النهضة كعبة العلم ، ومقصد العلماء ، ولما

(١) تاريخ الإسلام السياسى للدكتور حسن إبراهيم حسن بك (ج ٢ ص ٢٤٠) .

اضطربت أحوال الخلافة بعد زمن المأمون ، ونشأت الدولة الجديدة فى مصر والأندلس تفرّق العلماء وأصبح للعلم مراكز جديدة . وهكذا أثمرت بذور العلم التى ألقاها خلفاء النهضة العباسية فى جميع العالم الإسلامى فى خراسان ، والرىّ ، وخُوزستان ، وأذربيجان ، وما وراء النهر ، ومصر ، والشام ، والأندلس ، وغيرها . واقتدى خلفاء هذه البلاد بخلفاء النهضة العباسية فى ترغيب أهل العلم واستقدامهم إلى عواصمهم كالقاهرة وغيرها(١) .

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامى لجرجى زيدان (ج ٣ ص ١٦٧ و ١٦٨ وما يليها) والتعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول للأستاذ خطاب عطية على .

الباب الثاني

أئمة اللغة والأدب المعاصرون لأبي الفرج

ويشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول

شيوخ أبى الفرج

الشخصيّات البارزة من العلماء المعاصرين لأبى الفرج :

عاصر أبو الفرج نخبة صالحة من أعلام العلماء ، وأئمة الأدب ، وأركان اللغة ، وأساطين الرواة ، ومفاخر التاريخ ، ممن نالوا الشهرة الواسعة ، والصيت الذائع ، وماتوا قبله ، أو عاشوا بعده ، ورَوَى عنهم أو رووا عنه ، وكانوا من أصدقائه ، أو زاملوه فى الدرس ممن ذكرهم فى كتاب الأغانى ، أو ذكروا فى غيره ، وهم كثيرون لا يحصون ، وسنذكر فى هذا المقام أوسعهم علماً ، وأشهرهم ذكراً فى محافل الأدباء من معاصريه الذين يعدّون من الشخصيّات البارزة ، وقادة الأدب العربى ، وعباقرة اللغة ، ونبدأ بذكر شيوخه :

١ ــ أبو بكر بن دُرَيد :

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد الأزْدِىّ ، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣هـ ، كان نابغة زمانه ، وإمام عصره فى اللغة والأدب والشعر والأنساب ، وبرع فى الشعر حتى قيل فيه : « أشعر العلماء وأعلم الشعراء » وكان يقوم فى بغداد بتدريس النحو والأدب . وعاش ابن دريد بضعا وتسعين سنة ؛ قال أبو حفص بن شاهين : « كنا ندخل على ابن دُرَيد فنستحى مما نرى من العيدان المعلقة والشراب » وقد جاوز التسعين ، ومن شعره فى وصف الخمر :

وحمراء قبل المَزْج صفراء بعده ... أَتتْ بين ثَوبَىْ نَرْجِسٍ وشقائقِ
حكتْ وَجْنة المعشوق صرفاً فسلّطوا ... عليها مِزاجا فاكتستْ لونَ عاشقِ

وله عدّة تصانيف منها : كتاب الجمهرة رتبه على حروف المعجم بترتيبها المعروف الآن ، توفى سنة ٣٢١ هـ (١) .

٢ – أبو بكر بن الأنبارىّ :

هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارىّ، كان من أعلم الناس وأفضلهم فى نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظاً للغة ، وكان فى نهاية الذكاء والفطنة ، وجودة القريحة وسرعة الحفظ ، وكان يضرب به المثل فى حضور البديهة وسرعة الجواب، وأكثر ما كان يمليه من غير دفتر ولا كتاب . وكان يقوم فى بغداد بتدريس النحو والأدب . وألف كتباً كثيرة فى علوم القرآن والحديث واللغة والنحو ؛ توفى سنة ٣٢٨ هـ ودفن بداره بالأنبار (٢) .

٣ – الفضل بن الحباب الجُمَحِىّ :

هو أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحىّ البصرىّ ، من رواة الأخبار ، والأشعار ، والأنساب ، وكان أحد أصحاب الحديث ، واسع الدراية ، ولى قضاء البصرة ، وكان من علم الشعر واللغة بمكان عالٍ ، وكان أهل الحديث يؤمّونه يقرءون عليه ، فإذا جاءه أهل اللغة تحول إليهم ، وترك أهل الحديث وقال : هؤلاء غثاء . توفى سنة ٣٠٥ هـ (٣) .

٤ – علىّ بن سليمان الأخفش :

هو أبو الحسن على بن سليمان بن الفضل المعروف بالأخفش الصغير ،

(١) بغية الوعاة للسيوطى وتاريخ ابن خلكان (ج ١ ص ٧٠٩ – ٧١٣ طبع بلاق)، والنجوم الزاهرة (ج ٣ ص ٢٤١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) بغية الوعاة للسيوطى ونزهة الألبا فى طبقات الأدبا لابن الأنبارى والفهرست لابن النديم (ص ٧٥ طبع ليبزيج) .

(٣) تاريخ ابن خلكان (ج ١ ص٤٧٢) وبغية الوعاة للسيوطى ونزهة الألبا فى طبقات الأدبا وإنباء الرواة للقفطى وفهرست ابن النديم (ص٨٣) ومعجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ٢٢٠).

كان ثقة حافظاً للأخبار ، وكان من أفاضل علماء العربية ، مربياً جليلا ، حدّث عن نفسه قال : « طلب إبراهيم بن المدبر من المبرِّد محمد بن يزيد جليساً يجمع بين تأديب ولده ، الاستماع بمؤانسته ومفاكهته ، فندبنى المبرّد لذاك وكتب إليه معى : قد أُنفذت إليك — أعزّك الله — فلاناً ، وجملة أمره كما قال الشاعر :

إذا زرتُ الملوك فإنّ حَسْبِي شَفِيعاً عندهم أن تُخبرونى

وكان ابن الرومى كثير الهجاء للأخفش ؛ وقد هجاه بأهاجٍ كثيرة لأنه كان كثير التطير منه ؛ فمن ذلك قوله من قصيدة طويلة :

أَلاَ قُلْ لِنَحْوِيِّكَ الْأَخْفَشِ أَنِسْتَ فَأَقْصِرْ ولا تُوحَشِ
وما كنتَ عن غِيَّةٍ[1] مُقْصِراً وأشلاء أُمِّكَ لم تُنْبَش

وقدم الأخفش مصر سنة ٢٨٧هـ ، وخرج منها سنة ٣٠٥هـ إلى حلب مع على بن أحمد بن بسطام صاحب الخراج ، وتوفى ببغداد سنة ٣١٥هـ وقيل سنة ٣١٦ هـ[2] .

٥ — إبراهيم بن محمد بن عرَفه (نفْطوَيْه) :

هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفه العَتَكىّ الأزْدىّ الملقب بنفطوْية لشبهه بالنفط لدمامته وأدمته ، كان عالماً بالعربية واللغة والحديث ، صادقاً فيما يرويه ، حافظاً للقرآن ، فقيها على مذهب داود الظاهرىّ . مُسنداً فى الحديث ، حافظاً للسير وأيام الناس والتواريخ والوفيات ، كان يقوم فى بغداد

(١) غية : أى زنية .

(٢) الفهرست لابن النديم (ص ٨٣ طبع ليبزيج) . وإنباه الرواة للقفطى ، ومعجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ٢٢٠ — ٢٢٥ طبعة هندية)

بتدريس النحو والأدب ، وصنف كتباً كثيرة ، وكان ينكر الاشتقاق فى كلام العرب ويُحيله[١] وله فى ذلك مصنّف. وكلّ حجة فيه مدخولة . وكان أديباً متفننا فى الأدب ، حافظاً لنقائض جرير والفرزدق وشعر ذى الرمة وغيرهم . وكان من طهارة الأخلاق، وحسن المجالسة على أكمل حال، وكان سمج المنظر يخضب رأسه ولحيته إلى أن مات . وخلط نحو الكوفيين بنحو البصريين . وكان مجالسه فى مسجد الأنباريين بالغدوات . وتوفى فى صفر لستّ خلون منه سنة ٣٢٣هـ ودفن بباب الكوفة[٢] .

٦ — محمد بن جرير الطبرى :

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرىّ ، وقيل : يزيد بن كثير بن غالب صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير ، كان علاّمة وقته ، وإمام عصره ، وفقيه زمانه ، وإماما فى فنون كثيرة منها : التفسير والحديث والفقه والتاريخ والنحو والشعر واللغة ، وله مصنفات مليحة فى فنون عديدة تدل على سعة علمه ، وغزارة فضله . وكان إماما مجتهداً ، وكان ثقة فى نقله ، وتاريخه أصحّ التواريخ وأثبتها . وأخبر أحد الثقات أنه رأى أبا جعفر الطبرىّ بمصر يقرأ عليه شعر الطرماح أو الحطيئة — الشكّ من الراوى — قال ابن النديم : ورأيت أنا بخطه شيئاً كثيراً من كتب اللغة والنحو والشعر والقبائل ، وله مذهب فى الفقه اختاره لنفسه . ولد سنة ٢٢٤هـ بآمل طبرستان وتوفى ببغداد سنة ٣١٠ هـ[٣] .

٧ — أحمد بن جعفر جحظة :

هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن بَرْمك،

---

(١) يحيله : أى يفسده .

(٢) تاريخ ابن خلكان (ج١ ص١٥) وبغية الوعاة للسيوطى ومعجم الأدباء لياقوت (ج١ ص٣٠٧ — ٣١٥) وإنباه الرواة للقفطى وفهرست ابن النديم(ص٨١ — ٨٢ طبع ليبزيج).

(٣) تاريخ ابن خلكان (ج١ ص٦٥١ وفهرست ابن النديم (ص٢٣٤ — ٢٣٥).

شاعر مغنّ مطبوع فى الشعر ، حاذق بصناعة غناء الطنبور . حسن الأدب، بارع فى معناه ، كثير الرواية للأخبار ، متصرّف فى فنون من العلم كالنحو واللغة والنجوم ، وكان من ظرفاء عصره صاحب فنون ونوادر ، وهو من ذرّية البرامكة . قال ابن النديم : « وكان جحظة وسخاً قذراً بعيداً عن أدب النفس وفى دينه بعض العهدة بل العهدة كلّها » . وقد جمع أبو نصر بن المرْزُبان أخباره وأشعاره . وله من الكتب : كتاب النديم ، وكتاب المشاهدات وكتاب الطنبوريين . وقد انتقد أبو الفرج هذا الكتاب ، لأنه كان من عادة جحظة أن يذمّ فيمن تكلم عنهم ؛ فقال أبو الفرج فى أخبار النّصْبىّ[1] ونسبه :

« وذكره جَحْظة فى كتاب الطنبوريين فأتى من ذكره بشىء ليس من جنس أخباره ولا زمانه ، وثلبه فيما ذكره ، وكان مذهبه — عفا الله عنّا وعنه — فى هذا الكتاب أن يَثْلِب جميع من ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قدر عليه ، وكان يجب عليه ضد هذا ، لأن من انتسب إلى صناعة ، ثم ذكر متقدّمى أهلها ، كان الأجملَ به أن يذكر محاسنَ أخبارهم ، وظريفَ قصصهم ، ومليحَ ما عرفه منهم ، لا أن يثلبهم بما لا يعلم وما يعلم . فكان فيما قرأت عليه من هذا الكتاب أخبار أحمد النّصْبىّ ، وبه صدّر كتابه فقال : أحمد النصبىّ أولُ من غنّى الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيّرها ، ولم يخدُم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب[2] .

وكان أبو محمد بن الشار ، دعا أبا الفرج الأصبهانى مع أستاذه جحظة يوما وأطال حبس الطعام جداً ، وجاء جحظة فأخذ دواة وبياضاً ، وكتب :

(١) النصبى ، نسبة إلى النصب : وهو ضرب من الغناء أرق من الحداء ، وهو أول من غنى به وعنه أخذ .

(٢) الأغانى (ج ٦ ص ٦٣ طبع دار الكتب المصرية) .

مالى وللشار وأولاده لا قدّس الوالد والوالده
قد حفظوا القرآن واستعملوا ما فيه إلا سورة المائده

ورمى بهـا إلى أبى الفرج فقرأها ودفعها إلى ابن الشار فقرأها ووثب مسرعاً فقدم المائدة فقاطعه جحظة فكان يجهد جهده أن يجيئه فلا يفعل ، فإذا عاتبوه قال : لا والله حتى يحفظ تلك السورة[١]. ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفى بواسط سنة ٣٢٦ هـ وقيل سنة ٣٢٤ هـ[٢] .

٨ – محمد بن خلف بن المرزُبان :

هو أبو عبد الله محمد بن خلف بن المرزُبان ، كان حافظا للأخبار ، والأشعار والملح ، وكان فاضلا بليغا مؤرّخا ، عالماً بمجارى اللغة ، تصدّر عنه الكتاب الكبار ، وكان أحد التراجمة ، ينقل الكتب الفارسية إلى العربية ، له أكثر من خمسين منقولا من كتب الفرس ، وله بضعة عشر كتاباً فى الأوصاف منها : وصف الفارس والفرس ، ووصف السيف ، ووصف القلم ، وله الحاوى فى علوم القرآن سبعة وعشرون جزءاً ، وكتاب الحماسة ، وأخبار عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب ، وكتاب أخبار ابن قيس الرقيات ومختار شعره ، وكتاب المتيمين المعصومين ، وكتاب الشراب ، وكتاب المساعدين ، وكتاب الروض ، وكتاب الجلساء والندماء ، وكتاب ألقاب الشعراء وغير ذلك ، توفى سنة ٣٠٩ هـ[٣] .

٩ – جعفر بن قُدامة :

هو أبو القاسم جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ، أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم ، وكان وافر الأدب ، حسن المعرفة ، وله مصنفات فى صنعة

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ١ ص ٣٩٤ طبعة هندية) .
(٢) تاريخ ابن خلكان (ج ١ ص ٥٧) وفهرست ابن النديم (ص ١٤٥) ومعجم الأدباء (ج ١ ص ٣٨٣ – ٤٠٥) .
(٣) فهرست ابن النديم (ص ١٤٩) ومعجم الأدباء لياقوت (ج ٧ ص ١٠٥) وقد ذكره باسم محمد بن المرزبان أبو العباس الدميرى .

الكتابة وغيرها ، وله شعر جيد رواه ياقوت فى معجم الأدباء ، فمن ذلك قوله يمدح الوزير ابن الفرات :

يابن الفرات ويا كريـ ـم الخيم محمود الفعال
ضُيِّعتُ بعدك واُطّرحـ ـت وبان للناس اختلالى
وتغيّرت مذ غيّرت أحوالك الأيامُ حالى
لهفاً أبا حسن على أيامك الغُرّ الخَوَالى
لهفاً عليها إنها بُليت بأحوالٍ بوالى

توفى يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٣١٩ هـ[١] .

١٠ – أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى المنجّم :

هو أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى المعروف بابن المنجّم النديم ، أديب شاعر مطبوع ، أشعر أهل زمانه ، وأحسنهم أدباً ، وأكثرهم افتناناً فى علوم العرب والعجم ، ونادم المعتضد والمكتفى من بعده ، وهو من أشجار الأدب الناضرة ، وأنجمه الزاهرة ، وكان متكلماً معتزلىّ المذهب ، وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بالحضرة ، وله شعر جيد ، ومنه وصفه الطاووس وقد أبدع فيه :

سبحان مَنْ مِن خَلْقه الطاووس طير على أشكاله رئيس
كأنه فى نفسه عروس إذ أنه يحلو به التعريس
ديباجة تنشر أو سدوس فى ريشه قد ركبت فُلوس
تشرف من داراتها شموس فى الرأس منه شجر مغروس
كأنه بنفسجٌ يميس أو زهر فى روضة بنوس

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ٤١٢ – ٤١٥) .

وله تصانيف كثيرة منها : كتاب الباهر فى أخبار شعراء مخضرمى الدولتين لم يتمه وأتمه من بعده أبو الحسن أحمد بن يحيى ، وكتاب الإجماع على مذهب أبى جعفر الطبرىّ ، والمدخل إلى مذهب الطبرى ونصرة مذهبه وغير ذلك . ولد سنة ٢٤١ هـ ، وتوفى سنة ٣٠٠ هـ[(١)] .

١١ — الحسن بن محمد :

هو الحسن بن محمد بن أحمد بن الهيثم الأموىّ عمّ أبى الفرج ، حدّث عن عمر بن شبّة ، وعبد الله بن أبى أسعد الوراق ، وكان يروى عنه ابن أخيه أبو الفرج كثيراً ، وكان من كبار الكتاب بسرّ من رأى ، أدرك أيام المتوكل.[(٢)]

١٢ — عبد العزيز بن أحمد :

هو عبد العزيز بن أحمد بن الهيثم ، كان من كبار الكتّاب أيام المتوكل ، وقد روى أبو الفرج عنه كثيراً . وهو عمّ أبيه[(٣)] .

١٣ — محمد بن بن العباس اليزيدىّ :

هو محمد بن العباس بن محمد أبو عبد الله اليزيدىّ ، كان راوية للأخبار والآداب مصدّقاً فى حديثه ، وممن روى عنه أبو بكر الصولىّ ، وجعفر بن محمد بن الحكم المؤدّب ، توفى فى جمادى الآخرة سنة ٣١٠ هـ[(٤)].

١٤ — الحسين بن عمر بن أبى الأحوص الثقفىّ :

هو الحسين بن عمر بن أبى الأحوص بن عمر بن عفيف بن صالح مولى عروة ابن مسعود الثقفى أبو عبد الله ، كان من أهل الكوفة وسكن بغداد وحدث بها عن أبيه ، وعن أحمد بن عبد الله بن يونس ومنجاب بن الحارس ، ومنهم أبو الفرج الأصبهانى ، مات الحسين ببغداد فى قطيعة الربيع سنة ٣٠٠هـ وحمل إلى الكوفة[(٥)] .

---

(١) فهرست ابن النديم (ص ١٤٣) ومعجم الأدباء لياقوت (ج ٧ ص٢٨٧ — ٢٨٨).

(٢) تاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب (ج ٧ ص ٤١٧ طبع مصر) والجمهرة لابن حزم (ص ١٠٣ من النسخة التيمورية) .

(٣) الجمهرة لابن حزم (ص ١٠٣ من النسخة التيمورية) .

(٤) تاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب (٣ ص ١١٣) .

(٥) تاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب (ج ٨ ص ٨١) .

الفصل الثانى

تلامذة أبى الفرج

وقد روى عن أبى الفرج كثير من أئمة اللغة والأدب ، ورواة الأخبار ، وعلماء الحديث ، وأنجب من مشاهير التلامذة أعلاماً يشار إليهم بالبنان ، وقادة فكر يضرب بهم الأمثال نكتفى منهم بذكر :

١ ـ الدارقطنى :

وهو أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى البغدادى الدارقطنى [1] ، كان عالماً حافظاً فقيها ، أخذ الفقه عن أبى سعيد الإصطخرى الفقيه الشافعى ، وقد انفرد بالإمامة فى علم الحديث فى عصره ، ولم ينازعه فى ذلك أحد من نظرائه ، وتصدر فى آخر أيامه للإقراء فى بغداد ، وكان عارفاً باختلاف الفقهاء ، ويحفظ كثيراً من داوين العرب ، منها : ديوان السيد الحميرى فنسب إلى التشيع لذلك . وروى عنه الحافظ أبو نعيم الأصبهانى صاحب حلية الأولياء ، وكان متفننا فى علوم كثيرة ، إماما فى علم القرآن . وصنف كتاب السنن والمختلف والمؤتلف وغيرهما . ولد سنة ٣٠٦ هـ ، وتوفى سنة ٣٨٥هـ ببغداد ، وصلى عليه الشيخ أبو حامد الإسفراينى الفقيه المشهور ، ودفن قريباً من معروف الكرخى فى مقبرة باب حرب [2] .

٢ ـ أبو زكريا الأندلسى :

ومن تلاميذ أبى الفرج الحافظ الكبير يحيى بن مالك بن عائذ أبو زكريا

---

(١) هذه النسبة إلى دار القطن . وكانت محلة كبيرة ببغداد .

(٢) تاريخ ابن خلكان (ج ١ ص ٤٧٠ — ٤٧١) .

الأندلسىّ ، قال القاضى أبو على المحسِّن فى نشوار المحاضرة : «إنه حضر مجلس أبى الفرج الأصبهانىّ صاحب كتاب الأغانى فتذاكروا موت الفجاءة، فقال أبو الفرج : أخبرنى شيوخنا أنّ جميع أحوال العالم قد اعترت من مات فجأة إلاّ أننى لم أسمع من مات على منبر ، قال أبو على المحسن : وكان معنا فى مجلس أبى الفرج شيخ أندلسىّ قدم من هناك لطلب العلم ولَزِمَ أبا الفرج يقال له : أبو زكريّا يحيى بن مالك بن عائذ ، وكنت أرى أبا الفرج يعظمه ويكرمه ويذكر ثقته، فأخبرنا أبو زكريا أنه شاهد فى مسجد الجامع فى بلدة من الأندلس خطيب البلد وقد صعد يوم الجمعة ليخطب، فلما بلغ يسيراً من خطبته خرّ ميتاً فوق المنبر حتى أنزل به وطلب فى الحال مَن رقى المنبر فخطب وصلى الجمعة [١]» .

ومات ابن العائذ بالأندلس فى شعبان سنة ٣٧٦ هـ كما فى تذكرة الحفاظ ، وفى شذرات الذهب سنة ٣٧٨ هـ .

٣ – أبو الحسين على بن محمد :

ومن تلاميذ أبى الفرج أبو الحسين على بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب ، لقى المتنبى فسمع منه ديوانه ومدحه بقصيدة أولها :

ربّ القريض إليك الحلّ والرحل ضاقت إلى العلم إلاّ نحوك السبل
تضاءل الشعراء اليوم عند فتىً صعاب كلّ قريض عنده زلل

وكان شاعراً مجيداً شارك المتنبىّ فى أكثر ممدوحيه كسيف الدولة بن حمدان، وابن العميد وغيرهما ، وكان حسن الخط ، يقال إنه على طريقة ابن مُقلة حمل الناس عنده الأدب فأكثروا بواسط وغيرها ، وكان سهل الخلائق جميل الطريقة .

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ٢١٠ – ٢١١) وشذرات الذهب لابن العماد ج ٣ ص ٩٣) وتذكرة الحفاظ للذهبى (ج ٣ ص ٩٣) .

حدّث أبو غالب محمد بن بشران النحويّ قال : حدّثني أبو الحسين على بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب قال : قرأت على أبي الفرج علىّ بن الحسين الأصفهانى جميع كتاب الأغانى ، وقد سمع أبو غالب محمدبن بشران من ابن دينار كتباً كثيرة ، ومنها كتاب الأغانى لأبي الفرج الأصفهانى ، وكان مولد ابن دينارسنة ٣٢٣ ﻫ وتوفى سنة ٤٠٩ ﻫ[1] .

٤ — إبراهيم بن مخلد الباقرحىّ :

ومن تلاميذ أبي الفرج الذين رووا عنه كما قال الخطيب البغدادىّ فى تاريخه : إبراهيم بن مخلد بن جعفر بن مخلد بن سهل أبو إسحاق المعروف بالباقرحىّ ، كان صدوقا صحيح الكتاب ، حسن النقل ، جيد الضبط ، ومن أهل العلم والمعرفة بالأدب ، وكان ينتحل فى الفقه مذهب محمد بن جرير الطبرىّ ، وكان أديباً شاعراً ، ومن شعره ما كتبه إلى القاضى أبي محمد الأسدىّ يستعتبه فى قصّة جرت له :

مالى جُفيتُ وعندى عادةٌ لكم	موفورةٌ من حِباء الجاه والمالِ
أعوذ بالله من حالٍ تغيّرُكُمْ	أبُوء منها بمعنى اللام والذال
قد أكثر الناس من عرب ومن عجم	على وليّكم فى القِيلِ والقالِ
هذا يقولُ : عصى أمراً لسيِّده	أعوذ بالله من زيغ وإضلال
وذا يقول : لجُرْمٍ منه قابلَه	فقد أطالوا — لعمر الله — بلبالى
والله يشهد لى أنى أطيعكم	— ديانة — ولو أن الدهر مغتالى
وما أُسرُّ بأنّ الأرض تُجمع لى	وأنت منحرفٌ عنّى ولا قالى
إن كان ذنبٌ فعفوٌ منك يغفره	وذاك أسبق فى ظنّى وآمالى

---

(١) راجع معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ٣٧٨ — ٣٧٨) .

فانظر لعبدك لا تشمت أعاديَه بتركه بين إغفالٍ وإهمالِ
انظر بعينٍ منك تلبسه إقبال جدّك منه ثوب إقبالِ
واجعل له فى ذراك اليوم منزلةً تُعليه إنّ الذى أعليته عالِ

توفى وقت العصر من يوم الأربعاء السابع عشر من ذى الحجة سنة ٤١٦ هـ ودفن من الغد فى مقبرة الخيزران بقرب قبر أبى حنيفة(١).

٥ — إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرىّ :

ومن تلاميذ أبى الفرج الذين رووا عنه كما قال الخطيب البغدادى فى تاريخه : العلاّمة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرىّ المعروف بتبزون ، كان من أهل الفضل والأدب وسكن بغداد ، وصحب أبا عمر الزاهد — صاحب ثعلب — وأخذ عنه وعن غيره علماً كثيراً (٢) .

٦ — علىّ بن أحمد الرزّاز :

هو علىّ بن أحمد بن محمود بن داود بن موسى بن بيان أبو الحسن المعروف بابن طيب الرزّاز . سمع أبا عمر بن السمّاك ، وأبا بكر النجاد ، وجعفر الخلدى ، وأبا عمر الزاهد . وعبد الصمد السطّى ، وابن الزبير الكوفى ، وأبا سهل بن زياد ، ومحمد بن الحسن النقاش ، ودعلج بن أحمد ، وأبا بكر ابن مقسم ، وعمر بن جعفر بن سلم ، وأبا بكر بن الجعابى وعلى بن حماد القاضى ، وأبا الفرج الأصبهانى ، وميمون بن إسحاق الصوّاف ، وأبا بكر الشافعى ، وأبا على بن الصواف ، ومحمد بن على بن سهل الإمام ، وجماعة من أمثالهم ، كتبنا عنه ، وكان قد قرأ القرآن على ابن مقسم بحرف حمزة وكفّ بصره فى آخر عمره ، وكان يسكن الكرخ . وله دكان فى سوق الرزّازين .

(١) راجع تاريخ بغداد للخطيب (ج ٦ ص ١٨٩ — ١٩١ . و ج ١١ ص ٣٩٩) .
(٢) راجع تاريخ بغداد للخطيب (ج ٦ ص ١٧) .

حدّثني بعض أصحابنا قال : دفع إلىّ على بن أحمد الرزاز بعد أن كفّ بصره جزءاً بخط أبيه فيه أمالى عن بعض الشيوخ ، وفى بعضها سماعه بخطّ أبيه العتيق والباقى فيه تسميع له بخطّ طرىّ فقال : انظر سماعى العتيق هو ما قرئ علىّ ، وما كان فيه تسميع بخطّ طرىّ فأضرب عليه ، فإنى كان لى ابن يعبث بكتبى ويسمع لى فيما لم أسمعه . أو كما قال : حدّثنى الخلاّل قال : أخرج إلىّ الرّزاز شيئاً من مسند . فرأيت سماعه فيه بخطّ جديد فرددته عليه . قلت : وقد شاهدت أنا جزءاً من أصول الرّزاز بخط أبيه فيه أمالى عن ابن السّماك ، وفى بعضها سماعه بالخطّ العتيق ، ثم رأيته قد غير فيه بعد وقت وفيه إلحاق بخطّ جديد ، وكان الرّزاز مع هذا كثير السماع كثير الشيوخ . ولد فى شهر ربيع الأول سنة ٣٣٥هـ ومات فى ليلة الأربعاء السابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٤١٩ هـ[١] .

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب (ج ١١ ص ٣٣٠ - ٣٣١ طبع مصر) .

الفصل الثالث

علماء عصره

الذين زاملوه فى الدرس وحضروا على شيوخه

١ ــ محمد بن عمران المرزُبانىّ :

هو محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله أبو عبد الله الكاتب المعروف بالمرْزُبانىّ من بيت رياسة ونفاسة ، كان أبوه نائب صاحب خُراسانَ بالباب ببغداد ، وابنه هذا فاضل كامل ذكىّ راوية ، مكثر مصنّف جميل التصانيف ، كثير المشايخ ، ممتع المحاضرة والمذاكرة ، مقدّم فى الدول وعند أهل العلم ، وله التصانيف المشهورة فى فنون الآداب والمعارف . وهو وإن لم يتخصص بعلمى النحو واللغة ، فقد ألف فى أخبار جامعيها ومصنفيها والمتصدّين لإفادتها كتاباً كبيراً سماه « المقتبس » يقارب العشرين مجلداً ، وورد فى أثنائه من المسائل النحويّة والألفاظ اللغويّة ما يُعدّ به من أكبر أهله .

وكان حسن الترتيب لما يجمعه ، وكان يقال فى زمنه : أنه أحسن تصنيفاً من الجاحظ ، قال على بن أيوب : دخلت يوماً على أبى علىّ الفارسىّ النحوىّ فقال : من أين أقبلت ؟ قلت : من عند أبى عبد الله المزربانىّ ، فقال : « أبو عبد الله من محاسن الدنيا » .

وكان عَضُد الدولة فَنّا خُسرَو بن بُويَه ــ على كبره وتعظمه ــ يجتاز بباب أبى عبد الله فيقف بالباب حتى يخرج إليه أبو عبد الله ، فيسلم عليه ويسأله عن حاله . قال ابن أيوب : وسمعت أبا عبد الله يقول :

سوّدت عشرة آلاف ورقة فصحّ لى تبيضاً منها ثلاثة آلاف ورقة .

وقال : سمعت أبا عبد الله المرزُبانىّ يقول : كان فى دارى خمسون ما بين لحاف ودُوّاج(١) ، معدّة لأهل العلم الذين يبيتون عندى ، وقيل: إن أكثر أهل الأدب الذين روى عنهم ، سمع منهم فى داره .

وكان — عفا الله عنه — مستهتراً بشرب الخمر ، فذكر عنه أنه كان يضع بين يديه قنينةَ حبر وقنينةَ خمر ، فلا يزال يشرب ويكتب ، وسأله مرّة عضد الدولة عن حاله ، فقال : كيف حال من هو بين قارورتين ؟ (يعنى قارورة الحبر وقارورة الخمر) .

وكان أبو عبد الله معتزلياً ، وصّنف كتاباً فى أخبار المعتزلة كبيراً ، وآخذه أهل الحديث بأن أكثر روايته كانت إجازة ، ولا يبين فى تصانيفه الإجازة من السماع بل يقول فى كلّ ذلك : أخبرنا ، وهذا قريب من الاحتجاج ، قد رأى ذلك جماعة من الرواة .

توفى ليلة الجمعة (وقيل فى يوم الجمعة) الثانى من شوّال سنة ٣٨٤ هـ ، وكان مولده فى سنة ٢٩٦ هـ ، وصلى عليه أبو بكر الخوارزمىّ ودفن بداره بشارع عمر الرومىّ فى الجانب الشرقىّ ، وله أكثر من خمسين مصنفاً .

٢ — أبو سعيد السيرافىّ :

هو الحسن بن عبد الله بن المرزبانىّ أبو سعيد القاضى السيرافىّ النحوىّ ، سكن بغداد ، وكان يسكن الجانب الشرقى ، وولى القضاء ببغداد ، وكان أبوه مجوسياً أسلم ، واسمه بهذاذ فسماه أبو سعيد عبد الله ، وكان يدرس

---

(١) دواج (بوزن رمان وغراب) بمعنى اللحاف الذى يلبس كما فى القاموس ، وضرب من الثياب كما فى اللسان .

القرآن والقراءات وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والكلام والشعر والعروض والقوافي والحساب وعلوماً أخرى سوى هذه .

وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وينتحل فى الفقه مذهب أهل العراق قرأ على أبي بكر بن مجاهد القرآن ، وعلى أبي بكر بن دريد اللغة ، ودرسا جميعاً عليه النحو ، وقرأ على أبي بكر بن السرّاج ، وعلى أبي بكر الميرمان النحو . وقرأ عليه أحدهما القراءات ، ودرس الآخر عليه الحساب ، وكان زاهداً لا يأكل إلاّ من كسب يده ، ولا يخرج من بيته إلى مجلس الحكم ، ولا إلى مجلس التدريس فى كل يوم إلا بعد أن ينسخ عشر ورقات يأخذ بأجرتها عشرة دراهم يكون قدر مؤنته ثم يخرج إلى مجلسه .

وكان يذكر عنه الاعتزال ولم يكن يظهر ذلك ، وكان نزها عفيفاً جميل الأمر ، حسن الأخلاق ، وكانت سنه يوم توفى ثمانين سنة .

توفى — رحمه الله — فى يوم الاثنين الثانى من رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، وكانت وفاته بين صلاتى الظهر والعصر من اليوم المذكور . ودفن بمقبرة الخيزران بعد صلاة العصر من هذا اليوم . قال العلامة القفطىّ :

وقد ذكرت أخباره هنا مختصرة وأفردت لها مصنفاً سميته « المفيد فى أخبار أبي سعيد » وهو كتاب ممتع .

ومن تصانيفه : كتاب شرح سيبويه[١] (كبير) ، كتاب أخبار النحاة (لطيف) كتاب الإقناع فى النحو ولم يكمله فكمله ولده يوسف ، « كتاب ألفات الوصل والقطع » مقدار ثلاثمائة ورقة . قال ولده أبو محمد يوسف بن سعيد رحمه الله : أصل أبي من سيراف[٢] . وبها ولد وبها ابتدأ

---

(١) طبع منه بعض تقريرات فى كتاب سيبويه طبعة بولاق وبرلين ، وتوجد منه نسخة كاملة فى ثلاث أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٣٦١ نحو .

(٢) سيراف : فرضة على بحر فارس .

يطلب العلم ، وخرج عنها قبل العشرين ومضى إلى عمان[١] وتفقه بها ثم عاد إلى سيراف ومضى إلى العسكر[٢] فأقام عامه. وأتى محمد بن عمر الصيمرى المتكلم ، وكان يقدمه ويفضله على جميع أصحابه ، وكان فقيها على مذهب العراقيين . ودخل بغداد وخلف القاضى أبا محمد بن معروف على قضاء الجانب الشرقى ثم الجانبين ثم الجانب الشرقى ، وكان الكرخى الفقيه يقدّمه ويفضله . وعقد له حلقة يقرئ فيها .

ومولده قبل الستين والمائتين ، وتوفى فى رجب لليلتين خلتا من سنة ثمان وستين وثلاثمائة[٣] .

٣ – أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان البزّاز :

هو أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان أبو بكر البزّاز ، ولد فى شهر ربيع الأول سنة ٢٩٨ هـ وتوفى فى شوال ببغداد سنة ٣٨٣ هـ ، سمع الحسين بن محمد بن عُفير . وأبا القاسم البغوىّ ، وأبا بكر بن داود وأحمد بن القاسم أخا أبى الليث الفرائضى ، وأحمد بن محمد بن المغلس . ويحيى بن محمد ابن صاعد. وأحمد بن سليمان الطوسى ، وصالح بن أبى مقاتل، وأبا ذرّ الباغندىّ ، وأبا بكر بن دُريد ، ونفطويه النحوىّ ، وعبد الله بن محمد بن زياد النيسابورىّ ، وخلقاً كثيراً من أمثالهم، وكان تجهز البزّاز إلى مصر فسمع من شيوخها ، وكتب عن الشاميين الذين أدركهم، روى عنه الدارقطنىّ : كان ثقة ثبتا، صحيح السماع . كثير الحديث ،كثير الكتب، صاحب أصول . حسان[٤].

---

(١) عمان (بضم أوله وتخفيف ثانيه) : فرضة على فم بحر فارس من غربيه .

(٢) العسكر : هو عسكر مكرم (بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء) اسم مدينة من مدن خوزستان .

(٣) إنباه الرواة للقفطى القسم الثالث من الجزء الأول ورقة ٢٦٨ – ٢٧٠ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٧٩ تاريخ ، وراجع ترجمة وافية له فى معجم الأدباء لياقوت (ج ٣ ص ٨٤ – ١٢٠ طبعة هندية) .

(٤) تاريخ بغداد للخطيب (ج ٤ ص١٨–٢٠ طبع مصر) والنجوم الزاهرة (ج ٤ ص١٦٤).

٤ — عبد السلام بن الحسين بن محمد البصرىّ اللغوىّ :

هو عبد السلام بن الحسين بن محمد بن أحمد البصرىّ اللغوىّ ، سكن بغداد وحدّث بها عن محمد بن إسحاق بن عباد التمار وجماعة من البصريّين ، حدّث عنه عبد العزيز الأزجىّ وغيره ، وكان صدوقاً عالماً ، ديّناً قارئاً للقرآن ، عارفاً بالقراءات .

وكان يتولّى ببغداد النظر فى دار الكتب ، وإليه حفظها والإشراف عليها. ذكره أبو العلاء بن سليمان فى كتاب شرحه للحماسة فقال : كان يلقب بالوجكاه .

وقال أبو القاسم عبيد الله بن على الرقّ الأديب : كان عبد السلام البصرىّ من أحسن الناس تلاوة للقرآن وإنشاداً للشعر. قال : وكان سخياً ، ربما جاءه السائل وليس معه شىء يعطيه فيدفع إليه بعض كتبه التى لها قيمة كثيرة وَخطرٌ كبير .

قال علىّ بن المحسِّن التنوخىّ : إن عبد السلام البصرىّ توفى فى يوم الثلاثاء التاسع عشر من المحرم سنة ٤٠٥ هـ ، قال غيره : ودفن فى مقبرة الشونيزى عند قبر أبى على الفارسىّ ، وكان مولده فى سنة ٣٢٩هـ[١] .

وحضر أبو العلاء المعرى عنده بخزانة الكتب ، وعرض عليه أسماءها فلم يستغرب فيها شيئاً لم يره بدور العلم بطرابلس سوى « ديوان تَيْم اللات » فاستعاره منه[٢] وخرج عن بغداد وقد سها عن إعادته ، ولم يذكره حتى صار بالمعرّة فأعاده إليه وفى صحبته القصيدة التالية التى أولها[٣] :

(١) راجع إنباه الرواة للقفطى ورقتى ٤٢٧ و ٤٢٨ من الجزء الأول من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية . القسم الرابع وتاريخ بغداد للخطيب (ج ١١ ص ٥٧ — ٥٨ طبع مصر) .

(٢) فى شروح سقط الزند أنه استعاره من مكتبة القاضى أبى القاسم على بن المحسن التنوخى وأرسله إلى عبد السلام البصرى ليرده إليه .

(٣) القصيدة فى شروح سقط الزند (ص ١٥٩٣ من القسم الرابع طبع دار الكتب المصرية).

هاتِ الحديثَ عن الزَّوراء أو هِيتاَ ومُوقدِ النارِ لا تَكْرَى بتَكْرِيتاَ

يقول فيها :

اِقْرَ السلامَ على عبد السلام فَلِي جِيدٌ إلى نَحْوِه ما زَال مَلْفوتاَ(١)

وذكر فيها «ديوان تَيمْ اللاَّت» فقال :

سألته قبْلَ يوم السَّيْرِ مَبْعَثَه إليكَ ديوان تَيْم اللاَّت ماليِتاَ(٢)

٥ ــ أبو عمر الزاهد المطرّز :

كان من أئمة اللغة وأكابر أهلها وأحفظهم لها ، وكان يعرف بغلام ثعلب اللغوىّ . وقد أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة فى اللغة .

وكان يؤدّب ولد القاضى أبى عمر محمد بن يوسف فأملى على الغلام نحواً من ثلاثين مسألة فى النحو وذكر غريبها وختمها ببيتين من الشعر ، وحضر ابن دريد وأبو بكر بن الأنبارىّ وأبو بكر بن مقسم العطار المقرئ عند القاضى أبو عمر فعرض عليهم تلك المسائل فما عرفوا منها شيئاً وأنكروا الشعر ، فقال لهم القاضى : ما تقولون فيها ؟

فقال ابن الأنبارىّ : أنا مشغول بتصنيف مشكل القرآن ، ولست أقول شيئاً . وقال ابن مقسم مثل ذلك واعتذر باشتغاله بالقراءات ، وقال ابن دريد : هذه المسائل من موضوعات أبى عمر الزاهد ولا أصل لشىء منها فى اللغة وانصرفوا ، فبلغ ذلك أبا عمر فاجتمع بالقاضى وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عيّنهم له ، ففتح القاضى خزانته وأخرج له تلك الدواوين فلم يزل أبو عمر الزاهد يعمد إلى كل مسألة منها ويخرج لها شاهداً من تلك

(١) رواية سقط الزند :

أهدى السلام إلى عبد السلام فما يزال قلبى إليه الدهر ملفوتا

(٢) راجع القسم الأول من الجزء الأول من إنباه الرواة للقفطى ومعنى «ماليتا» أى ما نقص منه شئ .

الدواوين ويعرضه على القاضى حتى استوفى جميع المسائل ثم قال : وهذان البيتان أنشدناهما ثعلب بحضرة القاضى وكتبهما القاضى بخطه على ظهر الكتاب الفلانى ؛ فأحضر القاضى الكتاب فوجد البيتين على ظهره بخطه كما ذكر أبو عمر ؛ وانتهت القصة إلى ابن دريد فلم يذكر أبا عمر الزاهد بلفظة إلى أن مات .

وكان أبو القاسم عبد الواحد بن على بن برهان الأسدىّ يقول : لم يتكلم فى علم اللغة أحد من الأولين والآخرين أحسن من كلام أبى عمر الزاهد .

وكان جماعة من الأشراف والكتاب يحضرون مجلسه للسماع منه . توفى فى ذى القعدة سنة ٣٤٥ هـ ودفن فى الصفة التى تقابل قبر معروف الكرخى وبينهما عرض الطريق(١) .

٦ – الصاحب بن عبّاد :

هو كافى الكفاة أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد وزير آل بُوَيْه ، وكاتبهم ، وأحد المذيعين للسجع والجناس . ولد سنة ٣٢٦ هـ بطالقان قزوين ، وكان أبوه من خيرة كتاب دولة بنى بُويَه ووزرائهم . تعلم العلم والأدب والكتابة عن أبيه ، ثم اتصل بابن العميد ، فلزم صحبته وأخذ عنه الأدب وتولّى له كتابة خاصّة . ثم تنقلت به الأحوال فى خدمة ملوك بنى بُوَيْه فكان وزيراً لمؤيد الدولة ، ثم لأخيه فخر الدولة ، وله فى ملكهما اليد المطلقة ، والأمر النافذ سنة ٣٨٥هـ . وكان مجلسه على تيهه وعُجْبه بنفسه آخر مجلس لوزير جميع العلماء والقرّاء والكتاب والمصنفين والمتكلمين والشيعة ، ولهم منه حظ موفور ، وله منهم لسان مشكور .

ويعدّ ابن عباد فى الكتابة ثانى ابن العميد فى حَلْبته ، وأبلغ من سلك طريقته ، غير أنه أولع بالسجع والجناس ، ولا يعرف بعدهما مَن بلغ بشرف

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٧ ص ٢٦ – ٣٠) وتاريخ بغداد للخطيب (ج ٢ ص ٣٥٦ – ٣٥٩ طبع مصر) .

العلم والأدب مبلغهما ، ولا حلّ من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما .

وهو فى العلم من كبار المصنّفين ، ومن أعظم مصنفاته الكثيرة كتابه المحيط فى اللغة سبعة مجلدات أو عشرة(١) .

٧ — ابن العميد :

هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد، كاتب المشرق وعماد ملك آل بُوَيْه وَصَدْر وزرائهم .

نبغ فى الأدب والكتابة حتى قيل فيه : «بُدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد» تولى وزارة ركن الدولة سنة ٣٢٨ ﻫ فساس دولته ، ووطد أركانها ، وتشبه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والشعراء والأدباء، وكان يشاركهم فى كل ما يعلمون إلا الفقه. وما زال فى وزارته محطّ الرحال ، وكعبة الآمال حتى توفاه الله سنة ٣٦٠ ﻫ(٢) .

---

(١) راجع ترجمته بتفصيل واف فى معجم الأدباء لياقوت (ج ص ٢٧٣ - ٢٤٢)

(٢) راجع ترجمته فى تاريخ ابن خلكان (ج ٢ ص ٨٣ طبع بولاق) ويتيمة الدهر للثعالبى (ج ٢ ص ٢ طبع بيروت) .

الباب الثالث

آراء القدماء والمُحْدَثين فى أبى الفرج

وهى مرتبة ترتيباً زمنياً ويشتمل على فصلين

الفصل الأول

آراء القدماء في أبي الفرج

١ – رأى ابن النديم(١) .

هو علىّ بن الحسين بن الهيثم القرشىّ ، من ولد هشام بن عبد الملك ، وكان شاعراً مصنفاً أديباً ، وله رواية يسيرة وأكثر تعويله على الكتب المنسوبة الخطوط ، أو غيرها من الأصول الجياد ، وتوفى سنة نيف وستين وثلاثمائة .

وله من الكتب : كتاب الأغانى الكبير ، نحو خمسة آلاف ورقة ، كتاب مجرّد الأغانى ، كتاب مقاتل آل أبى طالب ، كتاب تفضيل ذى الحجة ، كتاب الأخبار والنوادر ، كتاب أدب السماع ، كتاب أخبار الطفيليّين ، كتاب أدب الغرباء من أهل الفضل والأدب ، كتاب مجموع الآثار والأخبار ، كتاب أشعار الإماء والمماليك ، كتاب الحمّارين والحمّارات ، كتاب الديارات ، كتاب صفة هارون ، كتاب الفرق والمعيار ، وهى رسالة فى هارون بن المنجّم بين الأوغاد والأحرار(٢) .

٢ – رأى الثعالبىّ(٣) :

أبو الفرج الأصبهانىّ على بن الحسين الأموىّ الأصبهانىّ الأصل ،

(١) هو أبو الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب النديم الوراق البغدادى مصنف كتاب الفهرست الذى جود فيه واستوعب استيعاباً يدل على فنون من العلم وتحققه لجميع الكتب . وذكر فى مقدمة هذا الكتاب أنه صنف فى سنة ٣٧٧ هـ ، كان شيعياً معتزلا ، توفى بعد التسعين والثلثمائة . (راجع معجم الأدباء لياقوت ج ٦ ص ٤٠٨ وديوان الإسلام) .

(٢) كتاب الفهرست لابن النديم (ص ١١٥ طبع أوربا)

(٣) هو الإمام العلامة عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى أبو منصور=

البغدادىّ المنشأ ، وكان من أعيان أدبائها ، وأفراد مصنفيها ، وله شعر يجمع إتقان العلماء ، وإحسان ظرفاء الشعراء .

والذى رأيته من كتبه : كتاب القيان ، وكتاب الأغانى ، وكتاب الإماء الشواعر ، وكتاب الديارات ، وكتاب دعوة النجار ، وكتاب مجرّد الأغانى ، وكتاب أخبار جحظة البرمكى ، وما أشك فى أن له غيرها . وكان منقطعا إلى المهلبىّ الوزير ، كثير المدح له مختصاً به(١) .

٣ — رأى محمد بن أبى الفوارس (٢) :

وصفه محمد بن أبى الفوارس — كما ذكر القفطىّ فى إنباه الرواة — بقوله : « كان أبو الفرج الأصبهانىّ أموياً وكان يتشيّع » وشيعة العراق

= المولود سنة ٣٥٠ والمتوفى سنة ٤٠٩ ، والثعالبى نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها ، قيل له ذلك لأنه كان فراء ، وهو إمام جليل ، كاتب شاعر أتحف المكتبة العربية بآثار نافعة خالدة منها اليتيمة وفقه اللغة وثمار القلوب فى المضاف والمنسوب وأحسن ما سمعت وسحر البلاغة ومن غاب عنه المطرب وغرر أخبار الملوك ، وخاص الخاص وتاريخ الفرس وسيرهم (راجع ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤١٢ طبع بولاق سنة ١٢٧٥ ونزهة الألبا لابن الأنبارى ص ٤٣٦ وروضات الجنات ص ٢٤٦٢ ومفتاح السعادة ص ١٨٧)

(١) يتيمة الدهر (ج ٢ ص ٢٧٨ طبع بيروت) .

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن فارس بن سهل ، أبو الفتح بن أبى الفوارس ، كان جد سهل يكنى أبا الفوارس ، ولد سنة ٣٣٨ ، وتوفى سنة ٤١٢ ، سمع من أبى بكر بن محمد بن الحسن بن زياد النقاش ، وأبى بكر الشافعى ، وأبى على بن الصواف ، وأحمد بن يوسف ابن خلاد ومن فى طبقتهم .

وسافر فى طلب الحديث إلى البصرة وبلد فارس وخراسان ، وكتب الكثير وجمع . وكان ذا حفظ ومعرفة وأمانة وثقة ، مشهوراً بالصلاح ، وكتب الناس بانتخابه على الشيوخ وتخريجه . وحدث عنه أبو سعد المالينى ، وأبو بكر البرقانى ، وهبة الله بن الحسن الطبرى . وسمعت منه بعض أماليه . وقرأت عليه قطعة من حديثه .

وكان يسكن بالجانب الشرقى ويملى فى جامع الرصافة .

(راجع تاريخ بغداد للخطيب ج ١ ص ٣٥٣ طبع مصر) .

فى زمنه كانوا على الإطلاق معتزلة ، ولم يؤثر عنهم أن تنقص أحداً من الصحابة الكرام » .

وقال : « توفى أبو الفرج الأصبهانىّ الكاتب يوم الأربعاء لأربع عشرة خلون من ذى الحجة سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ومولده سنة أربع وثمانين ومائتين ، وكان قبل أن يموت خلط . وهذا القول هو الصحيح فى وفاته[١] » .

٤ — رأى أبى الحسين هلال بن المحسّن بن إبراهيم[٢] :

« كان أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى أموىّ النسب ، غزير الأدب ، عالى الرواية ، حسن الدراية ، وله تصنيفات منها : كتاب الأغانى ، وقد أوردَ فيه ما دلّ به على اتساع علمه ، وكثرة حفظه ، وله شعر جيد إلا أنه فى الهجاء أجود ، وإن كان فى غيره متأخر ، وكان الناس على ذلك العهـــد يحذرون لسانه ويتقون هجاءه . ويصبرون فى مجالسته ومعاشرته ، ومواكلته ومشاربته على كلّ صعب من أمره ، لأنه كان وسخاً فى نفسه، ثم فى ثوبه وفعله قذراً ، حتى إنه لم يكن ينزع دُرّاعه يلبسها إلا بعد إبلائها وتقطيعها ، ولا يعاف لشىء من ثيابه غسلا ، ولا يطلب منه فى مدة بقائه عوضاً[٣] ... إلخ .

---

(١) راجع القسم الخامس من الجزء الأول (ورقة ٤٨٨) من إنباه الرواة .

(٢) هو أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابى، المولود سنة ٣٥٩ﻫ والمتوفى سنة ٤٤٨ ﻫ ، وكان أديباً كاتباً فاضلا، له معرفة بالعربية واللغة ، وكان صابئاً ثم أسلم فى آخر عمره وحسن إسلامه . وكتب عنه الخطيب البغدادى فقال : « كان ثقة صدوقاً ، وصنف كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان، جمع فيه أخباراً وحكايات مستطرفة مما حكى عن الأعيان والأكابر، وهو كتاب ممتع » وقد طبع هذا الكتاب فى ليدن سنة ١٩٠٤ باسم : (تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء) وهو يتضمن تواريخ سنة ٣٨٩ إلى سنة ٣٩٣ (راجع تاريخ بغداد للخطيب ج ١٤ ص ٧٦) و(معجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص٢٥٥) و(يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٨٧) و(تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٢٩٩ طبع بلاق) و(معاهد التنصيص ص ٢٠٥) .

(٣) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٥٢) نقلا عن كتاب أبى الحسين الذى ألفه فى أخبار الوزير المهلبى ، وعيون التواريخ لا بن شاكر .

٥ — رأى القاضى التنوخىّ أحد معاصريه[١] :

« ومن الرّواة المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج علىّ بن الحسين الأصبهانى ، فإنه كان يحفظ من الشعر ، والأغانى ، والأخبار ، والآثار ، والأحاديث المسندة ، والنسب ما لم أر قطّ مَن يحفظ مثله ، وكان شديد الأختصاص بهذه الأشياء ، ويحفظ دون ما يحفظ منها علوماً أخرى ، منها :

اللغة ، والنحو ، والخرافات ، والسير ، والمغازى ، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً ، مثل : علم الجوارح والبيطرة ، ونتف من الطبّ والنجوم والأشربة وغير ذلك[٢] » .

٦ — رأى أبى محمد الحسن بن الحسين النوبَختىّ أحد معاصريه[٣] :

« كان أبو الفرج الأصبهانىّ أكذب الناس ، كان يدخل سوق

---

(١) هو على بن محمد بن داود أبو القاسم ، قدم بغداد وتفقه على مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ، وكان حافظاً للشعر ذكياً وله عروض بديع . ولى القضاء بعدة بلدان ، وهو والد أبى على المحسن التنوخى صاحب نشوار المحاضرة وكتاب الفرج بعد الشدة وغيرهما ، وكان يحفظ للطائيين سبعمائة قصيدة ومقطوعة سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين ، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً كثيراً . وكان فى الفقه والفرائض والشروط غاية ، وآشتهر بالكلام والمنطق والهندسة . وكان الوزير المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جدا ويتعصبون له ، ويعدونه ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء ، ولد سنة ٢٧٨ وتوفى سنة ٣٤٢ (راجع معجم الأدباء ج ٥ ص ٣٣٢ ومعاهد التنصيص ص ١٨١ وتاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٥٠٣ طبع بولاق) .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب (ج ١١ ص ٣٩٩) طبع مصر (وإنباه الرواة للقفطى ورقة (٤٨٦) من القسم الخامس من الجزء الأول من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٧٩ تاريخ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥) .

(٣) هو الحسن بن الحسين بن على بن العباس بن إسماعيل أبو محمد النوبختى الكاتب ، حدث عن على بن عبد الله بن مبشر الواسطى والقاضى المحاملى . وكان سماعه صحيحاً ، وكان ثقة فى الحديث ، ويذهب إلى الاعتزال .

وقال الأزهرى : كان النوبختى رافضيا ردىء المذهب . وسئل البرقانى عن النوبختى فقال : كان معتزليا وكان يتشيع إلا أنه تبين أنه صدوق . ولد النوبختى فى أول سنة عشرين وثلثمائة وتوفى سنة اثنتين وأربعمائة (راجع تاريخ بغداد للخطيب ج ٧ ص ٢٩٩ طبع مصر) .

الورّاقين وهى عامرة ، والدكاكين مملوءة بالكتب ، فيشترى شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ، ثم تكون رواياته كلها منها »[١]

٧ – رأى الخطيب البغدادىّ[٢] :

« وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسيرة ، وكان شاعراً محسناً والغالب عليه رواية الأخبار والآداب . وصنّف كتباً كثيرة منها : الأغانى الكبير ، ومقاتل الطالبيّين ، وأخبار الإماء الشواعر ، وكتاب الحانات ، وكتاب الديارات ، وآداب الغرباء وغير ذلك[٣] . . . . إلخ) .

٨ – رأى أبى الحسن البستىّ :

« لم يكن أحد أوثق من أبى الفرج الأصبهانى »[٤]

٩ – رأى[٥] ابن الجوزىّ[٦] :

« علىّ بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب (ج ١١ ص ٣٩٩ طبع مصر)

(٢) هو الإمام العلامة أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى البغدادى المعروف بالخطيب صاحب تاريخ بغداد ، المولود سنة ٣٩٢هـ والمتوفى سنة ٤٦٣ هـ . كان من الحفاظ المتقنين ، والعلماء المتبحرين ولو لم يكن له سوى كتابه فى التاريخ لكفاه فإنه يدل على اطلاع عظيم ، وصنف غيره نحو مائة مصنف ، وفضله أشهر من أن يوصف .

(راجع معجم الأدباء لياقوت ج ٦ ص ٤٧٢ طبعة هندية وتاريخ ابن خلكان وروضات الجنات ومفتاح السعادة ج ١ ص ٢١٠ ويتيمة الدهر ج ٤ ص ٨٢) .

(٣) تاريخ بغداد (ج ١١ ص ٣٩٨ طبع مصر) .

(٤) تاريخ بغداد للخطيب (ج ١١ ص ٤٠٠ طبع مصر) وإنباه الرواة للقفطى (ورقة ٤٨٨ من القسم الخامس من الجزء الأول) .

(٥) قال ياقوت : « وأنا لا أعتمد على ما تفرد به ابن الجوزى لأنه عندى كثير التخليط » . (معجم الأدباء ج ٦ ص ٢٠٤) .

(٦) هو الإمام العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على بن محمد الحنبلى الحافظ الشهير بابن الجوزى المولود سنة ٥١٠ هـ والمتوفى سنة ٥٩٧ هـ . كان علامة عصره وإمام وقته فى الحديث وصناعة الوعظ . والجوزى نسبة إلى محلة البصرة تسمى محلة الجوز . صنف فى فنون

أبو الفرج الأصبهانى الكاتب . حدّث عن محمد بن عبد الله الحضرمىّ ابن مطير وخلق كثير ، والغالب عليه رواية الأخبار والآداب. وكان عالماً بأيام الناس والسير ، وكان شاعراً ، وصنّف كتباً كثيرة منها : الأغانى، وكتاب أيام العرب ذكر فيه ألفاً وسبعماية يوم .

روى عنه الدارقطنىّ ، وكان يتشيّع ومثله لا يوثق به وبروايته ، فإنه يصرّح فى كتبه مما يوجب عليه الفسق ، ويهوّن شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب الأغانى رأى كل قبيح ومنكر.

توفى فى ذى الحجة سنة ٣٥٦ هـ[1] » .

١٠ — رأى الحافظ أبى نعيم[2] :

« توفى أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى الكاتب ببغداد فى سنة سبع وخمسين وثلثمائة »[3]

= عديدة منها المنتظم فى التاريخ قال الحافظ الذهبى : « ما علمت أن أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل وكان شاعراً وواعظاً » أتحف المكتبة العربية بنفائس خالدة منها : مناقب عمر بن عبد العزيز وكتاب الأذكياء والوفا فى فضائل المصطفى ، وسيرة عمر بن عبد العزيز (راجع تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣٥٠ وروضات الجنات وجلاء العينين ومفتاح السعادة ج ١ ص ٢٠٧) .

(١) كتاب المنتظم لابن الجوزى (القسم الثانى من الجزء السادس ورقة ٣٤٠ من النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٩٦ تاريخ) .

(٢) هو الإمام الحافظ أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانى المعروف بأبى نعيم المولود سنة ٣٣٦ ، وقيل ٣٣٤ والمتوفى سنة ٤٣٠ هـ كان من الأعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات وهو صاحب كتاب حلية الأولياء .

(راجع ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٣٢ وطبقات السبكى ج ٣ ص ٨ وطبقات الشافعية الكبرى ج ١ ص ٧٢ وروضات الجنات ج ١ ص ٧٥) .

(٣) إنباه الرواة للقفطى (ورقة ٤٨٨ من القسم الخامس من الجزء الأول) .

١١ — رأى ابن خلكان(١) :

« هو أصبهانىّ الأصل ، بغدادىّ المنشأ ، كان من أعيان أدبائها وأفراد مصنّفيها ، روى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم ، وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير(٢) . . . الخ »

١٢ — رأى ابن كثير(٣) :

« وممن توفى فيها من الأعيان (سنة ٣٥٦هـ) علىّ بن الحسين بن محمد ابن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم الأموىّ أبو الفرج الأصبهانىّ صاحب كتاب الأغانى وكتاب أيام العرب ذكر فيه ألفاً وسبعمائة يوم من أيامهم ووقائعهم ، وقد كان

---

(١) هو العلامة أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان الأربلى الشافعى قاضى القضاة . المولود يوم الخميس بعد صلاة العصر حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة ٦٠٨ بمدينة أربل بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين كما ذكره عن نفسه فى ترجمة أم المؤيد زينب النيسابورية من تاريخه وفيات الأعيان والمتوفى سنة ٦٨١ هـ . كان عالماً بارعاً جيد القريحة بصيراً بالشعر ، وكتابه الوفيات من أحسن ما صنف فى فنه ويعتبر مرجعاً عظيماً فى بابه . (ترجمته فى فوات الوفيات لابن شاكر ج ١ ص ٥٥ وطبقات السبكى ج ٥ ص ١٤ وحسن المحاضرة ج ١ص ٢٨٦ والخطط التوفيقية ج ١٠ ص ١٧ وروضات الجنات ج ١ ص ٨٧ ومفتاح السعادة ج ١ ص ٢٠٩ وله ترجمة فى آخر نسخة كتابه وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٥٧ جمعها العلامة نصر الهورينى وشذرات الذهب ج ٥ ص ٣٧١ طبع مصر) .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٤٦٥ طبع بولاق سنة ١٢٧٥ هـ) .

(٣) هو الإمام العلامة إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين المولود سنه ٧٠٠ كما فى الدرر الكامنة أو سنة ٧٠١ كما فى المنهل الصافى والمتوفى سنة ٧٧٤ هـ انتهت إليه رياسة العلم فى التاريخ والحديث والتفسير . ومن تصانيفه المفيدة النافعة البداية والنهاية المطبوع ، وتفسيره للقرآن الكريم . وقد طبع بهامش فتح البيان فى مقاصد القرآن لصديق حسن خان سنة ١٣٠٢ هـ وطبع أيضاً مع تفسير البغوى .

(راجع ترجمته فى الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٧٣ طبع حيدر آباد سنة ١٣٤٨هـ ومفتاح السعادة ج ١ ص ٢٠٤ والمنهل الصافى ج ١ ص ٢١٠ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية) .

شاعراً أديباً كاتباً عالماً بالأخبار وأيام الناس إلا أنه كان يتشيّع . قال ابن الجوزى : ومثله لا يوثق به فإنه يصرح فى كتبه بما يوجب عليه الفسق ويهوّن شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب الأغانى رأى كل قبيح منكر ، وقد روى الحديث عن محمد بن عبد الله ابن مطير وخلق ، وروى عنه الدارقطنىّ وغيره . وكانت وفاته فى ذى الحجة من هذه السنة . قال ابن خلكان : وقيل فى التى بعدها ، وكان مولده فى سنة أربع وثمانين ومائتين التى توفى فيها البحترىّ الشاعر ، وقد ذكر له مصنفات عديدة منها : الأغانى والديارات وأيام العرب ألف وسبعمائة يوم وغير ذلك [1] »

١٣ — رأى العلامة القفطىّ [2] :

« علىّ بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان ابن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العباس أبو الفرج الأموىّ الكاتب المعروف بالأصبهانى الأخبارىّ النحوىّ اللغوىّ الشاعر .

روى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم ، وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير ، وكان شاعراً محسناً .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (القسم الرابع من الجزء الثالث من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٠ تاريخ) .

(٢) هو أبو الحسن على بن يوسف بن إبراهيم الشيبانى القفطى منسوب إلى « قفط » : بلد بالصعيد الأعلى من مصر ، وهى اليوم من أعمال مديرية قنا ، ولى القضاء والوزارة بحلب . قال الحافظ أبو عبد الله البغدادى : « اجتمعت به فوجدته جم الفضائل ، ذا فنون غزيرة ، وفواضل مستنيرة ، عظيم القدر ، صخى الكف ، طلق الوجه ، حلو الشمائل ، مشاركا لأرباب كل علم من النحو واللغة والفقه والحديث وعلم القراءات والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ » .

كان مغرماً باقتناء الكتب وجمع منها ما لا يوصف وقصد بها من الآفاق ، وكان لا يحب من الدنيا سواها وأوصى بها للناصر صاحب حلب ، وكانت تساوى خمسين ألف دينار . وله عدة مؤلفات نفيسة منها : أخبار الحكماء ، وإنباه الرواة ، والمحمدون من الشعراء وأشعارهم فى نسخة خطية محفوظة فى الخزانة التيمورية المضمومة الآن إلى دار الكتب المصرية . ولد بقفط سنة ٥٦٨ هـ وتوفى بحلب سنة ٦٦٤ هـ . (راجع ترجمته فى معجم الأدباء لياقوت ج ٥ ص ٤٧٧ وفوات الوفيات ج ٢ ص ٩٦ والطالع السعيد للأدفوى ص ٢٢٧ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٥ وبغية الوعاة ص ٣٥٨)

قال التنوخىّ : « ومن الرواة المتشيِّعين الذين شاهدناهم أبو الفرج علىّ ابن الحسين الأصبهانىّ ، فإنه كان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار ، والآثار ، والأحاديث المسندة والنسب ما لم أر قطّ من يحفظ مثله . وكان شديد الاختصاص بهذه الأشياء ، ويحفظ دون ما يحفظ منها من علوم أُخَر منها : اللغة والنحو والخرافات والسيرة والمغازى، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً ، مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطبّ والنجوم والأشربة وغير ذلك[1] ..الخ »

١٤ — رأى ياقوت الحموىّ[2] :

« علىّ بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو الفرج الأصبهانىّ العلاّمة النساب الإخبارىّ الحُفظة الجامع بين سعة الرواية والحذق فى الدراية لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه فى فنها ،

---

(١) إنباه الرواه للقفطى (القسم الخامس من الجزء الأول ورقة ٤٨٦ — ٤٨٨ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٧٩ تاريخ) .

(٢) هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الجنس، الحموى المولد، البغدادى الدار ويلقب بشهاب الدين ، وهو أشهر جغرافى العرب، وأوعاهم مادة ، وأبقاهم أثراً، وأوسعهم فضلا وأكثرهم نفعاً ، أصله من بلاد الروم أسر صغيراً وحمل من بلاده فابتاعه تاجر فى بغداد اسمه عسكر الحموى وجعله فى الكتاب لينتفع به فى ضبط تجارته ولم يكن عسكر يحسن الخط ، ولما كبر ياقوت قرأ شيئاً من النحو واللغة ، وشغله مولاه بالأسفار فى متاجره ثم أعتقه وأبعده عنه سنة ٥٩٦ هـ فاشتغل بالنسخ بالأجرة فاستفاد بالمطالعة، وعاد إلى مولاه فعطف عليه وسفره فى متاجره . ولما عاد وجد سيده قد مات فأخذ من التركة ما كفاه للاتجار ، وكان متعصباً على علىّ بن أبى طالب وتوجه إلى دمشق سنة ٦١٣ هـ وناظر بعض المتعصبين لعلى فثار عليه الناس ففر فطلبه الوالى فلم يظفر به فوصل حلب خائفاً يترقب ، ثم انتقل إلى إربل فخراسان وأقام بها يتنقل فى بلادها، وتوطن مرو ثم نسا فخوارزم . فاتفق وهو هناك خروج التتر سنة ٦١٦هـ بقيادة جنكيزخان فانهزم بنفسه ليس معه شىء حتى أتى الموصل وقد تقطعت به الأسباب وأعوزه الطعام واللباس، ثم انتقل إلى سنجار فحلب وأقام بظاهرها حتى مات، ولياقوت هذا ملكة فى التأليف يندر وجودها فهو يتوخى جمع الحقائق وتنسيقها وتبويبها بحيث تسهل الاستفادة منها كما يظهر من مؤلفاته ، كمعجم البلدان والمشترك وضعاً والمفترق صقعاً ، ومعجم الأدباء ، والمقتضب من كتاب جمهرة النسب، وتوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية (راجع ترجمته فى تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٠) .

وحسن استيعاب ما يتصدّى لجمعه ، وكان مع ذلك شاعراً جيداً ، مات فى رابع عشر ذى الحجة، سنة ٣٥٦هـ فى خلافة المطيع لله، ومولده سنة ٢٨٤هـ . . . الخ(١) »

١٥– رأى ابن الأثير(٢) :

« وفيها (سنة ٣٥٦ هـ) توفى أبو الفرج علىّ بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصبهانى الأموىّ ، وهو من ولد محمد بن مروان بن الحكم الأموىّ . وكان شيعياً ، وهذا من العجب ، وهو صاحب كتاب الأغانى وغيره (٣) »

١٦ – رأى أبى الفدا إسماعيل (٤) :

« توفى فى سنة ٣٥٦ هـ أبو الفرج علىّ بن الحسين بن محمد بن أحمد ابن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن الحكم

(١) راجع معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٤٩ – ١٦٨ طبعة هندية) .

(٢) هو العلامة المؤرخ أبو الحسن على بن أبى المكارم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيبانى الملقب عز الدين والمعروف بابن الأثير الجزرى ، ولد بالجزيرة سنة ٥٥٥ هـ وتوفى بالموصل سنة ٦٣٠ هـ .

كان إماماً حافظاً للتواريخ خبيراً بأنساب العرب قال ابن خلكان : « اجتمعت به بحلب فوجدته مكملا فى الفضائل والتواضع وكرم الأخلاق فترددت إليه » .

وله عدة مصنفات نفيسة نافعة تعد من أمهات المصادر فى أيدى الباحثين ، منها : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، و تاريخ الكامل ، واللباب فى معرفة الأنساب .

(راجع ترجمته فى تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٤٣٨ وتاريخ أبى الفدا ج ٣ ص ١٥٤ وطبقات السبكى ج ٥ ص ١٢٧ ومفتاح السعادة ج ١ ص ٢٠٦) .

(٣) تاريخ الكامل لابن الأثير (ج ٨ ص ٤٣٠ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٩٢ م) .

(٤) هو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن على بن محمود بن محمد صاحب حماه . برع فى الفقه والأصول العربية والتاريخ والأدب وصار من جلة أمراء دمشق إلى أن كان الملك الناصر بن قلاوون بالكرك وبالغ فى خدمته فوعده الملك الناصر محمد بسلطنة حماه ووفى له بذلك .

ولد سنة ٦٧٢ هـ وتوفى سنة ٧١٢هـ .

(راجع فوات الوفيات ج ١ ص ١٦ والدرر الكامنة وطبقات السبكى ج ٦ ص ٨٤ وكشف الظنون ومقدمة تاريخ ابن الوردى) .

ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموىّ الكاتب الأصفهانىّ صاحب كتاب الأغانى ، وجدّه مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، وهو أصبهانىّ الأصل ، بغدادىّ المنشأ ، وروى عن عالم كثير من العلماء ، وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير ، وكان على أمويته متشيّعاً . قيل : إنه جمع كتاب الأغانى فى خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه ، وله غيره مصنفات عدّة ، وصنف كتباً لبنى أمية أصحاب الأندلس وسيّرها إليهم سراً ، وجاءه الإنعام منهم سرّا ، وكان منقطعاً إلى الوزير المهلّبىّ وله فيه مدائح ، وكانت ولادته سنة أربع وثمانين ومائتين .

وأسماء الكتب التى صنّفها لبنى أمية : نسب بنى عبد شمس ، وأيام العرب ألف وسبعمائة يوم ، وجمهرة النسب ، ونسب بنى شيبان[1] .

١٧ — رأى العلامة شمس الدين الذهبىّ[2] :

قال الشيخ شمس الدين الذهبىّ :

« رأيت شيخنا تقىّ الدين بن تيمية يضعّفه ويتّهمه فى نقله ويستهول ما يأتى به ، وما علمت فيه جرحاً إلاّ قول ابن أبى الفوارس : خلط قبل أن

---

(١) تاريخ أبى الفدا (ج ٢ ص ١١٤ طبع الآستانة سنة ١٢٨٦ هـ) .

(٢) هو عبد الله شمس الدين الذهبى محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانى ، ولد سنة ٦٧٣ هـ وتوفى سنة ٧٤٨هـ . له تصانيف كثيرة نافعة منها : «تذكرة الحفاظ» و «ميزان الاعتدال» و «المشتبه» و «تذهيب تهذيب الكمال» و «تجريد أسماء الصحابة» وغيرها .

وللذهبى أيضاً كتاب مختصر فى التاريخ يسمى «دول الإسلام» طبع فى الهند سنة ١٣٣٧ هـ فى مجلدين .

وكان من كبار المحدثين ، سمع بدمشق وبعلبك وحمص وحماه وحلب وطرابلس ونابلس والرملة وبلبيس والقاهرة والإسكندرية والحجاز والقدس وقد أضر قبل موته بأربع سنين أو أكثر .

(انظر ترجمته فى فوات الوفيات ج ٢ ص ١٨٣ والدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٦ — ٣٣٨ طبع حيدر آباد . وشذرات الذهب ج ٦ ص١٥٣ طبع مصر ، والمنهل الصافى ج ٣ ظهر ص ١٠٦ — ١٠٩ من المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية) .

يموت ، وقد أثنى على كتابه الأغانى جماعة من جلّة الأدباء[١] » .

١٨ – رأى العلامة ابن شاكر[٢] الكتبى :

فيها (سنة ٣٥٦ هـ) توفى على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم ابن عبد الرحمن بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس أبو الفرج الأصفهانىّ صاحب كتاب الأغانى الكاتب الإخبارىّ العلامة ، ولد سنة أربع وثمانين ومائتين . وسمع أبو الفرج من جماعة لا يحصون وروى عنه الدارقطنىّ وغيره ، استوطن بغداد ، وكان من أعيان أدبائها وأفراد مصنّفيها ، وكان إخبارياً نسابة ظاهر التشيّع .

قال أبو علىّ التنوخىّ ، كان يحفظ أبو الفرج من الشعر والأغانى والأخبار والمسندات والأنساب ما لم أر قطّ من يحفظ مثله ، ويحفظ سوى ذلك من علوم أُخَر منها اللغة والنحو والمغازى والسير ، وصنّف لبنى أمية أقار به ملوك الأندلس تصانيف وسيّرها إليهم وجاءه الإنعام على ذلك[٣] ... الخ

١٩ – رأى العلامة العينى[٤] :

« أبو الفرج الأصبهانى صاحب الأغانى اسمه علىّ بن الحسين بن

---

(١) عيون التواريخ لابن شاكر فى ذكر من توفى فى سنة ٣٥٦هـ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٩٧ تاريخ .

(٢) هو العلامة محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن المؤرخ صلاح الدين الدارانى الأصل الدمشقى المعروف بابن شاكر الكتبى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ سمع من ابن الشحنة والمزى وغيرهما . وكان فقيراً جداً ، ثم عانى التجارة فى الكتب فنال منها مالا طائلا . وله عدة مؤلفات نفيسة نافعة منها : فوات الوفيات المطبوع « وعيون التواريخ » وهو كتاب جليل فى التاريخ لم يطبع ، ومنه أجزاء بخط المؤلف محفوظة بدار الكتب المصرية والخزانة التيمورية .

(راجع ترجمته فى تاريخ ابن قاضى شهبة ج ٢ ص ١٧١ والدرر الكامنة ج٣ ص ٤٤٩ – ٤٥٠ ، وشذرات الذهب ج ٦ ص ٢٠٣) .

(٣) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى فى ذكر من توفوا فى سنة ٣٥٦ هـ ص ٤٧٥ – ٤٨٥ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٤٩٧ تاريخ .

(٤) هو العلامة محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين الحنفى قاضى القضاة بمصر =

محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشىّ الأموىّ الكاتب الأصبهانىّ الأصل، البغدادىّ المنشأ، كان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفيها وروى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم، وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسيرة، قال التنوخىّ: ومن المتشيّعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهانىّ، وكان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب ما لم أر قطّ من يحفظ مثله. ويحفظ دون ذلك من علوم أخر منها: اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازى ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل: علم الجوارح والبيطرة والطبّ والنحو والأشربة وغير ذلك. وله المصنفات المستملحة منها كتاب الأغانى الذى وقع الاتفاق على أنه لم يعمل فى بابه مثله فيقال إنه جمعه فى خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة بن حَمْدان فأعطاه ألف دينار واعتذر له، وحكى الصاحب بن عباد «أنه كان فى أسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثين جملا من كتب الأدب ليطالعها، فلما وصل إليه كتاب الأغانى لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه استغناء به عنها، ومنها كتاب القيان وكتاب الإماء الشواعر وكتاب أيام العرب ذكر فيه ألفاً وسبعمائة يوم من أيامهم.. وقال ابن كثير، وقد روى الحديث عن محمد بن عبد الله وغيره روى عنه الدارقطنىّ وغيره. وقال ابن الجوزى: ومثله لا يوثق به فإنه يصرح فى كتبه بما يوجب عليه الفسق ويهوّن شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه. ومن تأمل كتاب الأغانى رأى كل منكر وقبيح. وقال ابن خلكان: وكان منقطعاً

الشهير بالعينى، نسبة إلى عينتاب، وقد يقال له العينتابى، المولود بعينتاب سنة ٧٦٢ هـ والمتوفى بالقاهرة سنة ٨٥٥ هـ ودفن بمدرسته قرب الجامع الأزهر.

(ترجمته فى الضوء اللامع للسخاوى ج ١٠ ص ١٣١ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٨ والفوائد البهية ص ٢٠٧ والمنهل الصافى ج ٣ ص ٣٣٧ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١١١٣ تاريخ).

إلى الوزير المهلبىّ وله فيه مدائح فمنه قوله :

ولما اُنتجمنا لائذين بظلّه أعانَ وما عَنَى ومنّ وما منّا
وَرَدْنا عليه مُقترين فراشنا وَرَدْناداهمُجْدِبينفأخصبنا

وشعره كثير ومحاسنه كثيرة ، وكانت ولادته فى سنة أربع وثمانين ومائتين وتوفى فى سنة ٣٥٦ ﻫ وقال ابن خلكان : مات يوم الأربعاء رابع عشر ذى الحجة سنة ٣٥٦ﻫ وكان قدخلط قبل أن يموت . وفى تاريخ المؤيد : وصنّف كتباً لبنى أمية أصحاب الأندلس وسيّرها إليهم سراً وجاءه الإنعام منهم سراً، منها : نسب بنى عبد شمس ، وأيام العرب ، وجمهرة النسب ، ونسب بنى شيبان[١]» .

٢٠ — رأى أبى المحاسن بن تغرى بردْى[٢] :

« وفيها (سنة ٣٥٦ﻫ) توفى علىّ بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم الإمام العلاّمة أبو الفرج الأصبهانىّ الكاتب مصنف كتاب الأغانى وغيره ، سمع الحديث وتفقه وبرع واستوطن ببغداد من صباه ، وكان من أعيان أدبائها ، كان إخبارياً نسابة شاعراً ظاهراً بالتشيّع ، قال أبو علىّ التنوخىّ : كان أبو الفرج يحفظ من الشعر والأغانى ، والأخبار والمسندات والأنساب ما لم أر قطّ مثله ، ويحفظ سوى ذلك من علوم اُخر منها : اللغة والنحو

(١) عقد الجمان للعينى القسم الثانى من الجزء التاسع عشر (ورقتا ١٩٨ و ١٩٩) من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٢) هو العلامة المؤرخ يوسف ابن نائب الشام تغرى بردى أبو المحاسن جمال الدين البشبغاوى القاهرى الحنفى المولود بالقاهرة سنة ٨١٣ ﻫ المتوفى بها يوم الثلاثاء ٥ ذى الحجة سنة ٨٧٤ ﻫ ودفن بقرب تربة الأشرف إينال . كان تلميذاً لتقى الدين المقريزى مؤرخ الديار المصرية وانتهت إليه رياسة فن التاريخ فى عصره ، وهو مؤلف النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة وهو من أنفس الكتب فى تاريخ مصر وتقوم بطبعه الآن دار الكتب المصرية وقد وصلت فيه إلى الجزء العاشر وقد باشرنا تصحيح بعض أجزائه ووضعنا فهارسها المطبوعة معها ، وله أيضاً المنهل الصافى فى ثلاثة أجزاء (راجع ترجمته فى الضوء اللامع ج ١ ص ٣٠٨ وتاريخ مصر لابن إياس ج ٢ ص ١١٨ وشذرات الذهب ج ٧ ص ٣١٧) .

والمغازى والسير . قلت : وكتاب الأغانى فى غاية الحسن ، وكان منقطعاً إلى الوزير المهلبىّ ، وله فيه غرر مديح ، وله فيه من جملته قصيدة يهنئه بمولود من سُرِّية :

إسعدْ بمولودٍ أتاك مباركا كالبدر أشرقَ جنحَ ليلٍ مُقْمرِ
سعد لوقت سعادةٍ جاءت به أمٌّ حصانٌ[١] من بنات الأصفر
متبجبح[٢] فى ذِرْوَتَىْ شرف العُلا بين المهلّب منتهاه وقَيْصَرِ
شمس الضحى قُرِنت إلى بَدْر الدُّجَى حتى إذا اجتمعا أتت بالمُشْتَرِى

وشعره كثير ومحاسنه مشهورة[٣] ... الخ »

٢١ — رأى ابن العماد الكاتب[٤] :

أبو الفرج على بن الحسين الأموىّ الأصبهانىّ الكاتب الإخبارىّ، كان أديباً نسّابة علاّمة شاعراً كثير التصانيف، ومن العجائب أنه مروانىّ[٥] يتشيّع ... الخ

وقد ذكره فيمن توفى سنة ٣٥٦ ﻫ ثم قال : توفى فى ذى الحجة عن ثلاث وسبعين سنة قاله فى العبر .

---

(١) الحصان . العفيفة .
(٢) متبجبح . مفتخر .
(٣) النجوم الزاهرة لأبى المحاسن بن تغرى بردى (ج ٤ ص ١٥)
(٤) هو العلامة عبد الحى بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد العكرى الدمشقى الصالحى الحنبلى ، كان من آدب الناس وأعرفهم بالفنون الكثيرة ومن أكثرهم حظاً فى التمتع بالخزائن العلمية ولد بدمشق سنة ١٠٣٢ثم رحل إلى القاهرة وأقام بها مدة طويلة ثم رجع إلى دمشق ولزم الإفادة والتدريس وكان قد حج فمات بمكة سنة ١٠٨٩ ودفن بالمعلاة (راجع خلاصة الأثر ج ٢ ص ٣٤٠ — ٣٤١) .
(٥) شذرات الذهب لابن العماد الكاتب (ج ٣ ص ١٩ طبع مصر) .

الفصل الثانى

آراء المحدثين فى أبى الفرج

رأى المرحوم الأستاذ عبد العزيز البشرى[1] :

« ولعلّ من الخير أن أنبه فى هذا المقام إلى أن محاولة كشف الرجل عن آثاره المحفوظة لاتجدى كثيراً فى الإبانة عن خلاله ، ومداخل عيشه ، حتى مظاهرها بل إنها لكثيراً ما تكون من وسائل الضلّة فى إثبات التاريخ ، ولست أسوق لهذا أكثر من مثلين : ذلك بأنك لو اتكأت فى طلب خلال الجاحظ على مجرّد آثاره ، لخرج لك منها أنه كان أزهدَ الناس فى المال ، وأنه لو سقط ليده لكان أجود به من الريح المرسلة ، فإن أحداً لم ينع الشحّ ، ولم يذمّ الأشحاء كما نعى الجاحظ وكما ذمّ ، وإن أحداً لم يؤلف كتاباً فى (البخلاء) أبلغ فيهم إيجاعاً ،

---

(١) هو من حملة لواء البيان العربى ، ورافعى شأن الأدب والعلم فى مصر ، كريم الطبع ، لا يستهويه حب الشهرة ، ولا يستغويه جمال الظهور ، ولو جرى قلم أديب بمثل ما يجرى به قلمه لطارت به الشهرة كل مطار .

ولأسلوبه فى الإنشاء طابع خاص كأنما ابتدعه لنفسه ابتداعاً ، ثم احتكره لقلمه احتكاراً فهو من أرق الأساليب وأعذبها ، وآثار قلمه منثورة فى صدور الصحف ، مبثوثة فى بطون المجلات والكتب ، وأكثرها حال بأسلوبه ، خال من ذكر اسمه ، فهو فى ذلك كالبدر يرسل أشعته من خلال السحب . وهو أشهر كتاب العربية فى إجادة الوصف على الطريقة الكاريكاتورية الراقية بما وهبه الله من دقة التصوّر ، وسموّ الخيال ، ورقة الوجدان ، والمقدرة على إرسال النكتة المحكمة الرائعة ، وهى طريقة وعرة المسالك ، يتعذر السير فيها على غير أصحاب الذوق السليم القابضين على ناصية البديع والبيان .

وكان لطيف المجلس ، ظريف النادرة ، وقد تدرج فى وظائف كثيرة من الدوائر الوزارية ودوائر التعليم وغيرها ، وهو صاحب كتاب « التربية الوطنية » الفريد فى بابه أخرجه لتلاميذ السنة الأخيرة فى المدارس الابتدائية والمدارس التحضيرية و « المختار » و « فى المرآة » وأحد مؤلفى كتاب المجمل فى تاريخ الأدب العربى (مطبعة المعارف وأصدقاؤها من نشأتها إلى الآن ص ٣٣) .

وأشدّ لهذه الخلة وأصحابها إقذاعاً ، كما صنع الجاحظ ، ومع هذا لقد كان هو نفسه من أشدّ المبخلين الذين أوفوا على الغاية من الجشع ، والحمل على المروءة أحياناً فى طلب المال .

وإنك لو التمست مثل هذا فى أبى الفرج لخرج لك من آثاره أنه كان أجمل الناس سمتا ، وأنظفهم بدناً وثوباً ، وأشدّهم أخذاً للنفس بأدقّ آداب السلوك فى طعامه وشرابه ، وغير ذلك من أسبابها ، ولكن الواقع أنه كان من أشدّ الناس شرهاً ، وأقبحهم مؤاكلة ، وأقذرهم خلقاً وثوباً ، حتى ليصحّ فى بعض خلاّته قول الشاعر :

وسخ الثـــوب والعمامة والبر ذون والوجه والقفا والغـــلام

ولولا أن معاصرى هذا وهذا أثبتوا لكلّ منهما ما أثبتوا لزلّت فيهما الأقلام ، وضلّت الأوهام [1] »

---

(١) كوكب الشرق بتاريخ ٢١ نوفبر سنة ١٩٣٤ .

الباب الرابع

تحليل وتصوير لحياة أبى الفرج الأصبهانى
ويشتمل على اثنى عشر فصلا

الفصل الأول

نشأته العلمية والأدبية

١ — مولده ونشأته :

ولد أبو الفرج بأصبهان سنة ٢٨٤ هـ فى خلافة المعتضد بالله أبى العباس أحمد بن الموفق ، وهى السنة التى مات فيها البحترىّ الشاعر ، ونشأته ببغداد واستوطن بها ، وكانت داره ببغداد واقعة على دجلة فى المكان المتوسط بين درب سليمان [١] ودرب دجلة ، وملاصقة لدار أبى الفتح البريدىّ ، وكانت بغداد يومئذ أجمل مدن الأرض فى عصره ، وفيها كل شىء جديد سواء أكان ذلك فى خططها ومرافقها ؛ أم فى عقول أبنائها ونبوغ علمائها ، يحمل إليها من الآفاق بدائع ما صنع البشر وأنتجت عقولهم ، وناهيك بعاصمة مملكة بنى العباس ، وكانت سيدة الممالك ، ودُرّة البلدان ، وبها عرض أعظم خلفاء العباسيين هارون الرشيد وعبد الله المأمون . وكانت أعظم مدينة إسلامية حافلة بالعلماء والأدباء والمؤرخين واللغويين ، وأزهرت فيها المعارف والعلوم والآداب ؛ وأينعت ثمراتها فى عهده . وها هى ذى بقايا آثارهم العلمية والأدبية تحدّثنا بما بلغوه من المكانة العليا فى تحصيل المعارف ، والإجادة فى كل أنواع العلوم والآداب ، ولا يزال أهل البحث والتنقير عن المخطوطات فى مكتبات العالم يكشفون لنا فى كل يوم بما ينقلونه بالتصوير الشمسى من خفايا مؤلفاتهم ما يقضى منه العجب العجاب ويشهد لهم بالأسبقية والرجحان ، ولا غرو فقد كانت بغداد هى مهد الحضارة الإسلامية

(١) درب سليمان درب ببغداد كان يقابل الجسر فى أيام المهدى والهادى والرشيد أيام كانت بغداد عامرة ، وهو درب سليمان بن جعفر بن أبى جعفر المنصور وفيه كانت داره ومات سليمان سنة ١٩٩ هـ (معجم البلدان لياقوت) .

تلك الحضارة التى لا يزال أهل الفضل من كل الأمم الراقية يذكرونها مقرونة بالإعجاب والاحترام .

ومنها انتشرت المعارف والعلوم والآداب التى كان لها الأثر الحسن فى ترقية المدارك وإنارة البصائر ، وتشهد بما كان لعلمائها من مجد عظيم ومقام كريم .

٢ — دراسته العلمية وشيوخه :

نشأ أبو الفرج ببغداد فى أزهى عصور الإسلام، وكانت بغداد يومئذ مهد الحضارة الإسلامية ومنبع العلوم ، ومنتدى الأدب ، فأكبّ على الدرس، وجدّ فى التحصيل ، ودأب على قراءة الكتب فى العلوم والآداب ، ثم اتصل بأعيان العلماء وأقطاب أصحاب الأدب ، وعلماء الحديث ، وجهابذة اللغة والرواية ، وأئمة النحو والأدب ، فحذق العربية وبرع فيها وجوّد البيان أيما تجويد ، حتى صار زعيما للحياة الأدبية الناشطة فى بغداد ، وعاش حينذاك عيشة الأديب الجوّال ، ونال رعاية سيف الدولة وإسماعيل بن عباد والمهلبىّ وهما من وزراء بنى بويه ، كما نال رعاية الأمويين بالأندلس مع أنه لم يسع إليهم بشخصه ، واتصل بصدور أهل العلم والفضل والأدب يصاحبهم ويلابسهم ويلازم مجالسهم وصاحب أهل الظرف وأصحاب البدائع والبدائه وشاركهم فى أسمارهم .

وناهيك ببغداد فى ذلك العصر الذهبىّ الذى كان زاهياً بالعلوم والفنون ، زاهراً بالآداب والمعارف ، فقد كانت غاصة بالعلماء والأدباء والفقهاء والمحدّثين واللغويين وكبار الرجال المبرّزين ، ولهم تآليف قيمة ، وآثار خالدة تشهد برسوخ قدمهم فى العلوم والمعارف والآداب ، وتبرهن على ما وصلوا إليه فى البحث والاطلاع ، فنالوا آيات الثناء والإكبار والإجلال . وتاريخ بغداد للخطيب حافل بتراجم كثير منهم ، والفهرست لابن النديم كتاب شامل لجميع مصنفاتهم .

درس أبو الفرج على نخبة صالحة من هؤلاء العلماء الأجلاء ، واستفاد من معارفهم وعلومهم ، وحفظ كثيراً من فنون الأدب ، وأصبح ذا دراية تامة بها كما

حفظ كثيراً من علوم اللغة وكان متقدماً فيها ، متقناً لها ، مستكثراً منها ، فنبغ نبوغاً عظيماً فى التاريخ الأدبىّ فكان يفوق معاصريه ، فلم يلحق به فى هذا الميدان أحد ، ووصلت شهرته إلى أسماع سيف الدولة فاتخذه من ندماء بلاطه .

روى عن علماء كثيرين يطول تعدادهم ، وقد كان العلماء والأدباء فى ذلك العصر يذكرون فى مجالسهم الأخبار الرائقة ، والأشعار الفائقة، وطرائف الحكمة، والفرائد الأدبية ، والفوائد اللغوية من آثار السلف الصالح، وقد وصف أبو سعيد السكرى هذه المجالس بقوله :

وذكّرنى حلو الزمان وطيبه مجالس قوم يملأون المجالسا
حديثاً وأشعاراً وفقهاً وحكمة وبراً ومعروفاً وإلفاً مؤانسا

وسمع من آخرين لا يحصون ، وقد ذكرنا فى الفصل الأول من الباب الثانى جماعة منهم على سبيل المثال مع شهرة كل واحد منهم ، وما امتاز به فى حياته العلمية ، ليكون نبراساً يهتدى به ، ومثالا يحتذى .

الفصل الثانى

نبوغ أبى الفرج وذيوع صيته

١ — قوّة حفظه وصفاء ذهنه :

كان أبو الفرج حادّ الذهن ، قوىّ الحافظة ، فوَعى فى ذاكرته ألوفاً من الأشعار والأغانى ، والأخبار ، والآثار ، والأحاديث والأنساب بأسانيدها وأسماء قائليها ورُوَاتها فضلا عن حفظه من علوم أخر منها : اللغة والنحو والسير ، والمغازى ، وعلوم البيزرة[1] والبيطرة ، والطب ، والنجوم ، والأشربة ، وغير ذلك.

وأصبح فى عصره إمام المؤلفين ، وزعيم الأدباء ، ورئيس الكتّاب ، وعميد الندماء ، وعمدة المؤرخين ، وعَلَم المحققين ، واجتمع له من أعيان الكتّاب وفرسان البلاغة ما لم يسبق اجتماعه فى عصر من العصور ، وكان لهذا شأن كبير ، وأثر محمود على شواطىء دجلة ، فقد أزهرت تلك المعارف ، وأينعت ثمراتها ، وتحقق ما كانت ترتجيه من النجاح فى نشرها ببغداد ، ولا تزال بقايا آثارها مكللة بتاج من الفخار مازال بهاؤه ساطعاً ، برغم تصاريف الزمان وعبث الأيام ، ولم يقتصر أبو الفرج من العلوم والآداب على الحفظ والاختزان والتعليم كما يفعل كثيرون ، لكنه تدبر تلك المعارف وأخرج من فرائدها وفوائدها كتباً نفيسة قيّمة نافعة أشهرها كتابه «الأغانى» وبه اشتهر ، ولاتزال تفتخر به الأجيال حتى الآن . وهو الذى سنخصص له بحثاً مفصلا وافياً يشتمل على شتى نواحيه : العلمية والاجتماعية والأدبية والتاريخية واللغوية والغنائية .

---

(١) البيزرة : علم يبحث فيه عن أحوال الجوارح من حيث حفظ صحتها وإزالة مرضها ومعرفة العلامات الدالة على قوتها فى الصيد وضعفها .

٢ — عبقريته :

كان أبو الفرج موهوباً ملهماً ، وعبقرياً فذاً ، وفناناً بارعاً ، قد استمد وحى البلاغة وسحر البيان من علماء بغداد الأعلام فى عصره ، وأصبح يعدّ من مفاخر بغداد ، فهو المحدّث الثقة ، والكاتب البليغ ، والشاعر المبدع ، والمصنف المنتج ، وقد تجلّت عبقريته ، فى كتابه النفيس « الأغانى » ، فهو عنوان نبوغه فى الأدب ، وسرّ شهرته بين علماء عصره ، وقد بلغ به الذروة ، ووصل إلى النهاية ، لأنه استطاع أن يصوّر بأسلوبه الرائع ، وفنه البديع الحياة الاجتماعية والعمرانية فى أزهى العصور الإسلامية ، فقد كان كتابه من هذه الناحية منهلا عذباً لكل كاتب أو أديب أو مؤرّخ منذ ألف سنة ، وتسابق الملوك والأمراء والوزراء والأدباء فى كل عصر إلى اقتنائه ، وقد دفع الخليفة الحكَم أحد ملوك الأندلس ألف دينار من الذهب العين فى اقتناء نسخة منه (١) ، واعترض أحدهم على هذا المبلغ وقال : هل من مزيد ؟

وكان الخليفة الحكم محبًّا للعلوم ، مكرماً لأهلها ، جماعة للكتب فى أنواعها بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله ، وقد جمع لنفسه مكتبة خصوصية احتوت على ٤٠٠٠٠٠ مجلد كلها من النفائس والغرر .

والأغانى لا يعتبر أهمّ مرجع للتاريخ الأدبى إلى القرن الثالث الهجرىّ فحسب ، بل يعتبر كذلك أهمّ مصدر لتاريخ الحضارة الإسلامية للدولتين الأموية والعباسية .

ويعتبر الآن المرجع الوحيد فى العالم بأخبار العرب وأشعارها وأيامها ومثالبها ووقائعها ، وقد استفاد منه كل عالم أو أديب ، ولا تجد كتاباً قديماً أو حديثاً كتب عن العرب وآدابهم إلا وكتاب الأغانى هو المورد العذب لمؤلفه ، ولا ينضب

---

(١) نفح الطيب (ج ١ ص ٢٥ و ج ٢ ص ٤٩ طبع أوربا) .

معينه لغزارة مادّته، وكثرة فوائده ، لذا تزاحم عليه طلاّب الفضل وعشاق المعالى وأهل العلم والعرفان .

٣ — دقة تحقيقه :

ويجمل بنا أن نسوق هذا الخبر الذى أورده فى كتابه الأغانى ليستدلّ منه القارىء على دقة تحقيق أبى الفرج فى تحرّى الصواب ، وشدّة عنايته فيما يذكره من الأشعار المنسوبة لقائليها ، فقد أورد هذه الأبيات لداود بن سلم وهو من مخضرمى الدولتين :

قُلْ لأسماء أنْجزى المِيعادا وانْظرى أن تزوّدى منكِ زادا
إن تكوني حللتِ رَبْعاً من الشأ م وجاورتِ حِمْيراً أو مُرَادا
أو تناءتْ بكِ النّوَى فلقد قُدْ تِ فؤادى لحَيْنه فانقادا
ذاكِ أني عَلِقتُ منكِ جوَى الحُ بّ وليداً فزدتُ سِنّاً فزادا

ثم قال : « وقد كنا وجدنا هذا الشعر فى رواية على بن يحيى عن إسحاق منسوباً إلى المرقّش وطلبناه فى أشعار المرقّشَيْن(١) جميعاً فلم نجده ، وكنا نظنه من شاذّ الروايات حتى وقع إلينا فى شعر داود بن سلم ، وفى خبر أنا ذاكره فى أخبار داود . وإنما نذكر ما وقع إلينا عن رُوَاته ، فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحته أثبتناه ، وأبطلنا ما فرط منا غيره ، وما لم يجر هذا المجرى فلا ينبغى لقارىء هذا الكتاب أن يلزمنا لوم خطإ لم نتعمده ولا اخترعناه ، وإنما حكيناه عن رواته ، واجتهدنا فى الإصابة ، وإن عرف صواباً مخالفاً لما ذكرناه وأصلحه ، فإن ذلك لايضره ، ولايخلو به من فضل وذكر جميل إن شاء الله(٢) » .

(١) يعنى بالمرقشين : المرقش الأكبر والأصغر . والأكبر هو عمرو بن سعد بن مالك ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل . والمرقش الأصغر هو ربيعة بن حرملة ، وهو ابن أخى المرقش الأكبر ، وهو أيضاً عم طرفة بن العبد (أنظر شرح القاموس مادة رقش)

(٢) راجع الأغانى (ج ٦ ص ٩ طبع دار الكتب المصرية) .

الفصل الثالث

النهضة العلمية والأدبية فى عصره

١ — تصوير وتحليل :

نشأت النهضة العلمية والأدبية فى البصرة والكوفة ، ثم تحولت إلى بغداد فأصبحت كعبة العلم والعلماء ، ومنتدى الأدب والأدباء ، وبلغت فى ذلك ذروة المجد ، وراجت فيها سوق العلم أيما رواج ، وطبق صيت علمائها الخافقين ، وأمهم محبو العلوم والآداب من كل الآفاق ، يستنيرون بمشكاتهم ويقتبسون منها ، وفوق هذا فكانت بغداد مركز الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية ، فكم عقدت فيها مجالس للأدب والبحث والمناظرة ، وكم نظمت فيها حلقات ، وفى هذه الحلقات المختلفة نضجت الحياة العقلية الإسلامية العربية ، وأتت ثمرها ونبغ فيها فى أيام أبى الفرج نخبة صالحة من أعلام العلماء ، وتخرج عليهم جمهور عظيم ممن نالوا الشهرة الواسعة ، والصيت الذائع ، منهم المفكرون والمشتغلون بالعلم والأدب من الشعراء والأدباء والمنشئين والجغرافيين واللغويين والفلاسفة وغيرهم ممن لهم مقام كريم وذكر جميل فى محافل الأدباء ومشيخة العلماء .

وسر هذا النبوغ هو تسابق الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء إلى نصرة العلماء الذين كانوا يقبلون إليها من كل فج وصوب ، ويعيشون فى ظلهم يقربونهم ويلينون لهم الجانب ويجرون عليهم الأرزاق الوافرة ، ويهبون لهم الصلات العديدة ، فكانوا لهذا التشجيع المستمر ، وتلك الهبات المتواصلة ، من أكبر محبى العلم ، الآخذين بناصر العلماء ، وأخذ الناس يتسابقون فى خدمة العلم كما يتسابق ملوكهم فى مساعدة العلماء ونصرتهم .ومن حبهم للعلم والاستزادة منه «أن عبد الملك ابن مروان كتب إلى الحجاج : انظر لى رجلا عالماً بالحلال والحرام ، عارفاً

بأشعار العرب وأخبارها ، أستأنس به ، وأصيب عنده معرفة فوجِّهه إلىَّ من قِبَلك ، فوجه إليه الشعبىّ ، وكان أجمع أهل زمانه .

قال الشعبىّ : فلم ألق والياً ولا سوقة إلا وهو يحتاج إلىّ ولا أحتاج إليه ، ما خلا عبد الملك ما أنشدته شعراً ، ولا حدّثته حديثاً إلا وهو يزيدنى فيه ، وكنت ربما حدثته وفى يده اللقمة فأمسكها فأقول : يا أمير المؤمنين ، أسغ طعامك فإن الحديث من ورائه ، فيقول :

ما تحدثنى به أوقع فى قلبى من كل لذة ، وأحلى من كلّ فائدة (١) .

ومن الذين نالوا حظاً وافراً ، ومركزاً ممتازاً لدى الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء من علماء عصره وأدباء وقته أبو الفرج الأصبهانىّ لمكانته العلمية والأدبية حتى بزّهم جميعاً (مع وساخة جسمه وقذارة ثيابه) لبراعة بيانه وامتلاكه عنان اللغة ومتانة نسجه للأخبار التى يرويها ، ولا يُدانيه فى العربية إخبارىّ آخر من حيث نصاعة الأسلوب ، وحسن التعبير مع دقةالعبارة ، ورقة الألفاظ . ودليل هذا كتابه الأغانى الذى يعدّ نسيج وحده ، وقد وصل به إلى الذرْوَة وبلغ النهاية ، وكان منهلا عذباً لكل أديب وكاتب ومؤرخ منذ ألف سنة لجوْدة وضعه ، وجمال تأليفه وحُسن قصصه التى صوّرها فيه أبدع تصوير ، وكانت السبيل إلى البراعة والتبريز ، وما ناله أبو الفرج فى جميع العصور الإسلامية من الشهرة الواسعة والصيت الذائع ، وكما كان فى حياته ينهال عليه طلاّب العلم ببغداد من كل فجّ يقتبسون من نبراسه الساطع ، ويغترفون من بحره الزاخر . كذلك كتابه الأغانى الذى يعدُ فى عالمِ الأدب منذ ألف حتى الآن أشهر من نار على علَم لأنه الكتاب النادر المثال الذى هو أشبه بالبحر الطامى مهما غاص الغائصون فيه يلتقطون الدرر العصماء فهيهات أن ينضب معينه .

---

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ١ ص ٣٠) .

٢ — التآليف العلمية :

واتفق المؤرخون من عرب وأفرنج على أن أول طالع سعيد لارتقاء الأمة العربية كان فى القرن الثانى من الهجرة ، حيث سطع نور العلم من بغداد فأنار جميع الآفاق ومصر والأندلس ، لأنه فى هذا العصر شرع علماء الإسلام فى تدوين الحديث والفقه والتفسير ، وصنف ابن جريج التصانيف بمكة ، وصنّف سعيد ابن أبى عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ، وصنّف أبو حنيفة الفقه والرأى بالكوفة ، وصنّف الأوزاعىّ بالشام ، وصنّف مالك الموطأ بالمدينة ، وصنّف ابن إسحاق المغازى ، وصنّف معمر باليمن ، وصنّف سفيان الثورىّ كتاب الجامع ، ثم بعد يسير صنّف هشام كتبه ، وصنّف الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ، ثم ابن المبارك والقاضى أبو يوسف يعقوب وابن وهب وعيسى بن عمر النحوى ، وكثر تدوين العلم وتبويبه ، ورتبت ودّونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس ، وقبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلمون عن حفظهم ويروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة ، فسهل ولله الحمد تناول العلم[١] .

وقد فصلنا هذا تفصيلا وافياً فى التمهيد الذى وضعناه عن الحياة العلمية والأدبية من صدر الإسلام حتى عصر أبى الفرج .

---

(١) التعليم فى مصر للمرحوم أمين سامى باشا (ص ٦ مكرر) .

الفصل الرابع

اتصاله بالخلفاء والملوك والأمراء والوزراء

وصل أبو الفرج بفضل مكانته العلمية والأدبية من الاتصال بالخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والتقرّب منهم ، فكان نديماً لمعز الدولة ، وانقطع إلى الوزير المهلبيّ .

وكان يلقى سواهما من ملوك ذلك العصر وأمرائه ووزرائه ، فيعرفون فضله ويجيزونه ، وظل محترماً بينهم ، لأنهم عرفوا فيه غزارة العلم ، وسعة الاطلاع ، والأدب السامى ، فرفعوا منزلته ، وأحلوه المحلّ اللائق به لنبوغه العظيم ، وعبقريته الفذة ، وزعامته الممتازة فى الأدب ، ووصفوه بأحسن ما يوصف به من آيات الإكبار والإجلال .

وكان الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء فى جميع العصور الإسلامية يحترمون العلماء لا سيما ذوى الشخصيات البارزة منهم ، ويجلّونهم ويقدّرونهم أعظم تقدير ، لأنهم روح الأمة وحياتها ، يعملون على إنهاض أممهم بنشر العلم لتسمو إلى مراقى الفلاح والنجاح ، وكانوا يحتفلون بالعلماء ويعظمونهم علماً منهم أنّ المُلْك إنما يدوم بدوامهم ، ويرتفع بارتفاعهم ، وينحطّ بانحطاطهم . وكتب التاريخ حافلة بأمثلة كثيرة من هذا التعظيم نذكر منها :

دخل سالم بن مخزوم على عمر بن عبد العزيز فتخلّى له عن صدر المجلس فقيل له فى ذلك ، فقال : إذا دخل عليك من يزيد فضله على فضلك فلا تحرمه شرف المنزلة .

ودخل محمد بن عبّاد يوماً على المأمون فبالغ فى تعظيمه ، ولم يدّخر وسعاً

فى ملاطفته حتى إنه قام وأصلح له عمامته بيديه ، فتعجب بعض الحاضرين من قبح هيئته وإكرام الأمير له ، فقال له المأمون : لا تتعجب فإنّ تحت هذه العمامة علماً راسخاً وأدباً كاملا .

وخرج الإمام المحدّث الدارقطنى الحافظ المشهور — وهو من تلاميذ أبى الفرج الأصبهانىّ — من بغداد إلى مصر قاصداً أبا الفضل جعفر المعروف بابن حنزابة وزير كافور الإخشيدى ، فإنه بلغه أن أبا الفضل عازم على تأليف مسند ، فمضى إليه ليساعده عليه ، وأقام عنده مدة ، وبالغ أبو الفضل فى إكرامه ، وأنفق عليه نفقة واسعة ، وأعطاه شيئاً كثيراً ، وحصل له بسببه مال جزيل ، ولم يزل عنده حتى فرغ المسند (١)

لذا قرّب معزّ الدولة أبا الفرج إليه ، وكان نديماً له ، ومنقطعاً إلى الوزير المهلبىّ .

ولما كان النديم فى ذلك العهد له مكانته الأدبية ومركزه العلمىّ ، وما يتصف به من صفات وأخلاق يندر أن يتصف بها شخص آخر يجمل بنا أن نذكر شيئاً عنها مما قاله العلماء فى ذلك . فمن صفات خُلق النديم وآدابه قول الجاحظ :

« أن يكون طيب المفاكهة والمحادثة ، قصير المياومة والملايلة ، عالماً بأيام الناس ومكارم أخلاقهم ، عالماً بالنادر من الشعر والسائر من المثل ، متطرّفاً من كلّ فنّ ، آخذاً من الخير والشر بنصيب ، إن ذَكرَ الآخرة ونعيم أهل الجنة ، حدّثه بما أعدّ الله تعالى لأهل طاعته من الثواب ، فرغبه فيما عنده ، وإنْ ذكر النار ، حذّرَه ما قرّب اليها فزهّده مرة ، ورغبه أخرى (٢) . . . الخ »

ومن صفات أخلاق النديم وآدابه أيضاً ما قاله كُشاجم :

« وليس أحد من أصحاب الملوك وخلطائهم هو أولى باستجماع محاسن الأخلاق

(١) تاريخ ابن خلكان (ج ١ ص ٤٧١ طبع بلاق) .
(٢) التاج للجاحظ (ص ٧١ طبع المطبعة الأميرية) .

وأفاضل الآداب وطرائف المُلَح، وغرائب النتف من النديم، حتى إنه ليحتاج أن يكون فيه أشياء متضادّة، فيكون فيه مع شرف الملوك تواضع العبيد ، ومع عفاف النسّاك مجون الفتاك ، ومع وقار الشيوخ ، مزاح الأحداث ، وكل واحدة من هذه الخلال مضطر إليها فى حال لا يحسن أن يخلّ بها فيها ، ووقت لا يسعه العدول عنها ، وإلى أن يجتمع له من قوّة الخاطر ،ما يفهم به ضمير الرئيس الذى ينادمه على حسب ما يبلوه من أخلاقه،ويعلم من معانى لحظه وإشارته، ما يغنيه عن تكلف عبارته، والإفصاح به، فيسبقه إلى شهوته، ويبدره إلى إرادته، كما قال بعض الكتّاب :

ونديم حلو الحديث يجاريـ ـك بما تشتهيه فى ميدانك
ألمعىّ كأن قلبك فى أضلا عه أو كلامه بلسانك

ومن صفة النديم أن يكون عالماً بكلّ ما يتناقش فيه الملوك ، ويغالون فيه من الرقيق الثمين ، والجوهر النفيس، والآلات المحكمة ، وأنواع الطيب والفرش، إلى غير ذلك من الخيل والسلاح ، وسائر ما يهدى مثله إلى الملوك فى مجالس لذّاتهم ،وتعرض عليهم أوقات نشاطهم ، فمن أبرد من النديم مجلساً أو أكسف منه بالا إذا عرض على الملك شىء من هذه الأخلاق فاعتمد فيها على معرفته ، واستعان على تخيرها ببصره ، ورجع فى استفادتها إلى نظره وتلقيه فلم يحر جواباً فى ذلك ، ولم يحط بشىء منه علماً .

ويستظرف منه أن يصف اللون الغريب من الطبيخ ، والصوت البديع ، والشعر الشجى، واللحن من الغناء[١] » .

(١) أدب النديم (ص ٧ و ٨ و ١١) .

الفصل الخامس

مذهبه

كان أبو الفرج الأصبهانى، مع كونه من صميم بنى أمية ، شيعياً ، فقد قال التنوخىّ عنه : « ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهانىّ » ووصفه ابن شاكر فى عيون التواريخ بقوله : « إنه كان ظاهر التشيُّع » وقال ابن الأثير فى كتاب الكامل : «وكان أبو الفرج شيعيًّا وهذا من العجب » وذكره ابن الجوزى فى كتابه « المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم » فقال : « إنه كان متشيِّعاً ، ومثله لا يوثق بروايته فإنه يصرح فى كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهوى شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب الأغانى رأى كل قبيح ومنكر » .

هذا رأى جماعة من المؤرّخين فى مذهب أبى الفرج وأنه كان متشيِّعاً[1] ومذهب الشيعة مصوّر عند بعض العلماء قديماً وحديثاً بأبشع صورة يتصوّرها إنسان .

وقد كشف العلامة الأكبر حجة الإسلام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفىّ فى كتابه « أصل الشيعة وأصولها[2] » عن حقيقة هذا المذهب بما

---

(١) يقول الأستاذ المحقق شفيق جبرى : إنه أمعن النظر فى كتاب الأغانى فرآه ينقل ما يرميه بالتشيع وما تثبت به براءته منه ، فهو برىء من التشيع إذا اعتبرنا مجموع كلامه . وإذا صح رأى الأستاذ المحقق يخرج أبو الفرج من تهمة ألصقت به زمناً طويلا ، ولم يكتب عنه مؤلف من المؤلفين القدامى إلا وقال بشيعته كما تراه فى هذا المقام (راجع الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين من مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ص ٣٤٥ الصادر بتاريخ ١ تموز سنة ١٩٤٩ م ٦ رمضان سنة ١٣٦٨ هـ) .

(٢) طبع هذا الكتاب بمصر سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) .

لايدع مجالا للشك ومحلا للريب ، وردّ فيه على ما كتبه العالم الجليل الدكتور أحمد أمين بك فى كتابه « فجر الإسلام » وبيّن له أن علماء الشيعة هم مؤسسو علوم الإسلام ، وسرد له أسماء المشاهير منهم فى كل علم وفنّ ، وأسماء أعاظم الملوك والأمراء والكتّاب والوزراء والشعراء فى العصور الإسلامية ، فليراجعه مَنْ أراد الاستفادة من هذا البحث النفيس .

الفصل السادس

أسلوبه فى النقد الأدبىّ

وكان لأبى الفرج انتقادات أدبية ، وآراء علمية ، تدلّ على ثاقب فكره ، وواسع علمه فى طرُق النقد الأدبىّ ، وكأنها آراء مبنية على نظر عميق ، أو دراسة فنية دقيقة أو علمية، وهى تبرهن على سعة اطلاعه، وخصوبة ذهنه ، وقوّة حفظه ، وتعدّه من زعماء نقاد الأدب العربىّ .

وكان أشدّ الناس وطأة فى النقد على ابن الكلبىّ ، وهو إمام جليل فى اللغة والأدب والأخبار ، وابن خُرْدَاذْبه . وهو من كبار العلماء المؤرخين والجغرافيين وقد تناولهما كثيراً فى كتابه الأغانى .

ونذكر هنا نبذة مختارة تشتمل على بعض الأمثلة من أسلوبه فى النقد يتبين منها أن أبا الفرج كانت له صفات أدبية مختارة ، وقريحة وقادة سمحة من رشاقة اللفظ المتخير مما يجعل له قيمة فنّية باقية على الدهر. وطابعاً خاصا يعرَف به وجعله نسيج وحده .

١ ـ مثال من نقده لرواية ابن الكلبىّ (عن دُرَيد بن الصمة) وحكمه عليها أنها موضوعة .

قال أبو الفرج : « هذه الأخبار التى ذكرتها عن ابن الكلبىّ موضوعة كلها والتوليد بيِّن فيها وفى أشعارها ، ومارأيتُ شيئاً منها فى ديوان دُرَيد ابن الصمّة على سائر الروايات ، وأعجب من ذلك هذا الخبر الأخير ، فإنه ذكر فيه ما لحق دُرَيد من الهجنة والفضيحة فى أصحابه وقتل مَنْ قُتل معه وانصرافه منفرداً .

وشعر دُريد هذا يفخر فيه بأنه ظفر ببنى الحارث وقتل أماثلهمْ ، وهذا من أكاذيب ابن الكلبىّ وإنما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شىء وقد رواه الناس وتداولوه »(١).

٢ ــ مثال من نقده وتحقيقاته تناول فيه ابن خُرْدَاذْبَهْ أثناء كلامه عن معبد :

قال أبو الفرج : «وذكر ابن خُرْدَاذْبَهْ أنه غنى (أى معبد) فى أول دولة بنى أمية وأدرك دولة بنى العباس وقد أصابه الفالجُ وارْتعشَ وبطل صوته ، فكان إذاغنى يُضحَك منه ويُهزَأ به . وابن خُرداذْبَهْ قليل التصحيح لما يرويه ويُضمنه كتبه ، والصحيح أن معبداً مات فى أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده . وقد قيل : «إنه أصابه الفالجُ قبل موته وارتعش وبطل صوته . فأما إدراكه دولة بنى العباس فلم يروه أحد سوى ابن خُرْدَاذْبَهْ . ولا قاله ولارواه أحد وإنما جاء به مجازفة (٢) » .

وقال فى أخبار عَلُّويَهْ ونسبه : « وذكر ابن خُرْدَاذبَه وهو ممن لا يحصل قوله ولا يعتمد عليه أنه من أهل يثرب مولى بنى أمية ، والقول الأوّل أصحّ »(٣)

وردّ عليه فى نسبته إلى عمر بن الخطاب الغناء فقال :

« المنسوب إلى الخلفاء من الأغانى والملصقُ بهم منها لا أصل لُجلّه ، ولا حقيقة لأكثره ، لاسيما ما حكاه ابن خُرْدَاذْبَهْ فإنه بدأ بعمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ فذكر أنه تغنى فى هذا البيت:

كأنّ راكبها غصنٌ بمَرْوَحة

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد ، حتى كأن ذلك عنده ميراث

(١) الأغانى (ج ١٠ ص ٤٠ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الأغانى (ج ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب المصرية) .
(٣) الأغانى (ج ١١ ص ٣٣٣ طبع دار الكتب المصرية) .

من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بدّ منه ولا معدل عنه ، يخبط خبط العشواء ، ويجمع جمع حاطب الليل . فأما عمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يروى عن كل أحد لبعد عنه ، وإنما رُوىَ أنه تمثل بهذا البيت وقد ركب ناقة فاستوطأها ، لا أنه غنى به ، ولا كان الغناء العربى أيضاً عرف فى زمانه إلا ما كانت العرب تستعمله من النصب(١) والحداء ، وذلك جار مجرَى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريب وترجيع يسير ورفع للصوت . والذى صح من ذلك عن روَاة هذا الشأن فأنا ذاكرٌ منه ما كان متقن الصنعة لاحقاً بجيد الغناء ، قريباً من صنعة الأوائل وسالكاً مذاهبهم لا ما كان ضعيفاً سخيفاً ، وجامعٌ منه ما اتصل به خبرٌ له يستحسن ويجرى مجرى هذا الكتاب وما تضمنه (٢) »

وتناوله فى موضع آخر بالقدْح والذمّ فقال : « وممن دُوِّنَت صنعتهُ من خلفاء بنى العباس الواثق بالله .

ولم نعلمه حُكى ذلك عن أحد منهم قبله إلا ما قدّمنا سوء العهدة فيه عن ابن خُرْدَاذْبه فإنه حكى أن للسفاح والمنصور وسائرهم غناء ، وأتى فيها بأشياء غثة لا يحسن لمحصل ذكرها (٣) » .

٣ – رأيه فى شعر أبى العتاهية :

« هذه المعانى أخذها كلها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الإسكندر ، وقد أخرج الإسكندر ليُدفن قال بعضهم : كان الملك أمس أهيبَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس . وقال آخر : سكنَتْ حركة الملك فى لذّاته ، وقد حرّكنا اليوم فى سكونه جزعاً لفقده ، وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية فى هذه الأشعار »(٤) .

(١) النصب : غناء للعرب يشبه الحداء إلا أنه أرق .

(٢) الأغانى (ج ٩ ص ٢٥٠ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) الأغانى (ج ٩ ص ٢٧٦ طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) الاغانى (ج ٤ ص ٤٤ طبع دار الكتب المصرية) .

٤ ـ تصحيحه نسبة شعر ظنّه العُمرىّ لأبى العتاهية :

قال أبو الفرج : «هذه الأبيات لأبى عُيينة المهلبىّ ، وكان يشبب بدُنيا فى شعره . فإما أن يكون الخبرُ غلطاً ، وإما أن يكون الرجل أنشدها العمرىّ لأبى العتاهية وهو لا يعلم أنها ليست له (١) » .

٥ ـ رأيه فى شعر الأحوص :

قال أبو الفرج : « والأحوص لولا ما وَضع به نفسه من دنىء الأخلاق والأفعال أشدّ تقدّماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرّواة ، وهو أسمحُ طبعاً ، وأسهلُ كلاماً ، وأصحّ معنى منهم ، ولشعره رَوْنق ٌوديباجة ٌصافية ، وحلاوة ٌوعذوبة ُألفاظ ليستْ لواحد منهم ، وكان قليل المروءة والدّين ، هجاء للناس ، مأبوناً فيما يُروى عنه (٢) » .

وقال فيه مُدللا على هذا الرأى : « وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادة للغضّ منه فى شعره ، ولكنا ذكرنا من كلّ ما يُؤْثَر عنه ما تُعرَف به حاله من تقدم وتأخر ، وفضيلة ونقص ، فأما تفضيلهُ وتقدّمه فى الشعر فمتعالم مشهور ، وشعره يُنبىء عن نفسه ، ويدلّ على فضله فيه وتقدّمه ، وحسن رَوْنقه وتهذّبه وصفائه (٣) » .

٦ ـ نقده لرواية الزيادىّ « أنّ النعمان هو الذى تنصّر » وتدليله على ذلك :

قال أبو الفرج : « إنما ذكرتُ الخبرَ الذى رواه الزيادىّ على ما فيه من التخليط لأنى إذا أتيت بالقصة ذكرت كلّ ما يرْوَى فى معناها ، وهو خبرٌ مختلط لأن عدىّ بن زيد إنما كان صاحب النعمان بن المنذر وهو المحبوس والنعمان الأكبر

(١) الأغانى (ج ٤ ص ٨٤ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الأغانى (ج ٤ ص ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية) .
(٣) الأغانى (ج ٤ ص ٢٥٦ طبع دار الكتب المصرية) .

لا يعرفه عدىّ ولا رآه ، ولا هو جدّ النعمان الذى صحبه عدىّ كما ذكر ابن زياد — وقد ذكرتُ نسب النعمان آنفاً — ولعلّ هذا النعمانَ الذى ذكره عمّ النعمان ابن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر والمتنصر السائح على وجهه ليس عدىّ بن زيد أدخله فى النصرانية ، وكيف يكون هو المدخل له فى النصرانية وقد ضربه مثلا للنعمان فى شعره لما حبسه مع من ضربه مثلا له من الملوك السالفة (١) » .

٧ — يثبت إغارة ابن ميادة على أبيات لغيره وانتحالها :

قال أبو الفرج : « هذه الأبيات الثلاثة أغار عليها ابن ميّادة فأخذها بأعيانها ، أما البيتان الأوّلان فهما لامرىء القيس قالهما لما احتضر بأنقرة فى بيت واحد وهو :

أجارتنا إنّ الخطوب تنوبُ وإنى مُقيمٌ ما أقام عَسِيبُ

والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية وتمثل به أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى رسالة كتب بها إلى أخيه عقيل بن أبى طالب فنقله ابن ميادة نقلا (٢) » .

٨ — قال عن إسحاق الموصلىّ إنه أخذ معنى بيت ابن ميادة فى الفخر :

قال أبو الفرج : « أخذ إسحاق الموصلى معنى بيت ابن ميادة فى قوله : « نمت الشمس واشتدّ كاهلى » فقال :

عطستُ بأنفٍ شامخ وتناولتْ يداى الثريّا قاعداً غيرَ قائمِ

ولعمرى لئن كان استعار معناه لقد اضطلع به وزاد فأحسن وأجاد (٣) » .

---

(١) الأغانى (ج ٢ ص ١٣٦ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الأغانى (ج ٢ ص ٢٧٤ طبع دار الكتب المصرية) .
(٣) الأغانى (ج ٢ ص ٢٩٤ طبع دار الكتب المصرية) .

٩ – استحسانه شعر قيس بن الخطيم :

ساق أبو الفرج فى كتابه الأغانى فى ترجمة قيس بن الخطيم هذا الخبر : « جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس ليس فيه إلاّ خزرجىّ ، ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم ، يعنى قوله :

أتعرف رسماً كاطّراد(١) المذاهب(٢) لعَمْرَةَ وَحْشاً غير موقف راكب

فأنشده بعضهم إياها ، فلما بلغ إلى قوله :

أجالدهم يوم الحديقة(٣) حاسِراً كأنّ يدى بالسيف مِخراقُ(٤) لاعب

فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل كان كما ذكر ؟ فشهد له ثابت بن قيس بن شماس وقال له : والذى بعثك بالحقّ يا رسول الله ، لقد خرج إلينا يوم سابع عُرْسه عليه غِلالة ومِلْحفة مورّسة(٥) فجالدنا كما ذكر . . . الخ » .

قال أبو الفرج : « وهذه القصيدة التى استنشدهم إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم من جيّد شعر قيس بن الخطيم ، ومما أنشده نابغة بنى ذبيان فاستحسنه وفضله وقدّمه من أجله(٦) » .

١٠ – ردّه على مصعب بن الزّبير فى قصة نسبها لقيس بن الخطيم غلطاً :

قال الزبير وحدّثنى عمّى مصعب قال :

---

(١) الاطراد : التتابع .
(٢) المذاهب : واحدها مذهب ، وهو جلد تجعل فيه خطوط مذهبة بعضها فى أثر بعض
(٣) الحديقة : قرية من أعراض المدينة فى طريق مكة كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام .
(٤) المخراق : خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان وتسمى فى مصر بالطرة .
(٥) مورسة : مصبوغة بالورس وهو نبات أصفر تصبغ بها الثياب ويتخذ منه طلاء للوجه .
(٦) الأغانى (ج ٣ ص ٧ – ٨ طبع دار الكتب المصرية) .

« كانت عند قيس بن الخطيم حوّاء بنت يزيد بن سنان بن كُريز بن زَعوراء ، فأسلمت ، وكانت تكتم قيس بن الخطيم إسلامها فلما قدم قيس مكة عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فاستنظره قيس حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجتنب زوجته حواء بنت يزيد ، وأوصاه بها خيراً وقال له : إنها قد أسلمت ، ففعل قيس وحفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : وفىّ الأدَيعج(١) » .

قال أبو الفرج : « وأحسب هذا غلطاً من مصعب وأن صاحبَ هذه القصة قيس بن شماس ، وأما قيس بن الخطيم فقتل قبل الهجرة(٢) » .

١١ — ردّه على أبى عثمان البصرىّ فى قوله : « إنّ دحمان كان معاصراً للفضل ابن يحيى » :

وردّ على أبى عثمان البصرىّ فى خبر ساقه فى ترجمة دحمان المغنى ، قال أبو عثمان البصرىّ : « قال دحمان : دخلتُ على الفضل بن يحيى ذاتَ يوم ، فلما جلسنا قام وأومأ إلىّ ، فقمتُ ، فأخذ بيدى ومضى بى إلى منظرة له على الطريق ودعا بالطعام فأكلنا ، ثم صرنا إلى الشراب ، فبينا نحن كذلك إذ مرّت بنا جارية سوداء حجازية تغنى :

اهْجُرينى أو صِلينى كيفما شئتِ فكُونى
أنتِ والله تحبِّيـ ـنى وإن لم تُخبرينى

فطرب وقال : أحسنت ادخلى ، فدخلت ، فأمر بطعام فقدّم إليها ، فأكلت وسقاها أقداحاً ، وسألها عن مواليها فأخبرته ، فبعث فاشتراها ، فوجدها من

---

(١) الأغانى (ج ٣ ص ١٠ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الأغانى (ج ٣ ص ١٠ طبع دار الكتب المصرية) .

أحسن الناس غناء ، وأطيبهم صوتاً ، وأملحهم طبعاً ، فغابتنى عليه مدة وتناسانى فكتبتُ إليه :

أخرجتِ السَّوداء ما كان فى   قلبك لى من شدّة الحُبّ
فإن يدُم ذا منك لا دام لى   متّ من الإعراض والكرْب

قال : فلما قرأ الرّقعة ضحك ، وبعث فدعانى ووصلنى وعاد إلى ما كان عليه من الأنس . قال أبو الفرج : هكذا أخبرنا ابن المرزُبان بهذا الخبر وأظنه غلطاً ، لأنّ دحمان لم يدرك خلافة الرشيد ، وإنما أدركها ابناه : زُبير وعبد الله، فإما أن يكون الخبر لأحدهما ، أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى [١] » .

١٢ — نقده لمعنى بيت واستحسانه لمعنى آخر :

وحدّث أبو نصر الزجّاج قال : « كنتُ جالساً مع أبى الفرج الأصبهانى فى دكان فى سوق الورّاقين ، وكان أبو الحسن علىّ بن يوسف البقال الشاعر جالساً عند أبى الفتح بن الجزّار الورّاق وهو ينشد أبيات إبراهيم بن العباس الصُولىّ التى يقول فيها :

رأى خَلّتى من حيث يخفَى مكانُها   وكانت قَذَى عَيْنَيْه قد تجلّتِ

فلما بلغ اليه استحسنه وكرّره ، ورآه أبو الفرج فقال لى : قمْ إليه فقل له : قد أسرفت فى استحسان هذا البيت وهو كذلك ، فأين موضع الصنعة فيه ؟ فقلت له ذاك فقال : قوله « وكانت قَذَى عينيه » ، فعدت إليه وعرّفته فقال : « عد إليه فقل له : أخطأت ، الصنعة فى قوله : « من حيث يخفى مكانها » قال ياقوت : وقد أصاب كلّ واحد منهما حافة من الغرض فإن الموضوعين معاً غاية فى الحسن وإن كان ما ذهب اليه أبو الفرج أحسن [٢] » .

---

(١) الأغانى (ج ٦ ص ٣٠ – ٣١ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٥٧ – ١٥٨ طبعة هندية بمصر) .

١٣ ـ نقده لبعض الرُّواة فى نسبة غناء لحنَين :

وساق أبو الفرج خبراً ذكر فيه أن حنين بن بلوْع غنى بشر بن مروان بحضور الشعبىّ :

هُمُ كتمونى سيرهم حين أزْمَعُوا
وقالوا أتّعدنا للرَّوَاح وبَكَّرُوا

ثم قال :

« وهذا القول خطأ قبيح لأن هذا الشعر للعباس بن الأحنف والغناء لعلويه رَملٌ بالوسطى ، وغُنِّىَ للمأمون فيه فقال : سخروا من أبى الفضل أعزّه الله[1] »

١٤ ـ ردّه على أستاذه جحظة فيما ذكره فى كتاب الطُّنبوريين عن أحمد النصبىّ

وانتقد أستاذه جحظة وردّ عليه فيما نسبه إلى أحمد بن أسامة الهمدانىّ النصْبىّ : صاحب الأنصاب وأولّ من غنىّ بها ، وعنه أخذ النصب فى الغناء ، (وهو ضرْبٌ من الغناء أرقّ من الحداء) وكان يغنى بالطنبور فى الإسلام ، وينادم فيما يقال ـ عبيد الله بن زياد سرّاً ويغنيه ـ وله صنعة كثيرة حسنة لم يلحقها أحد من الطنبوريين ولا كثيرٌ ممن يغنّى بالعود قال :

« وذكره جحظة فى كتاب الطنبوريين فأتى من ذكره بشىء ليس من جنس أخباره ولا زمانه وثَلبه فيما ذكره . وكان مذهبه ـ عفا الله عنّا وعنه ـ فى هذا الكتاب أن يثلب جميع من ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قدَرَ عليه ، وكان يجب عليه ضدّ هذا ، لأن من انتسب إلى صناعة ثم ذكر متقدّمى أهلها كان الأجمل به أن يذكر محاسن أخبارهم ، وظريفَ قصصهم ومليحَ ماعرفه منهم لا أن يثلبهم بما لا يعلم وما يعلم . فكان فيما قرأتُ عليه من هذا الكتاب أخبار

(١) راجع الأغانى (ج ٢ ص ٣٥١ طبع دار الكتب المصرية) .

أحمد النصبىّ أوّل من غنىّ الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيّرها ، ولم يخدُم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب (١) » .

١٥ — ردّه على أستاذه جحظة أيضاً :

وردّ على أستاذه جحظة أيضاً بأن جماعة من الكوفيين حدّثوه أن أحمد النصبىّ كان بخيلا مرابياً ومات بفالوذجة (٢) حارّة فيما ذكره فى كتاب الطنبوريين عنه قال :

« وحدّثنى جماعة من الكوفيين أنه لم يكن بالكوفة أبخل منه مع يساره ، وأنه يقرض الناس بالرّبا ، وأنه اغتصّ فى دعوة دُعىَ إليها بفالوذجة حارّة فبلعها فجمعتْ أحشاءه فمات . وهذا كله باطل . أما الغناء فله منه صَنعة فى الثقيل الأوّل وخفيف الثقيل والثقيل الثانى ليس لكثير أحد مثلها ، منها الصوت الذى تقدّم ذكره ، وهو قوله :

حيِّيَــا خَوْلةَ منّى بالسلام

ومنها :

سَلَبْتَ الجوارى حَلْيَهنّ فلم تدَعْ سِواراً ولا طَوْقاً على النحر مُذْهَبا

وهو من الثقيل الثانى ، والشعر للعديل بن الفرْخ (٣) ، وقد ذكرت ذلك فى أخباره .

---

(١) الأغانى (ج ٦ ص ٦٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الفالوذجة : ضرب من الحلواء يقال له الفالوذ والفالوذق قال يعقوب : ولا يقال : الفالوذج .

(٣) هو العديل بن الفرخ (بضم الفاء وسكون الراء المهملة وخاء معجمة) كما فى الشعر والشعراء (ص ٢٤٢ طبع أوربا) وخزانة الأدب (ج ٢ ص ٣٦٨) وهو شاعر إسلامى فى الدولة المروانية ولقبه العباب (بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة الأولى) والعباب اسم كلبة . وقد ورد فى أخباره فى الأغانى (ج ٢ ص ١١—١٩ طبع بلاق) العديل بن الفرج (بالجيم) وهو تصحيف .

ومنها :

يا أيها القلبُ المطيع الهوى   أنّى أعتراكَ الطّربُ النازحُ

وهو أيضاً من الثقيل الثانى ، وأصوات كثيرةٌ تدلّ على ما نقدّمه .

وأما ما وصَفه من بخله ، وقرْضه للناس بالرّبا ، وموته من فالوذجة حارّة أكلها ، فلا أدرى مَنْ مِنَ الكوفيين حدّثه ، ليس يخلو من أن يكون كاذباً ، أو نحلَ هو هذه الحكاية ووضعها هنا ، لأن أحمد النصبىّ خرج مع أعشى همْدان ، وكان قرابته وإلفه فى عسكر ابن الأشعث فقُتل فيمن قُتل . رَوَى ذلك الثقات من أهل الكوفة والعلم بأخبار الناس ، وذلك يذكر فى جملة أخباره [١] » .

وقد ورد هذا الخبر فى الجزء السادس المطبوع بدار الكتب المصرية (ص ٦٣ — ٦٤) أوّل كلام ومنفصلا عن الخبر الذى قبله ، مما يجعل القارىء يعتقد بنسبته إلى أبى الفرج .ساقه مع الذى قبله وردّ عليه وانتقده ، فكان يجب أن يكون متصلا به لا منفصلا عنه .

١٦ — ردّه على بعض الرواة فى نسبة شعر :

وردّ على بعض الرّواة فى نسبة شعر وهو :

لو رَدَّ ذو شَفَقٍ حِمَامَ منيَّةٍ   لرددتُ عن عبد العزيز حِمامَا

صلّى عليكَ اللهُ من مستودَعٍ   جاورتَ بُوماً فى القبور وهَامَا [٢]

فقال : « الشعر لكثير يرثى عبد العزيز بن مرْوان ، وزعم بعضُ الرّواة أنّ هذا الشعر ليس لكثير وأنه لعبد الصمد بن علىّ الهشامىّ يرثى ابناً له [٣] » .

---

(١) الأغانى (ج ٦ ص ٦٣ — ٦٤ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الهام : طير الليل وهو الصدى . واحده هامة .
(٣) راجع الأغانى (ج ٦ ص ٥٥ — ٥٦ طبع دار الكتب المصرية) .

١٧ – ردّه على كتاب ليحيى المكىّ وابنه فى الغناء القديم والمحْدث :

« وألّف جماعة من المغنين كتباً ، منهم يحيى المكى – وكان شيخ الجماعة وأستاذهم – وكلّهم كان يفتقر إليه ويأخذ عنه غناء الحجاز ، وله صنعة كثيرة حسنة متقدّمة ، وقد كان إبراهيم الموصلىّ وابن جامع يضطران إلى الأخذ عنه. ألّف كتاباً جمع فيه الغناء القديم ، وألحق فيه ابنهُ الغناء المحدَث إلى آخر أيامه ، فأتيا فيه فى أمر الأصابع بتخليط عظيم ، حتى جعلا أكثر ما جناه من ذلك مختلطاً فاسداً ، وجعلا بعضه ، فيما زعما ، تشترك الأصابع كلها فيه ، وهذا محال ولو اشتركت الأصابع لما احتيج إلى تمييز الأغانى ، وتصييرها مقسومة على صنفين : الوُسطى والبنصر . والكلام فى هذا طويل ليس موضعه ها هنا ، وقد ذكرته فى رسالة عَملتها لبعض إخوانى ممن سألنى شرحَ هذا ، فأثبتته واستقصيته استقصاء يستغنى به عن غيره ، وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه ، حتّى أتى على كلّ ما رسمته الأوائل مثل إقليدس ومنْ قبله ومن بعده من أهل العلم بالموسيقى ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنَوْا فيه الدهور ، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه[1] » .

١٨ – أمثلة من شروحه اللغوية :

سيتبين من الأمثلة التى نسوقها من شروحه اللغوية ، أنه كان فوق ما له من المنزلة العالية فى العلم والأدب قوىّ الحافظة للغريب من الألفاظ ، متفقهاً فى اللغة ، عالماً بأسرارها واسع الدراية برواية الشعر ودَرْس معانيه ، محيطاً بأخبار العرب ، وحفظ المهذّب المختار من أشعارهم ، فمن ذلك :

(١) – قال أبو الفرج يشرح أبياتاً لعنترة وهى :

---

(١) الأغانى (ج ٥ ص ٢٧٠ طبع دار الكتب المصرية) .

أَمِنْ سُمَيةَ دمعُ العين مَذْرُوفُ ... لو أنّ ذا منك قبل اليوم معروفُ
كأنها يومَ صدّتْ ما تكلّمنى ... ظَبْىٌ بعُسْفَان ساجى العَين مطروفُ
تَجلّلتنى إذا أهوى العَصَا قِبَلِى ... كأنّها صَنَمٌ يُعتَــــادُ معكوفُ
العبدُ عبدُكُمُ والمالُ مالُكُمُ ... فهل عذابُكِ عنّى اليوم مصروفُ
تنسَى بلائى إذا ما غارةٌ لَحِقَتْ ... تخرج منها الطُّوالاتُ السَّراعيفُ
قدأطعُن الطعنةَ النَّجْلاء عن عُرُضٍ ... تَصْفَرُّ كفُّ أخيها وهو منزوف

قوله : « مذروف » من ذَرَفت عينهُ ، يقال : ذَرَفت تذرف ذَرِيفاً وذَرْفاً وهو قطرٌ يكاد يتصل . وقوله : « لو أنّ ذا منك قبل اليوم معروف » أى قد أنكرتُ هذا النحوَ والإشفاقَ منك ، لأنه لو كان معروفاً قبل ذلك لم ينكره « ساجى العين » ساكنها ، والساجى : الساكن من كلّ شىء «مطروف »أصابت عينه طرْفةٌ ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه . « تجللتنى » ألقت نفسها علىّ و « أهوى » اعتمد « صنم يعتاد » أى يؤتى مرّة بعد مرّة و « معكوف » يعكَف عليه . و « السراعيف » : السراع ، واحدتها سرْعوفة . و « الطوالات » : الخيل . و « الرحائل » : السروج . و « الشمم » : ارتفاع فى الأنف . و « الغطاريف » : الكرام والسادة أيضاً . و « الغطرفة » : ضرب من السير والمشى يختال فيه . و « النجلاء » : الواسعة ، يقال : سنانٌ منجلٌ : واسع الطعنة « عن عرُض » أى عن شقّ وحرْف . وقال غيره : أعترضه اعتراضاً حين أقتله (١) .

(ب) — وقال أبو الفرج يشرح أبياتاً لعنترة أيضاً من قصيدته التى يقول فيها :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الحُتوفَ كأنّنى ... أصبحتُ عن عَرَضِ الحُتوف بمَعْزِلِ

---

(١) الأغانى (ج ٨ ص ٢٣٨ — ٢٣٩ طبع دار الكتب المصرية) .

فأجبتُها إنَّ المنيةَ مَنْهلٌ لا بدّ أن أُسْقَى بكأْس المَنْهَلِ
فاُقْنَيْ حياءكِ لا أبا لكِ واْعلمى أنّى امرؤ سأموت إن لم أُقْتَلِ
إنّ المنّيةَ لو تُمَثَّـلُ مُثِّلَتْ مِثْلِى إذا نزلوا بضَنْكِ المنزلِ
إنى امرؤ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً شَطْرِى وأحمِى سائرى بالمُنْصُلِ
وإذا الكتيبةُ أحْجمتْ وتلاحظتْ أُلفيتُ خيراً من مُعَمٍّ مُخْوَلِ
والخيلُ تعلم والفوارسُ أننى فرّقتُ جَمْعَهمُ بضربةِ فَيْصَلِ
إذ لا أبادر فى المضيق فوارسى أوَ لا أُوَكِّلُ بالرَّعِيل الأوّلِ
إن يُلْحَقُوا أكْرُرْ وإن يُسْتَلْحَمُوا أشْدُدْ وإن يُلفَوْا بضَنْكٍ أنزلِ
حين النزولُ يكون غايةَ مثلنا ويفرّ كلُّ مُضَلَّلٍ مُسْتَوْهِلِ (١)
والخيلُ ساهمةُ الوجوهِ كأنما تُسقَى فوارسُها نقيعَ الحَنْظَلِ
ولقد أبِيتُ على الطَّوَى وأظلُّه حتّى أنالَ به كريمَ المأكل

« الحتوف» : ما عرض للإنسان عن المكاره والمتالف « عن عرض » أى ما يعرض منها « بمعزل » أى فى ناحية معتزلة عن ذلك . و « منهل » : مورد، وقوله : « فاقنى حياءك » أى احفظيه ولا تضيعيه و«الضنك» : الضيق . يقول : « إن المنية لو خلقت مثالا لكانت فى مثل صورتى، و «المنصب» : الأصل و«المنصل» : السيف، ويقال منصَل أيضاً بفتح الصاد، و «أحجمت» : كفتْ، و « الكتيبة » : الجماعة إذا اجتمعت ولم تنتشر « وتلاحظت » : نظرتْ منْ يقدم على العدوّ، وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم إلى بعض بمؤخر العين، و«الفيصل» : الذى يفصل بين الناس، وقوله : « لا أبادر فى المضيق فوارسى » أى لا أكون أوّل منهزم ، ولكنى أكون حاميتهم . و « الرعيل» : القطعة من كل شئ . و « يُستلحموا » : يدركوا . والمستلحم : المدرك ، وأنشد الأصمعىّ :

(١) المستوهل : الضعيف الفزع .

نجّى علاجاً وبشراً كلَّ سَلْهَبَةٍ وأُستلحم الموتُ أصحابَ البراذين

و« ساهمة » : ضامرة متغيرة ، قد كلح فوارسها لشدّة الحرب وهولها . وقوله : « ولقد أبيت على الطوى وأظله » قال الأصمعىّ : أبيت بالليل على الطوى وأظل بالنهار كذلك حتى أنال به كريم المأكل ، أى مالاعيب فيه علىّ ، ومثله قوله : « إنه ليأتى علىّ اليومان لا أذوقهما طعاماً ولاشراباً » أى لا أذوق فيهما ، و« الطوى » : خَمَصُ البطن ، يقال : رجل طيّان وطاوى البطن[١] .

وقد أخذنا على أبى الفرج خطأه فى النقل فى كتاب الأغانى ، فمن ذلك :

خطأ أبى الفرج فى النقل عن ابن سلاّم :

قال أبو الفرج فى كلامه على أخبار ابن ميّادة :

« وابن ميّادة شاعرٌ فصيحٌ مقدّم مخضرم من شعراء الدولتين ، وجعله ابن سلاّم فى الطبقة السابعة وقَرَن به عُمر بن لجإ ، والعُجيف العقيلىّ ، والعُجير السَّلُولىّ »[٢] .

وقد اطلعنا على طبقات الشعراء لابن سلاّم ، فلم نجد فيها ذكراً لابن ميّادة ، وعدّ عُمر بن لجإ فى الطبقة الرابعة وذكر له شيئاً من شعره ، وورد ذكره فى الأغانى (ج ٧ ص ٤٤ و ٤٨ و ٦٨ و ٧٢ و ٧٤ وج ١٦ ص ١١٥ وج ١٩ ص ٢٢ طبع بولاق) أما العُجيف العقيلىّ فلم يرد ذكره فى ابن سلاّم أيضاً وورد فى الأغانى (ج ١٦ ص ١٢٤ — ١٢٥ طبع بولاق) .

والعُجير بن عبد الله السلولىّ عدّه ابن سلاّم فى الطبقة الخامسة وله ترجمة فى الأغانى (ج ١١ ص ١٥٢ — ١٥٩ طبع بولاق) .

وهذا لا يُستبعد أن يكون أبو الفرج قد أخطأ الرواية فى النقل ، أو أنه روى ذلك مشافهة عن ابن سلاّم ، وابن سلاّم لم يذكره فى كتابه كما أخبره بأن يكون غيّر رأيه بعدُ حين تدوين كتابه ، أو أن أبا الفرج اطلع على نسخة أخرى من الطبقات دخلها النقص فيما بعدُ حتى وصلت إلينا كما هى الآن .

---

(١) الأغانى (ج ٨ ص ٢٤٢ — ٣٤٣ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) أنظر الأغانى (ج ٢ ص ٢٦٢ طبع دار الكتب المصرية) .

الفصل السابع

نواحيه الخُلُقية ومجُونه

سيتضح من بعض أخباره التى نسوقها فى ترجمة حياته أن أبا الفرج مع سموّ مكانته العلمية ، وعلوّ كعبه فى الأدب ، ورسوخ قدمه فى الفنون ، حتى كان نديم الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء ، ويخشى لسانه العلماء ، ويتّقى هجاءه العظماء والشعراء والأدباء فى عصره ، يكشف لنا عن ناحية من نواحيه الخلقية المألوفة فى عصره ، فقد كان شأنه فى معاقرة الخمر ، وحبّ الغلمان ، ووصف النساء ، شأن الشعراء والأدباء الذين كانوا فى عصره أو قبله ، يجتمعون فى الديارات والحانات ، والدساكر المبثوثة فى ضواحى المدينة بعيدين عن رقابة الشرطة حيث يقوم دهاقين الخمارين ، وجلّتهم من النصارى واليهود والصابئين والمجوس ، ولقد يكون ملتقاهم أحياناً وسط الحدائق الفيحاء ، وعند الأنهار الصافية تحت أعراش الكَرْم بين تطريب الناى والعود ، أو فى دار أحدهم بعدَ أن يستعدّوا لها بأطايب الطعام من لحم طير وفواكه مما لذّ وطاب ، وبالدنان من معتق الشراب ، وبالآلات من مزمار وبربْط وصنوج ، وبالمغنين والمسمعات ينشدونهم عليها تلاحين الموصلىْ وزَلزَل وحبابة ، وفى هذه المجالس يدور عليهم الساقى غرير الصبا ، متوّجاً بأكاليل الرّيحان ، يحمل على راحته زجاجات بلّور أو طاسات اللجين مترعة بالراح صرْفاً أو مُشعشعة .

وقد وصف أبو الفرج فى كتابه الأغانى كثيراً من مجالس الشراب وما قاله الشعراء فى وصف الخمر والتغنّى بأسمائها من الكميْت والأصهب والذهبىّ وصوّرها لك تصويراً رائعاً ، وإليك بعض الأمثلة من غريب أخلاقه ، تدلّ على أن



الصفحة الأولى من الجزء السابع عشر من كتاب الأغانى وهى تشتمل على صورة تمثل مجلسا من مجالس الغناء والطرب وبعض آلات الطرب والمغنيات ، منقولة عن شريط فيلم مصور محفوظ بمكتبة الجامعة العربية ، وهو منقول عن الأصل المخطوط المحفوظ بمكتبة « جار الله » التى تقع بمكتبة « ملت » بالآستانة . مكتوب سنة ٦١٤ هـ وهو صنو الأجزاء المحفوظة بدار الكتب المصرية .



الصفحة الأولى من الجزء التاسع عشر من كتاب الأغانى وهى تشتمل على صورة تمثل مجلساً من مجالس الغناء والطرب وبعض آلات الطرب والمغنيات ، منقولة عن شريط فيلم مصور محفوظ بمكتبة الجامعة العربية ، وهو منقول من الأصل المخطوط المحفوظ بمكتبة « جار الله » التى تقع بمكتبة « ملت » بالأستانة مكتوب سنة ٦١٤ ﻫ وهو صنو الأجزاء المحفوظة بدار الكتب المصرية .

أبا الفرج مع رفيع منزلته، وعلوّ قدره ، وما شاع من ذكره كان يتباهى بوصفها.

١ — وصفه لفتاة حسناء :

قال أبو الفرج فى كتابه « الغرباء » : « خرجت أنا وأبو الفتح أحمد بن إبراهيم ابن على بن عيسى — رحمه الله — ماضيين إلى دَير الثعالب[1] فى يوم ذكر أنه من سنة ٣٥٥ هـ للنزهة ، ومشاهدة اجتماع النصارى هناك ، والشرب على نهر يزْدَجِرْد الذى يجرى على باب هذا الدير ، ومعه جماعة من أولاد النصارى من أحداثهم . وإذا بفتاة كأنها الدينار المنقوش تتمايل وتتثنّى كغصن الريحان فى نسيم الشمال ، فضربتْ بيدها إلى يد أبى الفتح وقالت : يا سيّدى ، تعال اقرأ هذا الشعر المكتوب على حائط هذا الشاهد ، فمضينا معها ، وبنا من السرور بها وبظرْفها وملاحة منطقها ما الله به عليم ، فلما دخلنا البيت كشفت عن ذراع كأنه الفضّة وأومأت إلى الموضع فإذا فيه مكتوب :

خرجتْ يومَ عِيدِها فى ثياب الرواهب
فتنت باختيـالها كل جاءٍ وذاهب
لشقائى رأيتهــــا يوم « دَيْر الثعالب »
تتهــادى بنسوة كاعب فى كواعب
هى فيهم كأنها الـ بدْرُ بين الـكواكب

فقلت لها : أنت والله المقصودة بهذه الأبيات ، ولم نشك أنها كتبت الأبيات ولم نفارقها بقية يومنا . وقلتُ لها هذه الأبيات وأنشدتها إياها ففرحت :

مرّت بنا فى الدير خمصانهْ ساحرة الناظر فتّانهْ

---

(١) دير الثعالب : هو فى الجانب الغربى من بغداد بباب الجديد وهو بمكان متنزه ، لا يخلو من قاصد وطارق ، ولا يتخلف أحد من النصارى عن غيده فواطنه معمورة وبقاعه مشهورة (انظر ياقوت ج ٣ ص ٦٥٠ طبع أوربا وكتاب الديارات للشابشتى ورقة ٨ من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية ومسالك الأبصار (ج ١ ص ٢٧٧ طبع المطبعة الأميرية ببولاق) .

أبرزها الذكران من خِدْرها ... مُعظم الدَّيْر ورهبانه
مرّت بنا تخطر فى مشيها ... كأنما قامتها بانَهْ
هبّت لنا ريحٌ فمالت بها ... كما تثنّى غُصن ريحانَهْ
فتيّمت قلبي وهاجت له ... أحزانه قدما وأشجانَهْ

وحصلت بينها وبين أبي الفتح عشرة بعد ذلك، ثم خرج إلى الشام، وتوفى بها ولا أعرف لها خبراً بعد ذلك (١) » .

ومن هذه الأبيات يتبين أن أبا الفرج كان مرهف الحسّ، بارع الخيال مفتوناً بروح الحُسن، مأخوذاً بسحر الجمال.

٢ — حبه للغلمان :

أشار الكاتب الاجتماعيّ الكبير الدكتور أحمد أمين بك إلى هذا المرض الاجتماعي الوبيل، وانتشاره فى أيام الدولة العباسية فى كلمة له عن الشاعر المجدّد أبي نُوَاس بقوله :

« قد فشا حبّ الغلمان ، والحديث عن الغلمان فى عصر أبي نُوَاس أكثر مما كان فى عصر بشار ، وأفرط الناس فيه ، وتسرّب إلى قصور بعض الخلفاء حتى إن زبيدة رأت هذا الميل فى الأمين فاتخذت له سرباً من الجوارى فى زىّ الغلمان وأطلق عليهن « الغلاميات » فكان أبو نُوَاس أصدق معبّر عن هذا المرض الاجتماعيّ لتهتكه وفجوره ، ولنشأته منذ صباه هذه النشأة ، فتفنّن ماشاء فى وصف الغلمان وقدودهم وخدودهم ، وكلّ مايتصل بهم ، وكوّن عن ذلك كله باباً فى غزل المذكّر على نمط ماقال الشعراء قبله فى غزل المؤنّث وأضاف إلى أبواب الأدب باباً جديداً لا يزال مفتوحاً إلى اليوم (٢) » .

ويظهر أن الانغماس فى الملاهى والملذّات وحبّ الغلمان كان أكثر شيوعاً فى أواخر الدولة العباسية لا سيما فى دولة بنى بُوَيه ، فقد تغير فيها نظام الحياة

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٥٨ — ١٥٩) .
(٢) مجلة الهلال العدد الصادر فى أول أغسطس سنة ١٩٣٦ .

الاجتماعية مما كان عليه فى الدولة الأموية ، فى جميع مناحى الحياة لتغلّب الشعوبية والتشيع فى بنى بُوَيه ومن والاهم ، وأضحى الشعراء والأدباء يصفون حياتهم الشخصية فى هذا المضمار ، ويذكرون لذّاتهم النفسية فى ذلك الميدان بكلّ جرأة وصراحة ، وكتب الأدب حافلة بالأخبار المشهورة عنهم ، والأشعار التى قيلت فى هذه الحالات نكتفى منها بذكر هذا البيت :

أديبنا المعروف بالكردى   مُولَع بالغلمان والمُرْدِ

ونعتقد أن هذا كان من أكبر الأسباب فى قِصَر عُمْر هذه الدولة ، لأن الأمم لا تعمر إلّا على أمتن دعائم من الأخلاق الفاضلة ، وأقوى أسس من الدين .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هُمو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويذكر أبو الفرج عن نفسه حبّ الغلمان فيقول :

« وكنتُ فى أيام الشبيبة والصبا آلف فتى من أولاد الجند فى السنة التى توفّى فيها معزّ الدولة وولى بختيار ، وكانت لأبيه حال كبيرة ، ومنزلة من الدولة ورُتبة ، وكان الفتى فى نهاية حسن الوجه ، وسلاسة الخلق ، وكرم الطبع ، ممن يحبّ الأدب ويميل إلى أهله ، ولم يترك قريحته حتى عرف صدراً من العلم ، وجمع خزانة من الكتب حسنة ؛ فمضت لى سِيَر لو حفظت لكانت فى كتاب مفرد من مكاتبات ومعاتبات وغير ذلك مما يطول شرحه ، منها ما يشبه ما نحن فيه : إننى جئته يوم جمعة غدوة فوجدتهُ قد ركب إلى الحلبة(١) ، وكانت عادته أن يركب إليها فى كلّ يوم ثلاثاء ويوم جمعة ، فجلست على دكة على باب دار أبيه فى موضع فسيح كان عمرها وفرشها ، فكنا نجلس عليها للمحادثة إلى ارتفاع النهار ، ثم ندخل إذا أقمت عنده إلى حجرة لطيفة كانت مفردة لنجتمع على الشراب والشطرنج وما أشبههما ، فطال جلوسى فى ذلك اليوم منتظراً له ، فأبطأ وتصيّح من أجل رهان كان بين فرسين لبختيار فعرض لى لقاء صديق لى ، فقمت لأمضى ثم أعود إليه

---

(١) هى أشبه بسباق الخيل الآن .

فهجس لى أن كتبت على الحائط الذى كنا نستند اليه هذه الأبيات :

يا من أظلّ بباب داره ۞ ويطول حبسى لانتظاره

وحياة طرفك واُحوراره ۞ ومجال صدغك فى مداره

لا حلت عمرى عن هوا ۞ ك ولو صليت بحرّ ناره

وقمتُ .

فلما عاد قرأ الأبيات وغضب من فعلى لئلا يقف عليه من يحتشمه ، وكان شديد الكتمان لما بينى وبينه ، ومطالباً بمثل ذلك مراقبة لأبيه ، إلا أنّ ظرفه ووكيد محبته لى وميله إلىّ لم يدعه حتىّ أجاب عنها بما كتب تحتها ، ورجعتُ من ساعتى فوجدته فى دار أبيه فاستأذنت عليه فخرج إلىّ خادم لهم فقال : يقول لك لا التقينا حتى تقف على الجواب عن الأبيات فإنه تحتها ، فصعدت الدكة فإذا تحت الأبيات بخطه : ما هذه الشناعة ، ومن فسح لك فى هذه الإذاعة ، وما أوجب خروجك عن الطاعة ، ولكن أنا جنيت على نفسى وعليك ، ملّكتك فطغيت ، وأطعتك فتعدّيت ، وما أحتشم أن أقول هذا تعرّض للإعراض منك والسلام .

فعلمت أننى أخطأت وسقطت — شهد الله — قوّتى وحركتى ، فأخذتنى الندامة والحيرة ، ثم أذن لى فدخلتُ فقبلت يده فمنعنى وقلتُ : يا سيدى غلطة غلطتها ، وهفوة هفوتها ، فإن لم تتجاوز عنها وتعفُ هلكت ، فقال لى : أنت فى أوسع العذر بعد ألاّ يكون لها أخت ، وعاتبنى على ذلك عتاباً عرفت صحته ولم تمض إلا مديدة حتى قبض على أبيه وهرب فاحتاج إلى الاستتار ، فلم يأنس هو وأهله إلاّ بكونه عندى ، فأنا على غفلة إذ دخل فى خفّ وإزار وكادت مرارتى تنفطر فرحاً فلقيته أقبل رجليه وهو يضحك ويقول : يأتيها رزقها وهى نائمة (١) هذا يا حبيبى بخت من لا يصوم ولا يصلى فى الحقيقة ، وكان أخفّ

(١) كأنه أراد « رغداً وهى آمنة » .

الناس روحاً ، وأقلعهم لبادرة وبتنا فى تلك الليلة عروسين لا تعقل سكرا ، واصطبحنا ، وقلتُ هذه الأبيات :

بتّ وبات الحبيب ندمانى   من بعد نأى وطول هجرانِ
نشرب قفصيّة معتّقةً   بحانة الشطّ منذ أزمانِ
وكلّما دارت الكؤوس لنا   ألثمنى فاه ثم غنّانى
الحمد لله لا شريك له   أطاعنى الدهر بعد عصيانى

ولم يزل مقيما عندى نحو الشهر حتى استقام أمر أبيه ثم عاد إلى داره (١)

٣ — معاقرته الخمر :

لقد كان العصر الذى عاش فيه أبو الفرج بلغ فيه الملوك والوزراء والأمراء والكتاب والشعراء والأدباء حدّ الإسراف فى الشهوات والملذّات ، فمن مجالس الشرب إلى محافل الغناء ، وقد كانوا فى ذلك العصر كما ذكرنا يلجأون إلى الأديرة للسمر والقصف ومعاقرة الدنان ، حيث لا رقيب من شرْطة أو عسس ، وحيث الخمور مباحة فى هذه الأمكنة غير محرّمة ، بل كثيراً ما كان يصنعها رهبان تلك الأديرة .

وفى الأبيات الآتية التى يقولها أبو الفرج يكشف لنا عن حياة غريبة ، وهى الجرأة والصراحة فى معاقرة الخمر حيث يقول :

وبكر شربناها على الورد بكرة   فكانت لنا ورداً إلى ضحوة الغد
إذا قام مبيضّ اللباس يديرها   توهمته يسعى بكمّ مورّد (٢)

---

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٦٠ — ١٦٢) .
(٢) يتيمة الدهر (ج ٢ ص ٢٨١ طبع بيروت) .

ومن قوله فى وصفها من قصيدة :

وسلاف كالتبر أذكى من المسـ ـك وأصفى صبغاً من الزعفران
وكأن اليد التي تحتويها من صبيب العقبان فى دستبان[1]

ولا ندرى هل كانت هذه الأخبار التى يرويها أبو الفرج عن نفسه صحيحة ، أم هى ملفقة من وضع حاسديه وأعدائه ؟ لأنه كان لا يبالى النقد ، ولا يجزع من الهجاء ، بل كان معاصروه من العلماء والأدباء والشعراء هم الذين يخشون جرأته فى النقد ، وقوّته فى الهجاء ، ويحذرون لسانه ، ويصبرون فى مجالسته ومعاشرته ومشاربته على كل صعب من أمره ، كما وصفه بهذا هلال بن المحسن ، وسنذكر قوله فى أول الفصل العاشر الخاص بشعره .

(١) يتيمة الدهر (ج ٢ ص ٢٨١ طبع بيروت) .

الفصل الثامن

غريب عاداته

لم يكن لأبي الفرج الأصبهانيّ عناية بنظافة جسمه وثيابه ، فقد حدّث الرئيس أبو الحسين هلال بن المحسِّن بن إبراهيم بن هلال الصابي فى الكتاب الذى ألفه فى أخبار الوزير المهلبى قال :

« كان أبو الفرج الأصبهانيّ وسخاً قذراً، لم يغسل له ثوباً منذ فصّله إلى أن قطعه ، وكان الناس على ذلك يحذرون لسانه ويتقون هجاءه ، ويصبرون فى مجالسته ومعاشرته ومواكلته ومشاربته على كل صعب من أمره لأنه كان وسخاً فى نفسه ثم فى ثوبه وفعله حتى إنه لم يكن ينزع درّاعة يقطعها إلاّ بعد إبلائها وتقطيعها ، ولا يعرف لشىء من ثيابه غسلا ، ولا يطلب منه فى مدة بقائه عوناً[1] »

ومع هذا فقد كان محلّ احترام الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء وإجلالهم لأنه كان آية فى لطائف المنادمة والمخادنة[2] ، ولما وعى من الأدب النادر ، وحوى من العلم الغزير .

حدّث إبراهيم بن هلال الصابى أن أبا الفرج كان جالساً فى بعض الأيام على مائدة أبى محمد المهلبى فقدّمت سكباجة[3] وافقت من أبى الفرج سعلة فبدرت من فمه قطعة من بلغم فسقطت وسط الغضارة ، فتقدم أبو محمد برفعها وقال : هاتوا من هذا اللون فى غير هذه الصفحة ولم يبن فى وجهه إنكار ولا استكراه ،

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٥٣) .

(٢) المخادنة : المصادقة .

(٣) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والخل وربما جعل فيه زعفران .

ولا داخل أبا الفرج فى هذه الحال استحياء ولا انقباض . هذا إلى ما يجرى هذا المجرى على مضىّ الأيام ، وكان أبو محمد عزوف النفس ، بعيداً من الصبر على مثل هذه الأسباب إلاّ أنه كان يتكلف احتمالها لورودها من أبى الفرج .

وكان من ظرفه فى فعله ، ونظافته فى مأكله أنه كان إذا أراد أكل شىء بملعقة كالأرز واللبن وأمثاله وقف من جانبه الأيمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقة زجاجاً مجروداً ، وكان يستعمله كثيراً ، فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة واحدة، ثم يدفعها إلى غلام آخر قام من الجانب الأيسر ، ثم يأخذ أخرى فيفعل بها فعل الأولى حتى ينال الكفاية لئلا يعيد الملعقة إلى فيه دفعة ثانية .

فهل بعد هذا ترف أو نعيم ! .

فلما كثر على المهلبىّ استمرار هذا — مع ظرفه ونظافته — جعل له مائدتين : إحداهما كبيرة عامة، وأخرى لطيفة خاصة ، وكان يواكله عليها من يدعوه إليها(١)

وحكى القاضى أبو علىّ المحسِّن بن التنوخى فى كتاب نشوار المحاضرة (٢) : «أن أبا الفرج كان أكولا نهماً ، وكان إذا ثقل الطعام فى معدته تناول خمسة دراهم فلفلا مدقوقاً ولا يؤذيه ، ولا تدمع منه عيناه . وهو مع ذلك لا يستطيع أن يأكل حمصة واحدة أو يصطبغ (٣) بمرقة قدر فيها حمص ، وإذا أكل شيئاً يسيراً من ذلك شرى(٤) بدنه كله من ذلك ، وبعد ساعة أو ساعتين يفصد ، وربما فصد لذلك دفعتين ، قال : وأسأله عن سببه فلا يكون عنده علم منه ، ويقال : إنه لم يدع طبيباً حاذقاً على مرور السنين إلا سأله عن سببه فلا يجد عنده علماً

---

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٥٣) .
(٢) طبع هذا الكتاب بمطبعة هندية سنة ١٩٣١ بتصحيح العلامة المستشرق مرجليوث .
(٣) يصطبغ : يأتدم .
(٤) الشرى : شىء يخرج على الجسد أحمر كهيئة الدراهم . وقيل : هو شبه البثر يخرج فى الجسد ، أو هو خراج صغار لها لذع شديد .

ولا دواء ، فلما كان قبل فالجه (١) بسنوات ذهبت عنه العادة فى الحمص فصار يأكله ولا يضرّه ، وبقيت عليه عادة الفلفل (٢) »

• • •

ويشبه أبا الفرج فى القذارة والوساخة أستاذه وشيخه الإمام العلامة إبراهيم ابن محمد نفطويه (مع كونه من أعيان العلماء وعلماء الأعيان) ، غير مكترث بإصلاح نفسه ، فكان يفرط به الصنان فلا يغيره ، فحضر يوماً مجلس حامد ابن العباس وزير المقتدر فتأذّى هو وجلساؤه بكثرة صنانه ، فقال حامد : يا غلام ، أحضرنا مرتكاً ، فجاء به ، فبدأ بنفسه فتمرتك وأداره على الجلساء فتمرتكوا ، وفطنوا ما أراد بنفطويه ، وأنه أراد من نفطويه أن يتمرتك فيزول صنانه من غير أن يجبهه بما يكره ، فقال نفطويه : لاحاجة بى إليه ، فراجعه فأبى ، فاحتدّ حامد واغتاظ وقال له : يا عاضّ كذا من أمه إنما تمرتكنا جميعاً لتأذّينا بصنانك ، قم لا أقام الله لك وزناً ثم قال : أخرجوه عنّى أو أبعدوه إلى حيث لا أتأذىّ به(٣)

• • •

ومن شيوخ أبى الفرج وأساتذته الذين كانوا يشبهونه أيضاً فى القذارة والوساخة أبو الحسن أحمد بن جعفر جحظة ، وكان حسن الأدب ، كثير الرواية للأخبار ، وكان طنبوريًّا حاذقاً . قال ابن النديم : « وأخباره أشهر وأظهر من أن نذكرها فى كتابنا لقرب عهده بنا ، وكان مع ما وصفناه به بعيداً عن أدب النفس ، وكان وسخاً . . . إلخ »(٤)

• • •

(١) الفالج : داء معروف يسترخى منه أحد شقّ البدن .
(٢) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٥٥)
(٣) تقدمت ترجمته وراجع معجم الأدباء لياقوت (ج ١ ص ٣١٣) .
(٤) تقدمت ترجمته وراجع الفهرست لابن النديم (ص ١٤٥) .

ومن معاصرى أبى الفرج الأصبهانى ، وكان شبيهه فى القذارة والوساخة والشراهة ، أبو رياش أحمد بن إبراهيم الشيبانىّ ، وكان حافظاً للأخبار والأشعار واللغة ومن رواة الأدب ، وصفه الثعالبىّ فى اليتيمة (١) بقوله : « كان أبو رياش باقعة (٢) فى حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها ، غاية بل آية فى هذ (٣) دواوينها وسرد أخبارها ، مع فصاحة وبيان وإعراب وإتقان ، ولكنه كان عديم المروءة ، وسخ اللبسة ، كثير التقشف ، وقليل التنظف ، وفيه يقول أبو عثمان الخالدىّ :

كأنما قمل أبى رياش ما بين صئبان قفاه الفاشى
وذا وذا قد لجّ فى انتعاش شهدانج (٤) بدد فى خشخاش

وكان مع ذلك شرهاً على الطعام ، رجيم شيطان المعدة ، حرثىّ الالتقام ، ثعبانىّ الالتهام ، سيىء الأدب فى المواكلة ، دعاه أبو يوسف الزيدىّ إلى البصرة إلى مائدته ، فلما أخذ فى الأكل مدّ يده إلى بضعة لحم فانتهشها ثم ردّها إلى القصعة ، فكان بعد ذلك إذا حضر مائدته أمر بأن يهيأ له طبق ليأكل عليه وحده .

ودعاه يوما المهلبىّ الوزير إلى طعامه ، فبينما هو يأكل إذ امتخط فى منديل الغمر (٥) وبصق فيه ، ثم أخذ زيتونة من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت نواتها فأصابت وجه الوزير ، فتعجب من سوء أدبه ، فاحتمله لفرط علمه . ففى شره أبى رياش يقول ابن لنكك :

يطير إلى الطعام أبو رياش مبادرة ولو واراهُ قبر

(١) يتيمة الدهر (ج ٢ ص ١٢٠ طبع بيروت) ومعجم الأدباء (ج ١ ص ٧٥) .
(٢) الباقعة : مؤنث الباقع ، وهو الذكى العارف الذى لا يفوته شىء ولا يدهى .
(٣) هذ قراءته : إذا أسرع فيها .
(٤) الشهدانج : حب القنب . والقنب : نبت يعمل منه حبال قوية .
(٥) الغمر (بالتحريك) : زنخ اللحم وما يعلق باليد من دسمه . وهو يماثل مانسميه الآن فى مصر : فوطة الذفر .

أصـــابعه من الحلواء صفر ولـكن الأخادع منه حمر

° ° °

ومن علماء معاصرينا الأجلاّء النابهين المعروفين، وشيوخنا الأعلام النابغين، وكان له مركز ممتاز ، ومكانة علمية محترمة . لدى الأمراء والوزراء والعظماء والعلماء فى جميع الأقطار العربية لسموّ مكانته العلمية والأدبية — وقد شاهدنا العالمين الجليلين المرحومين أحمد تيمور باشا وأحمد زكى باشا مع سموّ مركزهما ، وشهرتهما العظيمة ، يحترمانه كل الاحترام ، ويجلاّنه كلّ الإجلال — العالم اللغوىّ الجليل الفذّ الشيخ الوقور المرحوم طاهر الجزائرىّ ، فكان شبيهاً بأبى الفرج فى قذارة ملبسه وسماجة هندامه ، وقد شاهدناه وأكلنا معه غير مرّة على مائدة المرحوم أحمد زكى باشا ، ونترك للكاتب المؤرخ الجليل صاحب السعادة محمد كرد على وزير المعارف السورية سابقاً ورئيس المجمع العلمى بدمشق وعضو مجمع فؤاد الأول اللغوىّ وصف حاله ، لأنه كان من تلاميذ الشيخ طاهر النابغين ، وأعزّ أصدقائه المخلصين ، قال :

« كان سمت الشيخ وهندامه سمت العوام وهندامهم ، وعمامته من الأغبانى فى جبة بسيطة وقفطان قطن وزنار مزدوج يخبأ فيه بعض الدراهم ، وألبسته من صنع الوطن إلاّ النظارتين والطربوش ، ويختار من القمصان والسراويل ما خفّ ثمنه ليطرحه إذا اتسخ ولا يشغل ذهنه بغسله ، وكثيراً ما يلبس قميصين وسروالين وقفطانين وصدرتين وجبتين ليكون على أتمّ الاستعداد لما يطرأ على أحد الزوجين فيطرحه حالاً ويستعيض عنه بأخيه دون انتظار شىء آخر .

ويقلّ استعماله للمناديل المتعارفة المعمولة من القطن فيعمد إلى اتخاذ مناديل من الورق الغليظ يضمّ بعضه إلى بعض ويخيطه فيكوّن دفتراً يلقى به الشيخ بعد أن يتسخ كله ، وكان يطهر جسمه ولا ينظّف ثيابه كثيراً . أصيب بهذه الخلة خصوصاً بعد أن فقد والدته فى صباه ولم يبق له من رحمه امرأة تتعهده أبداً بنظافة ثيابه والعناية بظواهره ، وأنّى له هو أن يسدّ مسدّ أمه فى ذلك وفكره

مشغول بمطالب عالية أخرى قد لا يتسع لمثل هذه الجزئيات فى رأيه .

ورأيت فى بعض تعليقاته فى ترجمة عبد الله بن الخشاب وكأنه بنقله لها ترجم نفسه فقال بلسان الحال : وهذا رجل مثلى كان إلى الخمول قال : « كان وسخ الثياب ما تأهل ولا تسرّى ، له معرفة بالحديث والمنطق والفلسفة والهندسة بل بكلّ فنٍّ ، وكان يترك عمامته أشهراً ولا يغسلها ويلبسها كيف اتفق فإذا قيل له فى ذلك يقول : ما استوت العمة على رأس عاقل قطّ » . وشيخنا — رحمه الله — كان من هذا الطراز . والعبقرية على ما يظهر تكمل من صاحبها ناحية واحدة ، وتنقص منه من الناحية الأخرى بقدرها . أراد الشيخ أحد أصحابه فى القاهرة خلال الحرب العامة على أن يغير جبته لأنها بليت بعض أطرافها فسكت الشيخ عن إجابته ، فلما ألحّ عليه مرّتين وثلاثاً أجابه : « يا فلان تريدنى على اقتناء جبة جديدة وأهل الشام اليوم يموتون من الجوع » .

وأضافه أحد أصدقائه فى بيروت وأخذ ذات يوم ثيابه بدون استئذانه ليغسلها وعوّضه عنها ثياباً جديدة فحنق الشيخ وما زال بمضيفه حتى أعاد اليه ثيابه الوسخة وذلك لئلا يشغل فكره فى ثيابه ريثما تغسل وتنشف ولئلا يلبس ثياباً غير ثيابه .

وغضب مرّة على أحد أصحابه ومساكنيه فى القاهرة لأنه افترص غيابه فنزع من غرفة الشيخ جميع الكتب والفراش المملوء بالبقّ وكنس الغرفة ونفض الغبار عن الكتب والأوانى وغسلها ووضع سماً لقتل البقّ فى السرير حتى لا يصل إلى الشيخ فيقرصه وأعاد كل شىء إلى مكانه ، فلما رأى الشيخ ذلك عرف ما دبر له ولم تطب نفسه بهذه التعزيلة وأنحى على صاحبه باللوم والتقريع . ورأيته مراراً وقد نتأ مسمار أو مسامير من حذائه فكان يخصف من ورق الشجر يجعله فى الحذاء ليتقى ضغط المسمار على رجليه ولا تحدّثه نفسه أن يذهب إلى الحذاء يصلح له حذاءه وإذا قلت له فى ذلك أجابك : إن الوقت لا يساعدنى . وكان مداسه متسعاً فى الشتاء يجرف من الأرض طيناً كثيراً يعلق بجبته فيصبح وجهها شكلا وقفاها شكلا آخر .

ولطالما تبرّم بزيارته أيام المطر بعض ربّات البيوت مخافة أن يعلق طين جبته في المقعد الذي يقعد عليه . وكان إذا اشتدّ الحرّ استثقل الجورَبين فنزعهما من رجليه وعوّضهما أوراقاً هشة ملونة جعلها حفافي نعله لتمتص العرق بزعمه .

وأنت لا تملك نفسك من الضحك إذا رأيت رجليه وتستغرب من عظيم كهذا يهزأ بعادات مجتمعه إلى هذا الحدّ ، ولا يبالي النقد ولا الملام . ولطالما قال : أنا شاذّ ولا أحبّ أن يقتدي بي أحد [١] »

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد الثامن ص ٥٨٩ – ٥٩١) .

الفصل التاسع

بعض صفاته وأخلاقه

صدق مودته لإخوانه :

ولقد كان أبو الفرج دائم المحبة لأصدقائه ، صادق المودة لإخوانه ، وفياً لأساتذته ، وهي من الأخلاق النبيلة التي اتصف بها حيث يحدّث عن نفسه قال : « بلغ أبا الحسن جحظة أن مدرك بن محمد الشيبانيّ الشاعر ذكره بسوء في مجلس كنتُ حاضره ، فكتب إليّ :

أبا فرج أُهجَى لديك ويُعتدَى ... عليّ فلا تحمى لِذَاك وتغضب

لعمرك ما أنصفتني في مودّتي ... فكن معتباً إن الأكارم تعتب

فكتبتُ إليه :

عجبتُ لما بُلِّغْتَ عنّي باطلا ... وظنّك بي فيه لعمرك أعجبُ

ثكلت إذاً نفسي وعُزِّيَ أسرتي ... بفقدي ، ولا أدركت ما كنت أطلبُ

فكيف بمن لا حظّ لي في لقائه ... وسيّان عندي وصله والتجنّبُ

فثق بأخ أصفاك محض مودّةٍ ... تشاكل منها ما بدا والمغيب[1]

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب (ج ١١ ص ٣٩٩ طبع مصر) .

الفصل العاشر

شعره

لقد كان أبو الفرج من الشعراء المجيدين . وصفه هلال بن المحسِّن بقوله : « وله شعر جيد إلا أنه فى الهجاء أجود ، وإن كان فى غيره غير متأخر ، وكان الناس على ذلك العهد يحذرون لسانه ويتقون هجاءه ، ويصبرون فى مجالسته ومعاشرته ومواكلته ومشاربته على كل صعب من أمره ، لأنه كان وسخاً فى نفسه ، ثم فى ثوبه وفعله ، قذراً حتى إنه لم يكن ينزع درّاعة يلبسها إلا بعد إبلائها وتقطيعها ، ولا يعرف لشىء من ثيابه غسلا ، ولا يطلب منه فى مدّة بقائه عوضاً (١) » .

قال أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى يهجو أبا سعيد السيرافىّ :

لستَ صدراً ولا قرأتَ على صد ... ر ولا علمك البكى بكاف

لعن الله كلّ شعـــــر ونحو ... وعروض يجىء من سيراف (٢)

وكان الراضى بالله فى سنة ٣٢٧ هـ قد ولى أبا عبد الله البريدىّ — وكان قد خرج عليه بنواحى البصرة — الوزارة ، فتحدّى الناس أن الراضى إنما قصد بتقليد أبى عبد الله الوزارة طمعاً فى إيقاع الحيلة عليه فى تحصيله ، فقال أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى فى ذلك قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت يهجو فيها أبا عبد الله ويؤنّب الراضى فى توليته وطمعه فيه ، أوّلها :

يا سماء اسقطى ويا أرض ميدى ... قد تولّى الوزارة ابن البريدى

جلّ خَطْبٌ وحلّ أمرٌ عضال ... وبلاء أشاب رأس الوليد

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٥٢) وعيون التواريخ لابن شاكر .

(٢) معجم الأدباء لياقوت (ج ٣ ص ٨٥)

هدّ ركن الإسلام وأنتهك الملـ ـك وأمحت آثاره فهو مودى
أخلقت مهجة الزمان كما أنـ ـهج طول اللباس وشى البرود

يقول فيها :

وتوهمتَ أنْ سيخدعه ذا ك فيغتاله أُصطياد الصيود
هو أزنى مما تقدّر أمّا ليس مما يصاد بالتقليد

فانتهت هذه القصيدة إلى أبي عبد الله البريدى ، فلما بلغ إلى البيت الأخير ضحك وضرب بيديه ورجليه وقال : لو عرف أبو الفرج ما فى نفسى وأزال الوحشة وصار إلىّ لبالغت فى صلته والإفضال عليه من أجل هذا البيت[١] .

وقال ابن شاكر فى عيون التواريخ :

« وقال يرثى ديكا وهو من جيد ما قيل فى مراثى الحيوان ومن مختار الشعر . وقد كتبت القصيدة[٢] بأسرها لجودة وصفها ، وإحكام رصفها ، فإنها عذبة الألفاظ بديعة المعانى ، مطردة الأجزاء ، منسقة القوافى ، وهى هذه :

خَطْبٌ طرقتُ به أمرّ طروقِ فَظُّ الحُلولِ علىّ غيرُ شفيقِ
فكأنّها نُوَبُ الزمانِ محيطةٌ بى راصدات[٣] لى بكلّ طريقِ
حتى متى تُنحى[٤] علىّ صرُوفُها وتُغِصُّنِى فَجَعَاتُها بالرِّيقِ
ذهبتْ بكلّ مُصاحبٍ ومُناسِبٍ ومُوافِقٍ ومُرَافِقٍ وصديقِ
حتّى بِديكٍ كنتُ آلَفُ قُرْبه حَسَنٍ إلىّ من الدُّيوك رشيقِ

---

(١) معجم الأدباء (ج ٥ ص ١٦٥) .
(٢) هذه الدرة اليتيمة تنشر برمتها فى هذا الكتاب لأول مرة لأنها من الشعر الخالد ، وهى تبرهن على أن أبا الفرج – رحمه الله – كان من فحول الشعراء فى الوصف وسعة الخيال مع دقة المعنى ، وكفى وصف الأديب الكبير ابن شاكر الكتبى لهذه القصيدة العصماء .
(٣) راصدات : راقبات .
(٤) تنحى : تقبل .

أَلقى عليه الدهرُ منه كَلاكِلاً ... يُفني الورى ويُشتُّ كلَّ فريقِ
ورماه منه بحدِّ سهمٍ شائكٍ ... بذخائرِ المستطهرين عَلُوقِ
غَلَبتْ صروفُ الدهرِ فيه تَخالُنى ... أَنى لرَيْبِ الدهرِ غيرُ مُطيقِ
حُزْنى عليه دائمٌ ما غَرَّدَتْ ... وُرْقُ الحمامِ ضُحًى بذروة نِيقِ
أَريب مَنْزِلِنا ونِشْوَ حُجُورنا ... وغَذِىَّ أيدينا نداء مَشُوقِ
لَهفى عليك أبا النذير لَوْ أَنه ... دَفَعَ المنايا عنك لَهْفُ شَفِيقِ
وعلى شمائلك اللواتى ما نَمَتْ ... حتّى ذَوَتْ من بَعْدِ حُسْنِ سُمُوق (١)
لمَّا بَقِعْتَ (٢) وصِرْتَ عِلْقَ (٣) مَضِنَّةٍ ... ونشأتَ نَشْأَ المقبلِ المَوْمُوقِ (٤)
وتكامَلَتْ جُمَلُ الجمال بأَسْرِها ... لك من جليلٍ واضحٍ ودقيقِ
وكُسِيتَ كالطاوُوس ريشاً لامِعاً ... متلأْلئاً ذا رَوْنَقٍ وبَرِيقِ
من حُمْرةٍ فى صُفْرةٍ فى خُضْرةٍ ... تخييلُها يُغْنِى عن التحقيقِ
عَرَضٌ يَجِلّ عن القِياس وجَوْهَرٌ ... لَطُفَتْ معانيهِ عن التدقيقِ
وخَطَرْتَ مُلتَحِفاً ببُرْدٍ حَبَّرَتْ (٥) ... منه بديعَ الوَشْىِ كَفُّ أنيقِ
كالجُلَّنارة (٦) أو صفاء عَقِيقةٍ ... أو لَمْعِ نارٍ أو وَمِيضِ بُرُوقِ
أو قَهْوَةٍ (٧) تختالُ فى بَلُّورةٍ ... بتأَلُّقِ الترويق (٨) والتصفيقِ (٩)

---

(١) سموق : علو وارتفاع .
(٢) يقال : بقع الطير : أى اختلفت لونه فهو أبقع .
(٣) العلق : النفيس من كل شىء ، ويقال : هذا الشىء علق مضنة ، أى يضن به .
(٤) الموموق : المحبوب .
(٥) حبرت : حسنت .
(٦) الجلنار : زهر الرمان ، معرب كلنار .
(٧) القهوة : الخمر :
(٨) الترويق : التصفية .
(٩) التصفيق ، يقال : صفق فلان الشراب إذا حوله من إناء إلى إناء ليصفو .

وكأنّ سالفتيكِ(١) تِبْرٌ سائلٌ ... وعلى المَفارقِ(٢) منك تاجُ عقيقِ
وكأنّ مجرى الصَّوْتِ منك إذا نبتْ ... وجفتْ عن الأسماع بُحّ(٣) حُلُوقِ
نايٌ(٤) دقيقٌ ناعمٌ قُرِنَتْ به ... نَغَمٌ مؤلَّفةٌ من المُوسيقى
يَزْقو(٥) ويَصْفِق بالجناح كمُنْتَشٍ ... وَصَلَتْ يداهُ النَّقْرَ بالتصفيقِ
ويَميس(٦) مُمتطياً لسبع دجائجٍ ... مثلَ المَهارِى أحدقتْ بفَنيقِ
فيَميرُنا منهنّ بَيْضاً دائماً ... رِزْقاً هنيئاً ليس بالمَمْحُوقِ(٧)
فيه بدائعُ صنعةٍ ولطائفٍ ... أتقنَّ بالتهذيب والتدقيقِ
خَلْقان مائيّان ما اختلطا على ... شَكْلٍ ومؤتلفِ المِزاج دقيقِ
صُنْعٌ يدلُّ على حقيقة صانعٍ ... للخلق طُرًّا ليس بالمخلوقِ
فبياضُها وَرِقٌ وتبرٌ مُحُّها(٨) ... فى حُقّ عاجٍ بُطِّنَتْ بدَبيقى
يَغْدو علينا مَنْ طهاه بعُجْبه ... ويَرُوح بالمشوىّ والمصلوقِ
نِعَمٌ لعمرك لو تَدُومُ هنيئةً ... هل دام رزق لامرئٍ مرزوقِ
أبكى إذا أبصرتُ رَبْعَك مُوحِشاً ... بتحنُّنٍ وتأسُّفٍ وشَهيقِ
ويزيدُنى جَزَعاً لفقدك صادحٌ(٩) ... فى منزلٍ دانٍ إلىّ لصيقِ

---

(١) السالفتان : صفحتا العنق .
(٢) المفارق : جمع مفرق ، وأصله وسط الرأس الذى يفرق فيه الشعر ، والمراد هنا أعالى الرأس .
(٣) بح : جمع أبح من البحة ، وهى خشونة وغلظ فى الصوت .
(٤) الناى : من آلات اللهو أعجمى معرب ، وعربيه زمخر ومزمار .
(٥) يزقو : يصيح .
(٦) يميس : يتبختر .
(٧) ليس بالممحوق ، أى لا ينقص ولا يذهب .
(٨) المح : صفرة البيض .
(٩) صادح : وصف من قوطم : صدح الديك ، أى رفع صوته .

قَرَعَ[1] الفؤادَ وقد زَقَا فكأنه   نادى ببَـيْنٍ أو نَعِيِّ شقيـقِ
فتأسَّ فى أبداً عليـك مُواصَـلٌ   بسَوادِ ليلٍ أو بياضِ شُرُوقِ
وإذا أفاق ذوُو المصائب سَلْوَةً   وتصـبَّروا أمسيتُ غيرَ مُفيقِ
صـبراً لفقدكَ لا قِلًى لك بل كما   صَبَرَ الأسِـيرُ لشدّةٍ ومَضِيقِ
لا تبعدنّ وإن نأتْ بك نيّـةٌ   فى منزل نائى المحـلِّ سَحِيقِ[2]

ومن شعره ما كتبه إلى الوزير المهلبىّ يشكو الفأر ويصف الهرّ :

ياالحدب الظهور قصع الرقاب   لدقاق الأنياب والأذناب
خلقت للفساد مذ خلق الخلا   ق وللعيْث والأذَى والخراب
ناقبات فى الأرض والسقف والحيـ   ـطان نقبا أعيا على النقاب
آكلات كلّ المآكل لا تأ   منها شاربات كل الشراب
آلفات قرض الثياب وقد يعـ   ـدل قرض القلوب قرض الثياب
زال[3] همّى منهنّ أزرق تركى   ى السبالين[4] أنمر[5] الجلباب
ليث غاب خَلْقا وخُلُقا فمن لا   ح لعينيه خالَهُ ليث غاب
ناصب طرفه إزاء الزوايا   وإزاء السُّقوف والأبواب
ينتضى الظفر حين يظفر للصيـ   ـد وإلا فظفره فى قراب
لا يَرى أخبثيه عين ولا يعـ   ـلم ما جُنَّتاه غير التراب

---

(١) قرع الفؤاد : أتاه فجأة .
(٢) عيون التواريخ لابن شاكر فى ذكر من توفوا سنة ٣٥٦ هـ .
(٣) زال : فرق .
(٤) السبالان : الشاربان .
(٥) الأنمر : ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

قرطقوه[١] وشنَّفوه[٢] وحلَّو ه أخيراً وأوّلا بالخضاب
فهو طَوْراً يمشى بحلى عروس وهو طَوْراً يخطو على .عُنّاب
حبذا ذاك صاحبا هو فى الصحـ بة أوفى من أكثر الأصحاب[٣]

---

(١) قرطقوه : ألبسوه القرط .
(٢) شنفوه : جعلوا له شنفاً وهو القرط .
(٣) عيون التواريخ لابن شاكر ومعجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٥٥) . ومن أراد المزيد من شعره فيراجع هذين المصدرين ، ويراجع أيضاً الجزء الأول من كتابه الأغانى (ص ٢٢ إلى ٢٩ طبع دار الكتب المصرية) .

الفصل الحادى عشر

اختلاف المؤرخين فى وفاته
وتحقيق ذلك

اختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، ففى تاريخ بغداد[١] للخطيب ، وإنباه الرواة [٢] للقفطىّ ، وتاريخ ابن خلكان[٣] ، ومعجم الأدباء[٤] لياقوت ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى [٥] ، وشذرات الذهب[٦] لابن العماد الكاتب أنها سنة ٣٥٦ هـ ، وزاد ابن العماد « عن ثلاث وسبعين » نقلا عن ابن خلدون ، وزاد ياقوت « فى خلافة المطيع لله » ، وقال أبو نعيم الحافظ الأصفهانى «سنة ٣٥٧هـ [٧]» وقال ابن النديم[٨] : « توفى سنة نيّف وستين وثلثمائة »

وعلق ياقوت فى معجمه[٩] على سنة وفاته (٣٥٦) بخطه ما هو نصه :

«وفاته هذه فيها نظر وتفتقر إلى تأمل لأنه ذكر فى كتاب أدب الغرباء من تأليفه : حدّثنى صديق قال : قرأت على قصر معزّ الدولة بالشمّاسية[١٠] : يقول فلان بن فلان الهروىّ : حضرتُ هذا الموضع فى سماط معزّ الدولة والدنيا

---

(١) انظر (ج ١١ ص ٤٠٠ طبع مصر) .
(٢) انظر (القسم الخامس من الجزء الأول ورقة ٤٨٨ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية).
(٣) انظر (ج ١ ص ٤٧٦ طبع بولاق) .
(٤) انظر (ج ٥ ص ١٤٩ طبعة هندية) .
(٥) انظر (ج ٤ ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية) .
(٦) انظر (ج ٣ ص ١٩ طبع مصر) .
(٧) انظر تاريخ بغداد للخطيب (ج ١١ ص ٤٠٠ طبع مصر) .
(٨) الفهرست لابن النديم (ص ١١٥ طبع أوربا) .
(٩) معجم الأدباء (ج ٥ ص ١٤٩ طبعة هندية) .
(١٠) الشماسية : موضع قرب رصافة بغداد .

عليه مقبلة وفاصلة ، وهيبة الملك عليه مشتملة ، ثم عدت اليه فى سنة ٣٦٢ ﻫ فرأيت ما يعتبر به اللبيب – يعنى من الخراب – وذكر فى موضع آخر من كتابه هذا قصة له مع صبىّ كان يحبه ، ذكرتها بعد هذا ، يذكر فيها موت معزّ الدولة وولاية ابنه بختيار ، وكان ذلك فى سنة ٣٥٦ ﻫ ويزعم فى تلك الحكاية أنه كان فى عصر شبابه فلا أدرى ما هذا الاختلاف[١] »

ثم ساق ياقوت القصّة التى أشار إليها وأولها : « قال أبو الفرج ؛ وكنت فى أيام الشبيبة والصبا آلف فتى من أولاد الجند فى السنة التى توفى فيها معزّ الدولة وولى بختيار[٢] . . . الخ » وقد ذكرناهذه القصة فى غير هذا الموضع .

ومات السلطان معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه فى سابع عشر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ [٣] ﻫ ، فتولى السلطنة بعده عز الدولة أبو منصور بختيار .

ولو تأمل ياقوت مليًّا فيما سرد فى تاريخ أبى الفرج من أقوال العلماء والمؤرخين لتأكد بأن القصة التى ساقها عن أبى الفرج فى أيام شبيبته وصباه وذكر فيها أنه كان يحبّ فتى من أولاد الجند فى السنة التى توفى فيها معزّ الدولة وولى بختيار مختلقة أو محرّفة بدليل :

١ – قال أبو محمد المهلبىّ : سألت أبا الفرج فى كم سنة جمعت هذا الكتاب ؟ فقال : فى خمسين سنة . وأنهُ كتبه مرة واحدة فى عمره ، وهى النسخة التى أهداها إلى سيف الدولة فأنفذ له ألف دينار[٤] .

٢ – إن الخليفة الحكم الذى جمع لنفسه مكتبة خصوصية احتوت على ٤٠٠,٠٠٠ مجلد كلها من النفائس والغرر ، وأرسل إلى أبى الفرج فى طلب

---

(١) معجم الأدباء (ج ٥ ص ١٥٠ طبعة هندية) .
(٢) معجم الأدباء (ج ٥ ص ١٦٠ طبعة هندية) .
(٣) النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ١٤ طبع دار الكتب المصرية) .
(٤) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٥٠ طبعة هندية) .

نسخة من كتابه الأغانى فأرسلها إليه ، تولى خلافة الأندلس فى سنة ٣٥٠ هـ وتوفى فى سنة ٣٦٦ (١) .

فهل يعقل بعد هذا أن يكون أبو الفرج فى سنة ٣٥٦ هـ كان فى أيام شبيبته وصباه ، لا شك بأن هذا بعيد عن الحقيقة والصواب ، لأنه ثبت فى غير مرجع من مراجع كتب التاريخ أن أبا محمد الوزير المهلبى عند ما سأله فى كم سنة جمع كتابه هذا ، فذكر أنه جمعه فى خمسين سنة .

والوزير المهلبى هذا توفى سنة ٣٥٢ هـ ، كما أن الخليفة الحكم توفى سنة ٣٦٦ هـ . والحقيقة التى لا تدع مجالا للشك ومحلا لاريب أن وفاة أبى الفرج كانت سنة ٣٥٦ هـ كما ورد فى أكثر كتب التاريخ التى ذكرناها .

---

(١) تاريخ ابن خلكان (ج ١ ص ٢٠١ طبع بولاق) .

الفصل الثانى عشر

مؤلفات أبى الفرج
عن ابن للنديم والقفطى وياقوت

إنتاجه الفكرىّ :

إن محمد بن إسحاق البغدادى المعروف بابن النديم - وكان معاصراً لأبى الفرج - هو أوّل من نبه إلى إنتاج أبى الفرج الفكرىّ فروى لنا فى كتابه «الفهرست» الذى صنفه سنة ٣٧٧ ﻫ أسماء مؤلفات أبى الفرج. ولكن النسخة المطبوعة فى مدينة ليبسك (مع ما عليها من الحواشى والتعليقات باللغة الألمانية) جاء فيها نقص وتحريف وتبديل لا يدعو إلى الاطمئنان. فكان من حسن حظنا أننا وقفنا على مؤلفات أبى الفرج فى كتاب إنباه الرواة للقفطى المحفوظ منه نسخة بالتصوير الشمسى بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٧٩ تاريخ، كما وقفنا أيضاً على هذه المؤلفات فى معجم الأدباء لياقوت - وكان معاصراً للقفطى ولازمه كثيراً واستفاد من مكتبته - فرأينا أن نستخلص من هذه الكتب الثلاث صورة صحيحة لمؤلفات أبى الفرج، وإذا انفرد مؤلف منهم باسم كتاب وأغفله الآخران أشرنا أمامه اسم الذى ذكره :

١ - كتاب الأغانى الكبير. نحو خمسة آلاف ورقة.

٢ - كتاب مجرد الأغانى[1]

(١) أشار أبو الفرج إلى هذا الكتاب فى أول مقدمته لكتاب الأغانى حيث قال فى الصفحة الأولى «ولم يستوعب كل ما غنى فى هذا الكتاب ولا أتى بجميعه، إذ كان قد أفرد لذلك كتاباً مجرداً من الأخبار ومحتوياً على جميع الغناء المتقدم والمتأخر».

٣ ـ كتاب مقاتل آل أبي طالب[١]

٤ ـ كتاب التعديل والانتصاف فى أخبار القبائل وأنسابها[٢] (لم أره وبودى لو رأيته) ذكره هو فى كتاب الأغانى وهو كتاب جمهرة أنساب العرب[٣] (عن ياقوت والقفطى)

٥ ـ كتاب تفضيل ذى الحجة (عن ياقوت والقفطى)

٦ ـ كتاب أخبار القيان (عن ياقوت والقفطى)

٧ ـ كتاب الأخبار والنوادر

٨ ـ كتاب نسب بنى كلاب (عن القفطى)

٩ ـ كتاب أدب السماع .

١٠ ـ كتاب أخبار الطفيليين

١١ ـ كتاب أدب الغرباء من أهل الفضل والأدب

١٢ ـ كتاب مجموع الآثار والأخبار

١٣ ـ كتاب أشعار الإماء والمماليك

١٤ ـ كتاب الحانات (عن القفطى)

١٥ ـ كتاب الخمارين والخمارات

١٦ ـ كتاب الديارات

١٧ ـ كتاب صفة هارون

١٨ ـ كتاب الفرق والمعيار[٤] (وهى رسالة فى هارون بن المنجم) بين الأوغاد والأحرار .

---

(١) طبع هذا الكتاب بطهران سنة ١٣٠٧ هـ وطبع للمرة الثانية بمطبعة الحلبى بمصر سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) .

(٢) فى تاريخ ابن خلكان : « فى مآثر العرب ومثالبها » .

(٣) ذكره أبو الفرج فى كتابه الأغانى (ج ١٩ ص ٥٣ طبع بولاق) .

(٤) وضع أبو الحسن على بن هارون بن على المتوفى سنة ٣٥٢ معارضة عن هذا الكتاب سماها « كتاب اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط » ذكره ابن النديم فى ص ١٤٤

١٩ — كتاب دعوة النجار
٢٠ — كتاب أخبار جحظة البرمكى } (عن ياقوت)

٢١ — كتاب نسب بنى عبد شمس
٢٢ — كتاب نسب بنى شيبان
٢٣ — كتاب نسب المهالبة
٢٤ — كتاب نسب بنى تغلب } (عن ياقوت والقفطى)

٢٥ — كتاب الغلمان والمغنين (عن ياقوت والقفطى)

٢٦ — كتاب مناجيب الخصيان ، عمله للوزير المهلبى فى خصيين كانا له

ثم قال ابن النديم : وله بعد تصانيف جياد فيما بلغنى كان يصنفها ويرسلها إلى المستولين على بلاد المغرب من بنى أمية ، وكانوا يحسنون جائزته ، لم يعد منها إلى الشرق إلا القليل .

٢٧ — كتاب أيام العرب : ألف وسبعمائة يوم .

٢٨ — كتاب دعوة الأطباء .

٢٩ — كتاب تحف الوسائد فى أخبار الولائد .

٣٠ — جمع ديوان أبى تمام ولم يرتبه على الحروف ، بل على الأنواع كما هو الآن فى نسخة مصر .

٣١ — جمع ديوان أبى نواس .

٣٢ — جمع ديوان البحترى ولم يرتبه على الحروف ، بل على الأنواع كما فعل بديوان أبى تمام .

٣٣ — كتاب فى النغم (أشار اليه فى كتابه الأغانى ج ١٠ ص ٩٧ طبع دار الكتب المصرية) .

٣٤ ـ رسالة فى شرح أصوات الأغانى (أشار إليها فى كتابه الأغانى ج ٥ ص ٢٧٠ طبع دار الكتب المصرية وقد ردّ فيها على يحيى المكىّ شيخ جماعة المغنين وأستاذهم) .

٣٥ ـ كشف الكربة فى وصف الغربة (أشار إليه بروكلمان فى كتابه وقال : إنه نقله عن قائمة كتب مكتبة العرب للبستانى الصادرة فى سنة ١٩٢٣ ص ١٥٢) .

٣٦ ـ الأمالى (أشار إليه بروكلمان فى كتابه وقال: إنه نقله عن التحفة البهية للسيوطى ص ٥١)

الباب الخامس

آراء القدماء والمحدثين

في كتاب الأغاني

ويشتمل على فصلين

الفصل الأول

آراء القدماء في كتاب الأغاني

١ – رأى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة :

« لم يكن كتاب الأغانى يفارق عضد الدولة فى سفره ولا حضره ، وأنه كان جليسه الذى يأنس إليه ، وخدينه الذى يرتاح إليه (١) »

٢ – رأى أبي جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد (٢) :

« اتصل بى أن مسوّدة كتاب الأغانى ، وهى أصل أبى الفرج ، أخرجت إلى سوق الورّاقين ببغداد لتبتاع فأنفذت إلى ابن قرابة ، وسألته إنفاذ صاحبها لأبتاعها منه لى ، فجاءنى وعرّفنى أنها بيعت فى النداء (المزاد) بأربعة آلاف درهم ، وأن أكثرها فى ظهور وبخط التعليق ، وأنها اشتريت لأبى أحمد بن محمد ابن حفص ، فراسلت أبا أحمد ، فأنكر أنه يعرف شيئاً من هذا ، فبحثت كل البحث فما قدرت عليها (٣) »

٣ – رأى الوزير الصاحب بن عباد :

ألّف أبو الفرج الأصبهانى كتابه الأغانى فى أيام سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وأهداه إليه ، فأعطاه ألف دينار . ولما حدّث الوزير الصاحب

---

(١) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٥٠) .

(٢) استوزره بجكم فى سنة ٣٢٧ هـ فسعى فى الصلح بين بجكم والبريدى . وحوادث ذلك موجودة فى الجزء الثامن من تاريخ ابن الأثير (طبع أوربا) .

(٣) معجم الأدباء لياقوت .

ابن عباد بذلك قال : « لقد قصّر سيف الدولة : وإنه ليستحقّ أضعافها ، إذ كان كتابه مشحوناً بالمحاسن المنتخبة ، والفقر الغريبة ، فهو للزاهد فكاهة ، وللعالم مادّة وزيادة ، وللكاتب والمتأدّب بضاعة وتجارة ، وللملك طيبة ولذاذة . ولقد اشتملت خزائنى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميرى غيره ، ولا راقنى منها سواه .

ولقد عنيت بامتحانه فى أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يعزُب[١] عن أسماع مَنْ قرفه[٢] بذلك قد أورده العلماء فى كتبهم ففاز بالسبق فى جمعه ، وحسن رصفه وتأليفه .

ولله درّ أبي الفرج ؛ فقد أبقى له به ذكراً لا ينسى ، وبسط نمرقه لا تبلى ، ولقد جمل الدنيا بفضله الذى أظهره فيه ، فهو حقيق بتسميته (الحاوى) لا الأغانى[٣] »

ومع العلم بأن العقد الفريد من أجلّ كتب الأدب العربى وأجملها وأحواها شاردة ، وأرباها فائدة ، وأصدقها خبراً ، وأحسنها تبويباً وتفصيلا . أو هو كالخزانة حوت علوم ذلك العصر حتى الطبّ والموسيقى فضلا عن الأخبار والأنساب واللغة والأمثال والشعر وقواعده ، ويعدّ مع شهرته العظيمة فى الأدب من الأمهات التى يعتمد عليها فقد. قالوا : إن الوزير الصاحب بن عباد سمع به ، فلما حصل عليه وتأمّله قال : هذه بضاعتنا ردّت إلينا ، ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شىء من أخبار بلادهم ، وإنما هو يشتمل على أخبار بلادنا ، لا حاجة لنا فيه وردّه ، وعابه فى ذلك أبو على الحسن بن محمد التميمى القيروانىّ صاحب الرسالة التى كتبها إلى أبي المغيرة بن حزم .

---

(١) يعزب : يغيب ويخفى .

(٢) قرفه بكذا : اتهمه به .

(٣) مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى لابن منظور صاحب لسان العرب (ج ١ ص ٢ طبع مصر) .

٤ - رأى العلامة ابن عُرْس الموْصلىّ :

« كتب إلىّ أبو تغلب بن ناصر الدولة يأمرنى بابتياع كتاب الأغانى ، فابتعته بعشرة آلاف درهم ، فلما حملته إليه ووقف عليه قال : لقد ظلم ورّاقه المسكين ، وإنه ليساوى عشرة آلاف دينار ، وأمر أن يكتب منه نسخة أخرى .

وبيعت مسوّدات الأغانى وأكثرها فى ظهور بخط التعليق ، فاشتريت لأبى أحمد بن محمد بن حفص بأربعة آلاف درهم[١] » .

٥ - رأى ياقوت الحموىّ[٢] :

« ولعمرى ! إن هذا الكتاب لجليل القدر ، شائع الذكر ، جمّ الفوائد ، عظيم العلم ، جامع بين الجدّ البحت ، والهزل النحت ، وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به وطالعته مراراً ، وكتبت منه نسخة بخطى فى عشرة مجلدات ، ونقلت منه إلى كتابى الموسوم بـ (أخبار الشعراء) فأكثرت ، وجمعت تراجمه فوجدتهُ يعدُ بشىء ولا يفى به فى غير موضع منه كقوله فى أخبار أبى العتاهية : (وقد طالت أخباره هاهنا وسنذكر خبره مع عتب فى موضع آخر) ولم يفعل ، وقال فى موضع آخر[٣] : (أخبار أبى نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدّمت[٤]) ولم يتقدّم شىء إلى أشباه لذلك ، والأصوات المائة هى تسع

---

(١) عيون التواريخ لابن شاكر .

(٢) هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الجنس ، الحموى المولد ، البغدادى الدار ، الملقب شهاب الدين . ولد فى حماه سنة ٥٧٤ وتوفى بحلب سنة ٦٢٦ هـ . كان وراقاً ، محباً لمطالعة الكتب فحصل فوائد كثيرة ومعارف واسعة . وهو صاحب التصانيف النافعة المفيدة التى تعد من أمهات الكتب النفيسة ، منها : معجم البلدان الذى اشتهر به ، وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ويعرف بمعجم الأدباء (راجع ترجمته فى تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٢٧٧) .

(٣) راجع كتاب الأغانى (ج ٣ ص ١٨٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) راجع كتاب الأغانى (ج ١٨ ص ٢ طبع بلاق) .

وتسعون ، وما أظنّ إلا أن الكتاب قد سقط منه شىء أو يكون النسيان غلب عليه . والله أعلم (١)) .

٦ — رأى العلامة العينى :

وذكر العلامة العينى فى «عقد الجمان» أثناء كلامه عن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب ما نصه :

« وكان ملكاً جواداً شجاعاً فاضلا أديباً شاعراً ، يحبّ أهل العلم والفضل والأدب ، وهو الذى انتهى إليه كتاب الأغانى الكبير الذى ألفه أبو الفرج الأصبهانى فى أيامه وقدّمه إليه ، فأعطاه ألف دينار ، واتفقت الناس أنه لم ينصفه فيه .

وقيل : إنه لما وقف عليه الوزير ابن عباد ورأى ما فيه من محاسن الأدب والنوادر العجيبة قال : والله إن سيف الدولة يوصف بسماحة ، وليس هو كما يقال عنه لكونه لم يجز مؤلف هذا الكتاب إلا بألف دينار ، وكان يحقّ له أن يجيزه عن كلّ جزء بألف دينار ، وكان قد وصل إليه فى خمسين جزءاً ، وقال : إنّ خزانة كتبى تشتمل على مائة ألف وسبعة عشر ألف سفر ، فمذ وقع لى هذا الكتاب أغنانى عن جميعها (٢) ... الخ »

٧ — رأى العلامة ابن منظور (٣) صاحب لسان العرب :

وقال ابن منظور مؤلف لسان العرب فى مقدمة كتابه : « مختار الأغانى فى

---

(١) راجع معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٥١ طبع هندية)

(٢) راجع القسم الثانى من الجزء التاسع عشر (ورقتا ٢٠٤ و ٢٠٥) من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ

(٣) هو العلامة اللغوى محمد بن مكرم بن على بن أحمد الأنصارى جمال الدين أبو الفضل المعروف بابن منظور . ولد سنة ٦٣٠ ھ وتوفى سنة ٧١١ ھ . خدم فى ديوان الإنشاء بمصر مدة عمره وولى قضاء طرابلس . روى عنه السبكى والذهبى . كان علامة عصره وناضرة مصره فى علوم اللغة والتاريخ والنحو والإنشاء والأدب . ورزق من سعة المحفوظ وغزارة المادة وسرعة الخاطر

الأخبار والتّهانى [1]» : «أقدّم هنا حكاية وجدتها فى آخر مختصر من هذا الكتاب ، اختصره الرشيد أبو الحسين أحمد بن الرشيدى الزبير ، وهى : قال أبو محمد الحسن بن محمد المهلبىّ : سألت أبا الفرج الأصبهانىّ : فى كم جمع كتابه الأغانى ؟ وذكر أنه جمعه فى خمسين سنة ، وقال أبو الفرج : إنه كتب الأغانى فى عمره مرّة واحدة وأهداه إلى سيف الدولة فأنفذ له ألف دينار .

ولقد كان عضد الدولة لا يفارقه فى سفره ولا حضره ، ولقد كان جليسه الذى يأنس به ، وخدنه الذى يرتاح إليه ، فزاده بذلك شرفاً إلى شرفه ، ونبلا إلى نبله .

قال أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد : اتصل بى أن أصل أبى الفرج وهو مسوّدة الأغانى أخرجت إلى سوق الورّاقين لتباع ، وأنها بلغت فى النداء (المزاد) أربعة آلاف درهم . وأن أكثرها فى ظهور وبخط التعليق وأنها اشتريت لأبى أحمد محمد بن حفص . . . إلخ »

فى الكتابة ما لا يكاد يصدق ، وله عدة مؤلفات نافعة أشهرها كتابه (لسان العرب) وهو أوسع المعاجم العربية مادة ، وأعظمها شأناً ، وأتمها نقلا وأصحها ضبطاً (راجع ترجمته فى فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٣١ ونكت الهميان للصفدى ص ٢٧٥ وبغية الوعاة ص ١٠٦ والمنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب ص ١٧٥، ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٠٦) .

(١) يوجد منه بدار الكتب المصرية الجزء الثانى أوله : حرف الباء وقعة بدر ، وينتهى إلى أثناء الكلام على ترجمة حمزة بن بيض الحنفى الشاعر من حرف الحاء فى ثلاثة مجلدات محفوظة برقم ٤٦٤٦ أدب، وهى مأخوذة بالتصوير الشمسى عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة كوبريلى بالآستانة . ثم الجزء الثانى أيضاً من أول حرف الباء وينتهى إلى أثناء حرف الجيم وهو مأخوذ بالتصوير الشمسى عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة المجلس البلدى بالاسكندرية وهى بخط ولده عبد الله على بن المكرم بن على بن أحمد الأنصارى ، فرغ من كتابتها فى الرابع من شهر ربيع الأول سنة ٦٨٣ فى ١٧٥ لوحة وكل لوحة تشتمل على صفحتين فى حجم الربع فى مجلدين . ثم ثلاثة مجلدات تبتدئ من أول حرف الحاء إلى حرف الميم آخره المغيرة الأقيشر ، وهى مأخوذة بالتصوير الشمسى عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة الأزهر برقم ٥٥٠٣ أدب . وقد طبع الجزء الأول من هذا الكتاب بالمطبعة السلفية بمصر (سنة ١٣٤٥ ﻫ ١٩٢٧ م) وينتهى إلى آخر أخبار إسحاق الموصلى .

وقال أيضاً فى كتابه « أخبار أبى نواس » : « هذه الترجمة ترجم عليها أبو الفرج رحمه الله تعالى بما صورته :

(أخبار أبى نواس وجنان خاصّة ، إذ كانت أخباره قد ذكرت متقدماً) ولم أجد لأبى نواس ترجمة مفردة فى نسخ الأغانى التى وقفت عليها ، وما أدرى ؟ هل أغفل أبو الفرج ذكره من كتابه ، أم سقطت من كتابه بعده ؟ وليت شعرى إذا أغفل أبو الفرج ذكر أبى نواس من كتابه فمن ذكر ؟ ! على أن أبا الفرج ليس ممن يجهل قدر أبى نواس فى فضله ونبله وجدّه وهزله وسائر فنونه من صدقه ومجونه ، وإنه لطراز الكتب ، بل علم أهل الأدب[١] »

٨ ـ رأى العلامة ابن تغرى بردى :

« وكتاب الأغانى فى غاية الحسن[٢] »

٩ ـ رأى العلامة ابن خلدون[٣] :

« وقد ألف القاضى أبو الفرج الأصبهانى وهو ما هو كتابه فى الأغانى ، جمع أخبار العرب وأشعارهم ، وأنسابهم ، وأيامهم ، ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء فى المائة صوت التى اختارها المغنون للرشيد ، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه »

(١) راجع أخبار أبى نواس لابن منظور المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩٣ تاريخ ، وقد طبع الجزء الأول منها بمصر .

(٢) راجع النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) هو الإمام العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الحضرمى الملقب بولى الدين المعروف بابن خلدون . المولود سنة ٧٣٢ بتونس والمتوفى بالقاهرة فجأة سنة ٨٠٨ هـ ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر . كان إمام المؤرخين فى وقته ، وكتابه العبر مؤلف جليل نفيس ، ذائع الشهرة ، ومقدمته المعروفة أجل ما كتب فى فلسفة التاريخ بالعربية ، وقد ترجمت إلى عدة لغات . (راجع ترجمته فى الضوء اللامع ج ٤ ص ١٤٥ طبع مصر ، وشذرات الذهب ج ٧ ص ٧٦ طبع مصر ، ونيل الابتهاج ص ١٦٩ ، والمنهل الصافى ج ٣ ص ٣٠٠ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية ، والخطط التوفيقية ج ١٤ ص ٥ طبع بولاق) .

ولعمرى إنه ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التى سلفت لهم فى كلّ فنّ من فنون الشعر ، والتاريخ ، والغناء ، وسائر الأحوال ، ولا يعدل به كتاب فى ذلك فيما نعلمه ، وهو الغاية التى يسمو إليها الأديب ، ويقف عندها [١] »

١٠ – رأى العلامة طاشكبرى [٢] زاده :

« كتاب الأغانى الذى وقع الاتفاق على أنه لم يعمل فى بابه مثله ، يقال : إنه جمعه فى خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه . وحكى عن الصاحب بن عباد أنه كان فى أسفاره وتنقلاته يستصحب ثلاثين جملا من الكتب ، فلما وصل إليه كتاب الأغانى استغنى به عنها [٣] »

١١ – رأى العلامة كاتب جلبى [٤] :

« الأغانى لأبى الفرج على بن الحسين الأصبهانى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ،

---

(١) الجزء الأول من تاريخه (المقدمة) ص ٤٨٦ طبع بولاق سنة ١٢٨٤ .

(٢) هو العلامة عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصلح الدين مصطفى بن خليل المشهور بطاش كبرى زاده . ولد سنة ٩٠١ هـ ، وتوفى سنة ٩٦٨ هـ اشتغل مدرساً بقسطنطينية ٩٣٣ ، وتنقل إلى عدة مدارس فى بلاد الروم يدرس بها إلى أن صار قاضياً ببروسة سنة ٩٥٢ هـ . ثم قلد قضاء قسطنطينية واشتغل فى إجراء الأحكام الدينية إلى أن عرضت له عارضة الرمد فأضرت عينيه . وكان بحراً فى المعارف والعلوم . وله عدة مؤلفات نافعة مفيدة أشهرها كتاب «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» وهو يبحث فى أنواع العلوم وضروبها وموضوعاتها وما اشتهر من المصنفات فى كل فن مع نبذ من تواريخ مصنفيها (راجع ترجمته فى الشقائق النعمانية ج ٢ ص ٢٧٧ ، والعقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم ج ٢ ص ١٩٩ ، والفوائد البهية ص ٧١ فى التعليقات) .

(٣) راجع كتابه مفتاح السعادة (ج ١ ص ٢٥) .

(٤) هو المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطينى مولداً ومنشأ ، الشهير بحاجى خليفة هكذا ذكر عن نفسه فى كشف الظنون فى كلامه على كتابه تقويم التواريخ فى حرف التاء ويعرف أيضاً بكاتب جلبى ، وشهرته بحاجى خليفة لأنه كان الخليفة الثانى فى ديوان المحاسبة ، وحرفه الإفرنج بحاجى خلفه أو قلفه . ولد بالقسطنطينية سنة ١٠٠٠ وتوفى سنة ١٠٦٧ كما فى جميع تراجمه أو سنة ١٠٦٨ كما فى السجل العثمانى . ويعتبر كتابه «كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون» من أمهات الكتب النفيسة التى يرجع إليها فى أسماء المؤلفات العربية . (راجع ترجمته فى قاموس الأعلام (التركى) ج ٥ ص ٣٨٠٦ ، وأسامى للمعلم ناجى ص ٢٦١ ، والسجل العثمانى ٤٢٠ ص ٣٩٥ ، والفوائد البهية ص ١٩ فى التعليقات) .

وهو كتاب لم يؤلف مثله اتفاقاً . قال أبو محمد المهلبىّ : سألت أبا الفرج فى كم جمع هذا الكتاب ؟ فذكر أنه جمعه فى خمسين سنة ، وأنه كتبه فى عمره مرّة واحدة بخطه ، وأهداه إلى سيف الدولة ، فأنفذ له ألف دينار . ولما سمع الصاحب ابن عباد قال : « لقد قصر سيف الدولة وإنه ليستحقّ أضعافها إذ كان مشحوناً بالمحاسن المنتخبة ، والفقر الغريبة ، فهو للزاهد فكاهة ، وللعالم مادّة وزيادة ، وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة ، وللبطل رجلة وشجاعة ، وللمتظرّف[1] رياضة وصناعة ، وللملك طيبة ولذاذة .

ولقد اشتملت خزانتى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميرى غيره ، ولقد عنيت بامتحانه فى أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يعزب[2] عن أسماع من قرفه[3] بذلك قد أورده العلماء فى كتبهم ففاز بالسبق فى جمعه ، وحسن وضعه وتأليفه » .

ولقد كان عضد الدولة لا يفارقه فى سفره ولا فى حضره . ولقد بيعت مسوّدته بسوق بغداد بأربعة آلاف درهم .

وذكر ابن خلكان أن الصاحب بن عباد كان يستصحب فى أسفاره حمل ثلاثين جملا من كتب الأدب ، فلما وصل إليه هذا الكتاب لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عنها .

وقد اختار منه جماعة منهم الوزير الحسين بن على بن حسين أبو القاسم المعروف بابن المغربى المتوفى سنة ٤١٨ هـ .

والقاضى جمال الدين محمد بن سالم المعروف بابن واصل الحموى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ . والرشيدى أبو الحسين أحمد بن الرشيد بن الزبير . وأبو القاسم

---

(١) فى كشف الظنون . « وللمضطرب » والتصويب عن كتاب تجريد الأغانى لابن واصل الحموى.

(٢) فى كشف الظنون . « بعز » والسياق يقتضى ما أثبتناه

(٣) فى كشف الظنون . « فرقه » وهو تحريف .

عبد الله بن محمد المعروف بابن باقيا الكاتب الحلبى المتوفى سنة ٤٨٥ هـ ، والأمير عزّ الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحرانى المسبِّحى الكاتب المتوفى سنة ٤٢٠ هـ ، وجمال الدين محمد بن المكرَّم الأنصارى المتوفى سنة ٧١١ هـ ، ومختاره مرتب على الحروف سمّاه : مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى[1] » .

---

(١) راجع كشف الظنون لكاتب جلبى (ج ١ ص ١٢٦ طبع الآستانة) .

الفصل الثانى

آراء المحدثين فى كتاب الأغانى

١ – رأى الكاتب المؤرخ المرحوم جرجى زيدان(١) :

« كتاب الأغانى هو أشهر من أن يعرف . وقد وقع الاتفاق على أنه لم يعمل مثله فى بابه . ويقال : إنه اشتغل فى جمعه وتأليفه نحو خمسين سنة . وبلغ خبره إلى الحكم بن الناصر صاحب قرطبة وهو أموىّ مثله ، فسأله أن يرسل الكتاب إليه قبل إخراجه لبنى العباس وبذل له فى ذلك ألف دينار . ولما تمّ تأليفه حمله إلى سيف الدولة بن حمدان فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه ، ولم يبق أحد من أمراء ذلك العصر إلا اقتناه ليستغنى به عن سواه ، وقد علمت أن الصاحب بن عباد كان إذا سافر حمل كتبه على عشرات من الجمال فلما اقتنى كتاب الأغانى استغنى به عنها .

وهو أجزاء كثيرة وصل إلينا منها ٢١ جزءاً فى نحو ٤٠٠٠ صفحة . واسم الكتاب يدل على المراد بوضعه فى الأصل ، نعنى « الأغانى » فصدّره بمئة صوت كان الرشيد أمر إبراهيم الموصلىّ مغنيه وغيره أن يختاروها له . ثم وقعت للواثق بعده فأمر إسحاق بن إبراهيم ، فاختار له منها ما رأى أنه أفضل وأضاف

(١) جرجى زيدان : ولد فى بيروت ، واجتهد حتى أجاد العربية والإنجليزية واللاتينية وأصاب حظاً من الطب ، ثم غلبت عليه الكتابات الأدبية والتاريخية واللغوية وقام بعمل شاق فى ذلك حتى أنشأ الهلال وألف تاريخ آداب اللغة ومختصره وكتباً تاريخية واجتماعية وعدة روايات كذلك . وأسلوبه من النوع السهل الذى يقصد إلى أداء المعنى . توفى سنة ١٩١٤ م .

إليها أشياء أخرى ، فسار أبو الفرج على هذه الخطة معوّلا على ما اختاره غير هؤلاء أيضاً من أهل العلم بصناعة الغناء .

وقد يعترض على وضع هذا الكتاب بين كتب الأدب إذ يجدر به أن يكون بين كتب الموسيقى لكن أهميته قائمة بما فيه من الأخبار والأشعار لأن المؤلف إذا ذكر أبياتاً على لحن وعين نغمها ومن غناها استطرد إلى ذكر ناظمها وترجمته والأحوال التي قيلت فيها من حرب أو حب في الجاهلية أو الإسلام ، ومن غناها ومن شهد ذلك وأسبابه وأحواله ، فيورد تفاصيل ذلك بالدقة والإسناد . فاحتوى الكتاب على أخبار مئات من الشعراء والأدباء والمغنين والعشاق والخلفاء والقوّاد ، وأكثر أيام العرب وأخبار قبائلهم وأنسابهم ووقائعهم وغزواتهم ومياههم ، وفيه خير أشعار الجاهلية والإسلام ولا سيما ما كانوا يغنون به ، وآداب القوم في طعامهم وشرابهم واجتماعهم وحروبهم وزواجهم وطلاقهم وسائر أحوالهم . فأهمية هذا الكتاب متوقفة على ما حواه من تلك التراجم والأخبار ويكاد يكون منفرداً بها . ولولاه لضاع كثير من أخبار الجاهلية وصدر الإسلام وأيام بني أمية .

وهو ثقة لتدقيقه وتمحيصه لأنه لا يكتفي بالإسناد إلى الرواة ، بل هو ينتقدهم ويبين أوجه الخطأ أو المناقضة بين رواياتهم ثم يرجع إلى رأيه ، وكان أشدّ وطأة في النقد على ابن خرداذبه وابن الكلبي مما على سواهما . وفي مروياته كثير من الأخبار والحوادث تلقنها عن أناس عاصروه فحدّثوه بما علموه فدوّنه وهو منفرد بتدوينه وأخذ عن كتب ضاعت[١] »

٢ — رأي الكاتب المحقق المرحوم أحمد زكي باشا :

« وأذكر الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ وهو كتاب لم يؤلف مثله اتفاقاً ، قال أبو محمد المهلبيّ : (سألت أبا الفرج

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية (ج ٢ ص ٢٨١ — ٢٨٢ طبع مصر سنة ١٩١٢) .

فى كم جمع هذا ، فذكر أنه جمعه فى خمسين سنة ، وأنه كتبه فى عمره مرة واحدة بخطه وأهداه إلى سيف الدولة فأنفذ له ألف دينار . ولما سمع الصاحب ابن عباد قال : لقد قصر سيف الدولة وأنه ليستحقّ أضعافها إذ كان مشحوناً بالمحاسن المنتخبة ، والفقر الغريبة ، فهو للزاهد فكاهة ، وللعالم مادّة وزيادة ، وللكاتب والمتأدّب بضاعة وتجارة ، وللبطل رجلة وشجاعة ، وللمضطرب رياضة وصناعة ، وللملك طيبة ولذاذة . ولقد اشتملت خزانتى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميرى غيره . ولقد عنيت بامتحانه فى أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يعزُب عن أسماع من قرّفه بذلك قد أورده العلماء فى كتبهم ففاز بالسبق فى جمعه وحسن وضعه وتأليفه . ولقد كان عضد الدولة لا يفارقه فى سفره ولا حضره ولقد بيعت مسودته بسوق بغداد بأربعة آلاف درهم) اه.

وهاك بعض عبارات منقولة من ذلك الكتاب النفيس تدلّ على موضوعه وفوائده قال : إنه (جمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغانى العربية قديمها وحديثها ونسب كلّ ما قاله منها إلى قائل شعره وناظم لحنه . . . واعتمد فى هذا الباب على ما وجد لشاعره أو مغنيه ، أو السبب الذى من أجله قيل الشعرُ ، أو صُنع اللحنُ خبراً يستفاد . . . وأتى فى كل فصل بنتف تشاكله ، ولمع تليق به ، وفقر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلا بها من فائدة إلى مثلها ، ومتصرفاً بها بين جدّ وهزل ، وآثار وأخبار ، وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة ، وأخبارها المأثورة ، وقصص الملوك فى الجاهلية ، والخلفاء فى الإسلام ، تجمل بالمتأدّبين معرفتها ، وتحتاج الأحداث إلى دراستها ، ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها ، إذ كانت منتخلةً من غرَر الأخبار ومنتقاةً من عيونها ، ومأخوذةً من مظانها ، ومنقولةً عن أهل الخبرة بها [1] »

وذكر ابن خلكان : أن ابن عباد كان يستصحب فى أسفاره حمل ثلاثين

---

(١) راجع الجزء الأول من كتاب الأغانى ص ١ و ٢ طبع دار الكتب المصرية .

جملا من كتب الأدب فلما وصل اليه هذا الكتاب لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عنها ، وقد اختار من هذا الكتاب جماعة من العلماء والأمراء واعتنى به أهل الأدب عناية كبيرة حتى إن بعضهم اختصره ورتبه على حروف المعجم ، وقد طبع فى بولاق فى عشرين جزءاً واختصره فى هذه الأيام جماعة اليسوعيين وسمّوه « رنات المثالث والمثانى فى روايات الأغانى» وقسموه إلى جزءين الأوّل : فى أخبار المغنين والشعراء (الروايات الأدبية) والثانى : فى أيام حروب العرب قبل الجاهلية والإسلام (الروايات التاريخية (١)) » .

٣ ـ رأى صاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا :

ويعدّ كتاب الأغانى أكبر مدرسة تخرّج فيها أعلام البيان ، ومشاهير الكتاب الذين عرفوا بالأدب العالى ، والفنّ الممتاز فى أزهى العصور الإسلامية حتى الآن ، وليس أدلّ على هذا ولا أبلغ فى الاستشهاد ما كتبه عميد الأدب العربى وزعيم الأدباء فى هذا العصر صاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا إلى إمام البيان الكاتب البليغ والمصوّر المبدع المرحوم الأستاذ عبد العزيز البشرى وما امتاز به أدبه عن سواه من الكتاب ، فقد وصفه بقوله : « إنه بغدادىّ الأدب كأشدّ ما يمكن أن يكون الأديب بغدادياً ، قد عاشر أبا الفرج الأصبهانى وأصحابه فأطال عشرتهم ، وتأثر بهم ، وانطبعت نفسه وعقله ولسانه بطابعهم ، فهو إذا تحدث إلى المثقفين ، تحدّث بلغة الأغانى ، لا يكاد يصرفه عن هذه اللغة صارف (٢) » .

وقال ـ أطال الله بقاءه للانتفاع بعلمه الغزير وأدبه الجمّ ـ فى مدح كتاب الأغانى أيضاً فى مناسبة أخرى : « وأن يقدر هذه النعمة الجزيلة التى أتيحت لهم حين حفظ الدهر لهم كتاب الأغانى ، لأنه الكتاب الوحيد الذى يتخذونه

---

(١) موسوعات العلوم العربية (ص ٤٠ – ٤٢) .

(٢) مقدمة المختار للأستاذ عبد العزيز البشرى ص « و »

مصادر خير لمن يريد منهم أن يدرس الحياة الأدبية والاجتماعية فى عصر الدولتين الأموية والعباسية [١] » .

وقال أيضاً — أدامه الله ذخراً للعلماء والأدباء — :

« لذيذة جداً قراءة الأغانى فى أرض ما أحسب أنه قرئ فيها قبل اليوم ، فى أقصى الغرب الفرنسى ، نعم ! فقد اصطحبت معى هذا الكتاب وما قرأت فيه يوماً إلاّ ذكرت قصة ذلك القديم الذى كان كلما ارتحل اصطحب أجمالا تحمل له ما يحتاج اليه من الكتب فى رحلته . فلما ظهر كتاب الأغانى استغنى عن تلك الأجمال وما كانت تحمل من أسفار واكتفى باصطحاب هذا الكتاب .

أذكر هذه القصة كلما قرأت فى كتاب الأغانى ، وليس يعنينى أن تكون القصة صحيحة أو غير صحيحة ، ولكنى أؤكد أن فى هذا الكتاب ما يغنى عن الأجمال وعما يمكن أن تحمل من أسفار ، وأن من اليسير جداً أن يستغنى به الباحث عن كثير من كتب الأدب والتاريخ ، ولكن شأن الأغانى فى هذه الأيام كشأن غيره من كتب الأدب والتاريخ التى تركها لنا القدماء ، فهو — كهذه الكتب — فى حاجة شديدة جداً إلى أن يقرأ وإلى أن يفهم ، وإلى أن يستخلص منه العلم على النحو الذى يلائم العقول فى هذا العصر الذى نعيش فيه .

ولقد يكون من الحق أن كثيراً من الشبان والشيوخ فى مصر وفى غيرها من البلاد الشرقية يستطيعون أن يقرءوا هذا الكتاب وغيره من كتب الأدب والتاريخ دون أن يستفيدوا منها فائدة قيمة ، ذلك أن اختلاف العصور شديد الأثر فى العقول وفى حاجاتها وفى استعدادها للفهم والدرس ، فقد كان القدماء يجدون فى أخبار أبى الفرج وفى أخبار الطبرى ما يكفيهم ويسد حاجتهم إلى الحفظ والرواية ، وكان ما كتب أبو الفرج والطبرى وغيرهما من الأدباء والمؤرخين

(١) راجع حديث الأربعاء لصاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا (ج٢ ص١٣٠).

ملائماً كل الملاءمة لعقول هؤلاء الناس الذين كانوا لا يبتغون من الأدب والتاريخ مثل ما نبتغى نحن الآن .

والذين كانوا يستطيعون أن يتركوا عقولهم ومنطقهم إذا عرض القرّاء مثل هذه الكتب ، وألاّ يعتمدوا على هذه العقول ولا على هذا المنطق إلاّ إذا عرضوا للفلسفة أو الكلام أو الفقه أو نحو ذلك من العلوم التى تحتاج إلى النظر وتدعو إلى الجدال .

كانوا يعتمدون فى قراءة الأدب والتاريخ على الرواية من جهة ، وعلى الذوق من جهة أخرى ، وكانوا يرضون الرضا كله إذا رويت لهم الأخبار عن هؤلاء الثقات الذين اعتمد عليهم القدماء فى نقل السير والأخبار ، كما كانوا يرضون الرضا كله إذا وقعت إليهم القصيدة الجيدة أو المقطوعة المختارة فلاءمت أذواقهم ومثلهم الأعلى فى الفنّ .

أما نحن فأشدّ من هؤلاء القدماء طمعاً ، وأكثر منهم تحفظاً ، لا تكفينا أسماء الثقات من الرواة ، ولا يكفينا جمال القصيدة وجوْدة المقطوعة ، وإنما نريد أن نتخذ كلّ شىء موضوعاً للبحث والنقد والتحقيق والتحليل ، ولا نكاد نفرّق فى ذلك بين الأدب والعلم . ونحن محقون لأننا لا نبتغى من الأدب والتاريخ رواية الأعاجيب والعظات ، ولا إرضاء الذوق والميل الفنى ، وإنما نتخذ الأدب والتاريخ مرآة للأمم ، وسبيلا إلى فهم حياتنا العقلية والشعرية ، وإلى فهم ما خضعت له من ألوان النظم المختلفة ، وإذن فنحن أشدّ طمعاً من القدماء ، وأكثر منهم حرصاً على التحقيق وميلا إلى التحليل .

وإذن فليس يكفينا أن نقرأ الأغانى وتاريخ الطبرى ، وإنما نريد أن نفهم هذين الكتابين وأمثالهما على الوجه الذى يلائم طريقتنا فى الفهم ، ومنهجنا فى الدرس والتحليل .

ومن هنا لا يجد القرّاء جميعاً لذّة ، ولا مقنعاً فى قراءة كتب القدماء ،

لأنهم جميعاً لا يملكون مناهج البحث القيم عن آثار القدماء .

ومن هنا كان من الحقّ أن نقول : إن كتاب الأغانى وتاريخ الطبرى وأمثالها ليست كتب أدب وتاريخ ، وإنما هى مصادر للأدب والتاريخ . ومن هنا نستطيع أن نقول : إن اللغة العربية تخلو إلى اليوم وستخلو من كتب الأدب والتاريخ إلى أن يتيح لها الله كتباً فى هذين الفنين تلائم عقولنا الحديثة ، وتحقق أطاعنا الحديثة ، وترضى حاجتنا العلمية والفنية [1] »

٤ — رأى الكاتب الكبير الأستاذ محمد كرد على فى (نقد كتاب الأغانى ورواياته) :

ويجمل بنا أن ننقل فى هذا المقام كلمة لسعادة الكاتب الكبير الأستاذ محمد كرد على كتبها عن عصر المأمون للدكتور أحمد فريد رفاعى بك ، وجاء بها نقد كتاب الأغانى ورواياته ، حرصاً منا على نقل آراء المؤرخين والكتّاب قديماً وحديثاً فى أبى الفرج وكتابه الأغانى ، قال :

« لا جرم أن هذه الصفحة الكبيرة من تاريخ العرب خليقة بالدرس والتأمل كلّ حين ، لأنها ثمرة نضج العقل الإسلامى الذى ينادى على وجه الدهر ، بلسان الحال والمقال ، إن الأمة التى استطاعت منذ أكثر من ألف عام أن تعمل للحضارة هذه الأعمال الجسام ، مستعدّة فى كل زمن أن تأتى بمثلها أو أحسن منها ، وما رأيت — شهد الله — فى كتابك بجملته وتفصيله ، ما يصحّ أن تؤاخذ عليه إلا تصويرك بعض أدوار الأمويين فى صورة باهتة استندت فى أخذ بعض خطوطها وأشكالها على مؤلفين متعصّبين ، كاليعقوبى وابن الطقطقى والمسعودى والأصفهانى ممن لم تكد تسلم نفوسهم من الشعوبية وكان التشيع غالباً عليهم ، فكتبوا ما كتبوا مدفوعين بعوامل سياسية ، وجوّزوا بثّ دعوتهم بأنواع من التحيل والتلفيق .

وإن من يسبّون الشيخين وابنتيهما الطاهرتين سباً قبيحاً ، ويتعبدون الخالق

---

(١) حديث الأربعاء (ج ٢ ص ١٣ – ١٤ طبع مصر سنة ١٩٢٦) .

بذلك ، وينعتون الخليفتين الأوّلين (بصنمى قريش) وهما ما هما من المكانة المجمع عليها فى الإسلام ، يغضّون ولا يبالون من بنى أمية ، وهناك الدماء المطلولة ، والطوائل المتأصلة ، والملك المستأثر به ، والأهواء التى جعلوا من أركانها الإنحاء على كلّ من لم يشايعهم ، وإن من تجنوا بنشر نحلتهم ، والدافع إليها الدنيا لا الدين ، جنوا وأىّ جناية على الدين والدنيا ، ومن أشنع أعمال المنحرفين عن بنى أمية وضع الأحاديث الملفقة على الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن خلقوا ما قالوا على الدين وصاحبه ، كيف يجدون حرجاً فى اختلاق الأكاذيب على الأمويين ؟ وفى يقينى أننا لو حاسبنا الأمويين والعلويين حساباً تاريخياً دقيقاً ، لأثبتنا لكل منهم حسنات وسيئات ، وما خرجوا كلهم عن البشرية ، يعشقون الدنيا ويقاتلون منافسيهم عليها ، والتفاوت بين الفريقين فى الأثر الذى أثره كل منهم فى كيان الأمة ، أما العصمة فالشرع والعقل لم يثبتاها لأحد من الناس ، على نحو ما يحاول الطالبون أن يثبتوها لأئمتهم ، ويقولون فى غيرهم ما قاله مالك فى الخمر .

لا يحكم التاريخ على الناس إلا بأعمالهم ، وأعمال الأمويين التى اعتزّ بها الإسلام والعرب ماثلة للعيان على الزمان ، فما هى يا ترى أعمال من سوّدوا صحيفتهم ظلماً وعدواناً ، وبالغوا فيما هم بسبيله حتى خرجوا عما يقول العدوّ فى عدوّه ، فأخرجوهم عن الملة ، وقضوا بأن شيعتهم المغموطة الحق ، المثلوبة التراث ، من عنصر الملائكة الكروبيين أو أعلى من ذلك .

وأرى يا صاح ألاّ تغتر أيضاً بما نسب لبعض المشاهد مما فيه تنقيص بنى أمية . فرسالة الجاحظ التى استشهدت بها وأنت شاكّ فى نسبتها إليه ، قد تضمنت إقذاعاً بخلفائهم ، لا تثبت بالنقد الصحيح أنها من تأليفه ، وهو إمام العقل والعلم ، فقد نسبوا للجاحظ عدّة رسائل ، ومنها رسالة الأخلاق التى نشرتها منذ مدّة ، وترجح بعد حين أنها ليحيى بن عدىّ ، وقد انتحلها أيضاً

محيى الدين بن عربى فى فتوحاته ، ومما نحلوه لأبى عثمان رسالة مناظرة الربيع والخريف المطبوعة فى مطبعة الجوائب بفروق وبأقل تأمل تعرف أنها من كتابة القرن الحادى عشر أو الثانى عشر للهجرة . وكم من رسالة أو كتاب نحلت للمشهورين من سلف الأمة ، ولكم نسبت إليهم أقوال ما خطرت لهم ببال . إن رسالة الجاحظ هذه التى وضعها من دسوا كثيراً من الجمل فى نهج البلاغة تأييداً لسياستهم قد قصدوا بها شيئين : ترويج النغمة التى يضربون على أوتارها ليهزّوا بها أوتار القلوب الموافقين والمخالفين ، ثم الحطّ من مرتبة الجاحظ فى نظر العقلاء .

وما قلته فى بعض المصادر الشعوبية الشيعية أجهر به ، ولا دهان فى الحقّ ولا هوادة عند الحكم على بعض الكتب التى اعتمدت ، وكان الأولى الرجوع إلى الأصول المنقولة منها ، مثل : « تاريخ التمدن الإسلامى » و « مجانى الأدب » و « مشاهير الإسلام » . ثم إن روايات « الأغانى » و « حلبة الكميت » و « المستطرف » ليست مما يعتمد عليه فى تحليل أخلاق خليفة ، ذلك لأن العقل يردّ الأقاصيص الموضوعة على يزيد بن عبد الملك واستهتاره بغرام سلامة وحبابة مما رواه الأصفهانى ليسلى قراءه بالغرائب ، كما روى خبر تشبيب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية وما إلى ذلك . والعقل يردّ كل الردّ ما اتهم به الوليد بن يزيد فى خمرياته التى فاقت كما قلت خمريات يزيد بن معاوية [1] . . . الخ »

٥ — رأى الكاتب الاجتماعى الكبير الدكتور زكى مبارك :

١ — من مشاهير الكتاب فى القرن الرابع أبو الفرج الأصبهانى المتوفى سنة ٣٥٦ فى خلافة المطيع لله ، والأصبهانى هذا يعدّ فى رأيى أكبر مؤلف عرفته

(١) مجلة المجمع العلمى العربى الجزء الثالث من المجلد الثامن الصادر فى آذار سنة ١٩٢٨ .

اللغة العربية ، ولا يوجد فى المؤلفين من بعده منْ لم يعوّل عليه ، ويندر أن نجد باحثاً فى تاريخ الأدب أو تاريخ الإسلام لم يتخذ كتاب الأغانى مرجعاً له ، والأغانى هذا كتاب عظيم فى ٢١ مجلداً ألفه الأصبهانى فى خمسين سنة وكتبه مرّة واحدة فى عمره وأهداه إلى سيف الدولة بن حمدان .

٢ — وشهرة الأصبهانى وكتابه مستفيضة فلا حاجة لإعادة ما يعرفه الناس ، وإنما أريد هنا أن أنصّ على ناحيتين فى الأصبهانى وكتابه لم أجد من تنبه لهما من الباحثين ، ولهاتين الناحيتين أهمية عظيمة فى فهم الحياة الأدبية ، وسيكون لهما أثر عظيم فى دعوة المؤلفين إلى الاحتياط حين يرجعون إلى كتاب الأغانى يتلمسون الشواهد فى الأدب وفى التاريخ .

الناحية الأولى خاصّة بالأصبهانى : تلك الناحية هى خلقه الشخصى فقد كان الأصبهانى مسرفاً أشنع الإسراف فى اللذّات والشهوات ، وقد كان لهذا الجانب من تكوينه الخلقى أثر ظاهر فى كتابه ، فإنّ كتاب الأغانى أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون ، وهو حين يعرض للكتاب والشعراء يهتمّ بسرد الجوانب الضعيفة من أخلاقهم الشخصية ، ويهمل فى الجوانب الجدية إهمالا ظاهراً يدلّ على أنه قليل العناية بتدوين أخبار الجدّ والرزانة والتجمل والاعتدال ، وهذه الناحية من الأصبهانى أفسدت كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه ، ونظرة فيما كتبه المرحوم جرجى زيدان فى كتابه تاريخ أدب اللغة العربية ، وما كتبه الدكتور طه حسين فى حديث الأربعاء تكفى للإقناع بأن الاعتماد على كتاب الأغانى جرّ هذين الباحثين إلى الحطّ من أخلاق الجماهير فى عصر الدولة العباسية ، وحملهما على الحكم بأن ذلك العصر شكّ وفسق ومجون .

٣ — ولا أريد بهذا أن أحكم بأن الأصبهانى كان يتعمد الاختلاق ، وأن الجمهور فى العصر العباسىّ كان مغموراً بالطهر والعفاف ، كلا ، فقد قلت غير مرّة : إن الحياة الإنسانية مزيج من الشكّ واليقين ، والحلم والجهل ،

والهدى والضلال ، وأن الإنسان لا يكون خيراً محضاً ولا شراً محضاً ، وإنما بقاؤه فى أن تكون سرائره مسرحاً لنوازع الغىّ والرشد ، والبرّ والفجور ، ولكنى أريد أن أقول : إنّ إكثار الأصبهانى من تتبع سقطات الشعراء ، وتلمس هفوات الكتّاب ، جعل فى كتابه جواً مشبعاً بأوزار الإثم والغواية ، وأذاع فى الناس فكرة خاطئة هى اقتران العبقرية بالنزق والطيش والخروج على ما ألفت الجماهير من رعاية العرْف والدّين .

٤ — أما الناحية الثانية فهى خاصة بكتاب الأغانى : تلك الناحية هى نظم ذلك الكتاب ، ففى مقدمته عبارات صريحة فى الدلالة على أن مؤلفه قصر اهتمامه أو كاد على إمتاع النفوس والقلوب والأذواق . فهو كتاب أدب لا كتاب تاريخ. وأريد بذلك أن المؤلف أراد أن يقدّم لأهل عصره أكبر مجموعة تغذّى بها الأندية ومجامع السمر ومواطن اللهو ومغانى الشراب ، وإنه ليحدّثنا فى المقدمة بأنه أتى فى كلّ فصل من كتابه بفقر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلا بها من فائدة إلى مثلها ، ومتصرّفاً فيها بين جدّ وهزل ، وآثار وأخبار ، وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة ، وقصص الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الإسلام ، وأخبرنا بعد ذلك أنه اهتم بالغناء الذى عرف له قصة تستفاد وحديثاً يستحسن ، وعلل ذلك بقوله : « إذ ليس لكلّ الأغانى خبر نعرفه ، ولا فى كلّ ما له خبر فائدة ، ولا لكلّ ما فيه بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويلهى السامع[1] »

وأحبّ أن يتأمل القارئ قوله : « رونق يروق الناظر ويلهى السامع » فهذا التعبير هو الوصف الصادق لما اختار الأصبهانى أن يدور عليه كتابه حين أراد أن يقدّم ما راقه من أيام العرب وقصص الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الإسلام وخصوصاً إذا لاحظنا أنّ كلامه يشعر بأنه مستعدّ لإهمال ما فيه بعض

(١) ص ٢ طبع دار الكتب المصرية .

الفائدة إذا خلا من ذلك الرونق الذى « يروق الناظر ويلهى السامع » فهو إذن يساير القرّاء المتطلعين إلى النواحى الطريفة من أخبار الملوك والخلفاء والوزراء والكتّاب والشعراء ، ولهذا النحو فى التأليف قيمة عظيمة جدّا إذا فهمه القارئ على وجهه الصحيح ، فهو دليل على خصوبة التصوّر والخيال ، وبرهان على أنّ كتّاب اللغة العربية لم يحرموا من القصص الشائق الخلاّب ، ولم يفتهم أن يقدموا لأوقات اللهو والفراغ ما تحتاج اليه العقول المكدودة ، والنفوس المحزونة ، من طرائف الأقاصيص وغرائب الأسمار . ولكن الخطر كلّ الخطر أن يطمئن الباحثون إلى أنّ لروايات الأغانى قيمة تاريخية ، وأن يبنوا على أساسها ما يشاءون من حقائق التاريخ ، لا سيما وصاحب الأغانى يصارحنا بأنّ « فى طباع البشر محبة الانتقال من شىء إلى شىء ، والاستراحة من معهود إلى مستجدّ ، وكلّ منتقلّ اليه أشهى إلى النفس من المتنقل عنه ، والمبتكر أغلب على القلب من الموجود[1] » وأنّ « انتقال القارئ من خبر إلى غيره ، ومن قصة إلى سواها ، ومن أخبار قديمة إلى محدثة ومليك إلى سوقة وجدّ إلى هزل ، أدعى إلى نشاطه وأبعث على شهوته لتصفح ما فى الكتاب من مختلف الفنون » .

٥ — ولأضرب المثل بما قصّه صاحب الأغانى من أخبار عمر بن أبى ربيعة ، وهى أخبار ظنها كثير من الباحثين صورة لحياة الحجاز فى القرن الأوّل للهجرة . وقد حدثنى المسيو ماسينيون بأنّ لأشعار عمر بن أبى ربيعة وحوادثه أهمية عظيمة من هذه الناحية . وأنا قد اعتمدت بالفعل على كتاب الأغانى حين فصّلت أحاديث من عرف ذلك الشاعر من الملاح فى الطبعة الثالثة من كتابى : « حبّ ابن أبى ربيعة وشعره » ولكننى دعوت القارئ إلى الاحتراس وبينت له أننى أريد أن أرسم من ابن أبى ربيعة صورة جذابة تشبه صورة ميسيه عند الفرنسيين ، وجوت عند الألمان ، وبيرون عند الإنجليز . وأنا أستبيح هذا النحو من استغلال كتب الأدب والتاريخ ، فإن الأدب يقصد به إمتاع القلوب كما يراد به إقناع

(١) ص ٤ طبع دار الكتب المصرية .

العقول ، ومتى نص الكاتب على أن وجهته فنية محضة، وأن منحاه أدبى صرف فقد أبرأ ذمته عند من يريد أن يتخذ من الأقاصيص صورة صادقة لحياة الأشخاص ، وما أحاط بهم من مختلف البيئات وشتى الظروف . وكذلك فعلت حين قلت : « إن كثيراً من حوادث ابن أبى ربيعة الغرامية من صنع الخيال . وقد قبلناه على علاته . واكتفينا بتلك الإشارة عند التمهيد لأخبار الملاح ، إذ كانت حوادث ابن أبى ربيعة التى أضيفت إليه تدلنا على شيئين : فهى أولا علامة على أن المتقدمين أنسوا بروحه وأسلموا قلوبهم لوحيه فأبدعوا فى ظلال ذكراه ما شاء الخيال من أحاديث الحب الظافر والهوى الغلاب . وهى ثانياً دليل على أنه كان للمتقدمين ميل إلى القصص الغرامى وحظ من الإجادة فيه ، فكان من الخير أن نستغل تلك الباكورة القصصية ونحن نتحدث عمن هوى ذلك الشاعر من حسان النساء (١) »

لكن صاحب الأغانى لم يفعل شيئاً من ذلك ، وإنما ساق أخبار ابن أبى ربيعة كلها على أنها حقائق، وساقها مروية بالسند ، والرواية بالسند شىء ساحر فتن به كثير من الناس وظنوه علماً دقيقاً له آداب وشروط . واعتماداً على هذا العلم الدقيق اطمأن أكثر الباحثين إلى روايات الأغانى فضلوا وأضلوا فى حقائق التاريخ .

٦ — قلت : إن صاحب الأغانى كان يهتم بالنواحى الطريفة من السير والأخبار ، فلأذكر من أدلة ذلك أنه حدثنا بسنده عن ابن أخى زرقان عن أبيه قال : أدركت مولى لعمر بن أبى ربيعة شيخاً كبيراً فقلت له : « حدثنى عن عمر بحديث غريب » وكلمة « حديث غريب » هذه لها معناها فيما نحن بسبيله من أخذ الرواة بالتلفيق والاختلاق . فإن البحث عن الأوضاع الغريبة من أحاديث عمر بن أبى ربيعة يدل على ظمأ تلك النفوس إلى النادر المستطرف

(١) راجع كتاب « حب ابن أبى ربيعة وشعره » ص ٢٩٥ من الطبعة الثالثة .

من القصص والأحاديث ، وما عسى أن يكون ذلك الخبر الغريب ؟ هو خبر يشبه من أكثر نواحيه قصّة حجّ أبى نواس التى اخترعها ابن دُرَيد ، فأبو نواس حين رجع من حجه اجتذبه جماعة من حسان النساء وما كاد يطمئنّ إلى ظفره بما كان يشتهى من جميل الصيد حتى دخل عليه جماعة من العبيد فى حالة جارحة بدّدت ما نظم من ساحر الأحلام . وابن أبى ربيعة تعرّض لنسوة من جوارى بنى أمية فخلبنه ووعدنه بتذكرة طيبة تكون تحفة له كلما تذكر أنسه بهنّ فى أيام الطواف ، فلما بعث غلامه ليتسلم التذكرة عاد ومعه صندوق لطيف مقفل مختوم كان يظنّ أنه أودع طيباً أو جوهراً ، ففتحه فإذا هو مملوء من المضارب وهى الكيرنجات ، وإذا على كلّ واحد منها اسم رجل من مجّان مكة ، وفيها اثنان كبيران على أحدهما : الحارث بن خالد ، وهو يومئذ أمير مكة ، وعلى الآخر : عمر ابن أبى ربيعة ، وإذا كانت المضارب والكيرنجات هى آلات السفاد فقد تمّ التشابه بين قصّة عمر وقصّة أبى نواس .

وتجد صاحب الأغانى فى مكان آخر يروى بسنده عن عثمان بن إبراهيم الخاطبى أنه قال :

« أتيت عمر بن أبى ربيعة بعد أن نسك بسنين ، وهو فى مجلس قومه من بنى مخزوم فانتظرت حتى تفرّق القوم ثم دنوت منه ومعى صاحب لى ظريف ، وكان قد قال لى : تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل فننظر هل بقى فى نفسه منه شىء؟ فقال له صاحبى : يا أبا الخطاب — أكرمك الله — لقد أحسن العذرىّ وأجاد فيما قال ، فنظر عمر ثم قال له : وماذا قال ؟ قال حيث يقول :

لو جَذّ بالسيف رأسى فى مودّتها لمرّ يهوى سريعاً نحوها رأسى

ثم مضى يهيجه بالشعر حتى طرب ، وحدثهما بحديث وصف بأنه « حديث حلو » وتلك الحلاوة لها معناها أيضاً فى نص على أنه وضع ليكون فكاهة طريفة ينقل بها السامرون فى مجالس الشراب . ويتلخص الحديث فى أن خالداً الخريت

صاحب عمر حدّثه عن نسوة مررْنَ به قبيل العشاء لم ير مثلهنّ فى بدْو ولا حضر ، فيهنّ هند بنت الحارث المرّية ، وأشار عليه بأن يأتى متنكرًا ليستمع من حديثهنّ ويتمتع بالنظر إليهنّ ولا يعلمنَ منْ هو ؟ فقال له عمر : وَيحك ! وكيف أخفى نفسى ؟ فأشار اليه بأن يلبس لبسةَ أعرابىّ ثم يجلس على قعود فلا يشعرْنَ إلاّ به وقد هجم عليهنّ ، فأطاع عمر ثم وقف بقرْب النسوة وأنشدهنّ ما سألن إنشاده من شعر كثيّر وجميل والأحوَص ونصَيْب. وبعد لحظات تغامز النساء وجعل بعضهنّ يقول لبعض : كأنا نعرفُ هذا الأعرابىّ ؛ ما أشبهه بعمر بن أبى ربيعة ! ثم مدّت هند يدها فانتزعت العمامة وألقتها عن رأسه ثم قالت : هيه يا عمر ! أتراك خدعتنا منذ اليوم ؟ بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد فأرسلناه إليك لتأتينا فى أسوإ هيئة ونحن كما ترى ؛ ثم قالت بعد أن أخذا فى الحديث : ويحك يا عمر ! اسمع منى لو رأيتنى منذ أيام وأصبحت عند أهلى فأدخلتُ رأسى فى جيبى فنظرت إلى حِرى فإذا ملْء الكف ومنيةُ المتمنّى فناديتُ : يا عمراه يا عمراه ! فصاح عمر : يا لبيكاه يا لبيكاه ؛ ومدّ فى الثالثة صوته إلى آخر الحديث (١)

ونحن نجد لهذه أشباه كثيرة من حيث الغرض والأسلوب . قد حدّث ابن دُرَيد أن رجلا جلس إلى مجنون ليلى فى ظلّ شجرة فقال : ما أشعرَ قيساً حيث يقول :

يَبيت ويُضْحى كلَّ يوم وليلة ... على مَنْهجٍ تَبْكى عليه القبائل
قَتيلٌ لِلُبْنَى صدَّعَ الحبُّ قلبَه ... وفى الحبّ شُغْل للمحبّين شاغل

فقال المجنون : أنا أشعر منه حيث أقول :

سَلَبْتِ عظامى لَحْمها فتركْتِها ... مُعَرّقَةً تَضْحى لدَيْكِ وتَخْصَرُ

(١) راجع الأغانى (ج ١ ص ١٧٥ – ١٧٦ طبع دار الكتب المصرية) .

وأَخْلَيْتِها من مُخِّها فكأَنها قَوَارِيرُ فى أجوافها الرِّيحُ تَصْفِرُ
إذا سمعتْ ذِكْرَ الفراق تَقَطَّعَتْ علائقُها مِمَّا تَخَافُ وتَحْذَرُ
خُذِى بِيَدِى ثم انْهَضِى بى تَبَيَّنِى بى الضُّرَّ إلَّا أننى أَتَسَتَّرُ[1]

وللحديث بقية ، وفى هذا ما يكفى لبيان الأسلوب الذى كان يجرى عليه الرواة فى تصوير العشاق الذين تسلوا أو يئسوا ، وما كان يعمل أرباب الفضول فى تهيج ما كانوا يكتمون من أسرار الوجد الدفين .

ويشبه هذين الحديثين ما رواه محمد بن خلف بسنده عن علىّ بن عاصم إذ قال :

« قال لى رجل من أهل الكوفة من بعض إخوانى : هل لك فى عاشق تراه ؟ فضيتُ معه فرأيت فتىً كأنما نزع الروح من جسده ، وهو مؤتزر بإزار ومرتدٍ بآخر ، وإذا هو مفكر ، وفى ساعده وردة . فذكرنا له بيتاً من الشعر فتهيج وقال :

جَعَلْتُ من وَرْدَتِها تَميمةً فى عَضُدِى
أَشُمُّها من حُبِّها إذا علانى كمدى[2] .. إلخ

وما رُوِىَ عن هند بنت الحارث فى استدراجها لعمر ، واستقدامه بأسوإ هيئة يشبه ما رُوِىَ عن الثريا بنت علىّ حين دست منْ يخبره بأنه سمع عند رحيله عن الطائف صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش اسمها اسمُ نجم فى السماء ، وقد ذهب عنه اسمه . فقال عمر : الثريا قال : نعم ، وكان قد بلغ عمر قبل ذلك أنها عليلةٌ ، فوجه فرسه على وجهه إلى الطائف يرْكُضُه ملْء فرُوجه وسلك

(١) ص ١٦٢ ج ١ أمالى القالى طبع دار الكتب المصرية .
(٢) ص ٧ مصارع العشاق وقد وردت هذه الحكاية فى الأمالى (ج ٣ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية) .

طريق كَدَاءَ(١) — وهى أخشنُ الطرُق وأقربها — حتى انتهى إلى الثريا وقد توقعته وهى تتشوّق له وتشرف ، فوجدها سليمة . فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا والله أمرتهم لأختبر ما لى عندك(٢) .

ومن أحلى القصص التى رواها صاحب الأغانى عن محمد بن خلف قصة عمر مع فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، وخلاصتها أن امرأة أقبلت عليه وهو فى فناء مضرَبه وغلمانه حوله فسلمت عليه وسألته : هل لك فى محادثة أحسن الناس وجهاً، وأتمهم خلقاً، وأكملهم أدباً ، وأشرفهم حسباً ؟ قال : ما أحبّ ذلك إلىّ ! فاشترطت عليه أن يمكنها من عينيه فتشدّهما وتقوده حتى إذا توسط الموضع الذى تريده حلت الشدّ ثم تفعل به ذلك عند إخراجه حتى تنتهى به إلى مضرَبه . فقبل عمر ، ثم قادته إلى امرأة لم ير مثلها قط جمالا وكمالا ، فسلم وجلس ، ثم كان بينها وبينه حوار انتهى بطرده ، فعاد إلى مضرَبه كاسف البال ، ثم عادت المرأة فى اليوم التالى فقادته مرّة ثانية انتهت بمثل ما انتهت به المرّة الأولى من الإخفاق ، وظلت الحال على ذلك أياماً حتى اهتدى عمر إلى أنها فاطمة بنت عبد الملك فى حديث شائق طويل(٣) .

وقد استمر صاحب الأغانى ينقل من أخبار عمر بن أبى ربيعة ما طاب له من غير نقد ولا تمحيص ، ولكنه فطن فى بعض ما رواه إلى تلفيق الرواة حين عرض إلى تزويج الثريا وخروجها إلى مصر وعمر غائب ، فقال : « وهذا الخبر عندى مصنوع ، وشعره مضعفٌ يدلّ على ذلك ، ولكنىّ ذكرته كما وقع إلىّ »(٤) .

(١) كداء كسماء : جبل بأعلى مكة عند المحصب دار إليه النبى صلى الله عليه وسلم من ذى طوى .

(٢) راجع الأغانى (ج ١ ص ٢١٢ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) ص ١٩٠ — ١٩٥ ج ١ الأغانى طبع دار الكتب المصرية .

(٤) ص ٢٣٦ ج ١ « وما قيمة تضعيف الشعر فى هذا الخبر ؟ كان ينبغى تحقيقه من وجهة تاريخية إن أمكن » .

٧ — هنا دلنا صاحب الأغانى على ارتيابه فى بعض الأخبار ، ولكن لماذا يذكر ما يرتاب فيه كما يقع إليه ؟ يذكره لأنه يريد أن يقدم ما يروق الناظر ، ويلهى السامع ، كما أشرنا من قبل ، ولكن لا يفوتنا أن نشير إلى أنّ هذا الخبر الذى حدّثنا الأصبهانى بأنه مصنوع هو كذلك منقول عن جماعة من الرّواة كان يصحّ أن يحتجّ بروايتهم من يصدقون كلّ شىء روى بأسانيد ، لو لم ينصّ الأصبهانىّ على أنه مدسوس .

وفى رأيى أنّ أكثر أخبار عمر بن أبى ربيعة وضع تفسيراً للشعر ، لأنّ كلّ قصيدة من قصائده تشير إلى حادثة من حوادثه الغرامية ، وقد صنع الرواة مثل هذا الصنع فى أخبار أبى نوّاس ، فقد لفقوا حديثاً يشرح قوله فى جنان :

يا ذا الذى عن جنان ظلّ يخبرنا ... بالله قُل وأعد يا طيّب الخبر
قال اشتكتك وقالت ما اُبتليت به ... أراه من حيث ما أقبلت فى أثرى
ويعمل الطرف نحوى إن مررت به ... حتى ليخجلنى من حدّة النظر
وإن وقفت له كيما يكلّمنى ... فى الموضع الخلو لم ينطق من الحصر
ما زال يفعل بى هذا ويدمنه ... حتى لقد صار من همّى ومن وطرى (١)

واخترع الرواة كذلك قصّة طريفة لتفسير أبيات أبى نوّاس التى مطلعها :

اسأل القادمين من حكمان ... كيف خلفتها أبا عثمان (٢)

وقد تنبه كثير من الباحثين إلى ما دُسّ على أبى نوّاس، ولم أجد من أشار إلى ما دُسّ على عمر بن أبى ربيعة، مع أنّ الرجلين يشتركان فى أنّ كلا منهما قضى معظم حياته فى اللهو والعبث والمجون ، وإذا جارينا صاحب الأغانى فى الاستدلال على وضع الشعر بضعفه ، فإن فى شعر ابن أبى ربيعة قصائد

(١) الأغانى (ج ١٨ ص ٤ طبع بولاق) .
(٢) الأغانى (ج ١٨ ص ٥ طبع بولاق) .

كثيرة يغلب عليها الضعف والانحلال ، حتى ليبعد شعره عن المتانة التى عُرفت فى عصره، وطبع عليها عددٌ من قصائده الطوال .

هذا ولو مضينا نحصى ما فى روايات الأغانى من التلفيق لطال بنا القول فلنكتف بهذا ، ولنسجل مرّة ثانية أنّ الأصبهانىّ أراد أن يكون كتابه معرضاً لما تجمّع بين أيدى معاصريه من طرَف الأقاصيص ، فليعتبره القارئ كتاب أدب لا كتاب تاريخ .

٨ — بقيت مسألة لها خطر فى هذا الباب : قد يتوهم القارئُ أننا نجزم بأنّ صاحب الأغانى اخترع ما دوّنه من أخبار عمر بن أبى ربيعة ، فلننف هذا الوهم ولنذكر أننا رأينا فى إرشاد الأريب لياقوت أن ابن بسام كان ألف كتاباً فى أخبار عمر ، وقد روى فيه عن الزبير بن بكار وعمر بن شبّه وحماد بن إسحاق ومحمد بن حبيب ويعقوب بن أبى شيبة وأحمد بن الحارث الخرّاز (٢) .

وبعض منْ روى عنهم ابن بسام يكثُر النقل عنهم فى كتاب الأغانى ، وخاصة عمر بن شبّه والزبير بن بكار . وابن بسام هذا من رجال القرن الثالث. وفى كتابه عن عمر دليل على أن أخبار ذلك الشاعر كانت معروفة قبل الأصبهانى بنحو قرن أو يزيد ، وكانت موضع عناية المؤلفين .

ولو وصل إلينا كتاب ابن بسام لعرفنا الفرق بين طريقته وطريقة أبى الفرج فى صياغة الأخبار ، ولكننا على أىّ حال نرجح أنّ أبا الفرج له يد فى تلوين تلك الأخبار ووضعها فى قوالب يغلب عليها اللهو والمجون ، فهو لم يخلقها كلها ، لأنّ عبث ابن أبى ربيعة كان مشهوراً قبل ذلك ، ولكنه نفخ فيها من روحه ، وصاغها بلباقة وافتنان .

٭ ٭ ٭

ولو خلّينا الأخبار المروّية جانباً ، ونظرنا فيما حدّث به أبو الفرج عن

---

(١) انظر ص ٣١٩ ج ٥ من معجم الأدباء طبعة هندية .

نفسه، لعرفنا مبلغ حذقه فى وضع الأقاصيص، وإلى القارىء هاتين النادرتين :

١ ـ قال أبو الفرج : خرجت أنا وأبو الفتح .... ولا أعرف له خبراً بعد ذلك[١]

٢ ـ وقال فى كلمة ثانية : كنت فى أيام الشبيبة .... ثم عاد إلى داره[٢]

فهذه الأخبار التى رواها أبو الفرج عن نفسه تعين اتجاهاته الذوقية فى الحياة .

ومن هنا جاء غرامه بتعقب أخبار الخلاعة والمجون فيمن ترجم لهم من الشعراء .

٦ ـ رأى أحد الآباء اليسوعيين :

« ولأبى الفرج تآليف غراء أسيرها ذكراً فى الآفاق (كتاب الأغانى) فى واحد وعشرين جزءاً ، وهو فى عالم الأدب أشهر من نار على علم . جمع فيه الأشعار التى تغنى بها المغنون ، وترجم قائليها ، وأورد الحوادث التى تشير إليها ، والوقائع التى تتصل بها ، قرُبتْ أو بعدَتْ .

وإذا اعتبرت أن الشعراء الذين تناول المغنوّن بعض أبيات لهم ووقعوها على آلاتهم هم ألوف مؤلفة من كل ملة ونحلة علمت المواد الفائقة العدّ ، المتنوعة الأغراض التى وسعها هذا المؤلف النادر المثال ، فهو أشبه شىء بالبحر الزاخر مهما غاص الغائصون فيه يلتقطون الدرر العصماء فهيهات أن ينفد معينه ، وهو المستودع الوحيد لكثير من أخبار الجاهلية ، والمئات الثلاث الأول للاسلام ، ولولاه لم تقف لها على أثر .

---

(١) تقدم هذا الخبر نقلا عن معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٥٨ — ١٥٩ طبعة هندية) .

(٢) تقدم هذا الخبر أيضاً نقلا عن معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ١٦٠ — ١٦٢ طبعة هندية) .

ويقال إن أبا الفرج جمعه فى خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة صاحب حلب فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه ، وحسناً صنع ، فإن سيف الدولة كان أعلم وأبصر من أن يفوته عجز الإنسان عن مكافأة صاحب تصنيف كهذا ولو بذل من نفائس الأعلاق أضعافاً مضاعفة (١) »

٧ ــ رأى الكاتب البليغ الأستاذ كامل كيلانى :

كيف أغفل صاحب الأغانى ابن الرومى ؟ !

لما كان الأستاذ كامل كيلانى من كبار أدباء هذا العصر المعجبين بابن الرومى وشعره ، عزّ عليه إغفال أبى الفرج له فى كتابه الأغانى فنشر كلمة بليغة فى كتابه : « صُوَرٌ جديدة فى الأدب العربى (٢) » ويحسن بنا أن نسوقها فى هذا المقام :

ألّف أبو الفرج كتابه الأغانى لغرض خاصّ وهو إثبات المائة صوت التى اختاروها للرشيد ، ثم جره ذلك إلى الاستطراد ، فذكر من الطرَف والبدائع شيئاً كثيراً حتى أصبح كتابه كنزاً لا مثيل له فى كنوز الأدب العربى ، فإذا أغفل أبو الفرج التنويه بشاعر فحل كابن الرومى ، فهل نجد من يحتجّ له بهذا العذر ؟ وأية دهشة تتملكنا ، بل أية حيرة تملأ نفوسنا حين نجيل البصر فى هذه الأسفار الضخمة التى تؤلف دائرة معارف أدبية نادرة فنرى مؤلفها ــ الذى أغفل ابن الرومى ــ قد استطرد أكثر من ألف مرّة إلى ذكر منْ يستحقّ الذكر ومنْ لا يستحقه والتنويه بشعراء ــ إن أجللناهم مرّة ــ نزّهنا ابن الرومى عن أن يوضَع معهم فى ميزان أو يقاس إليهم بمقياس . ورأيناهم ــ إلى جانبه ــ أقزاماً أمام عملاق !.

(١) تاريخ الآداب العربية من نشأتها إلى أيامنا طبع مطبعة المدرسة الصناعية بالإسكندرية سنة ١٩١٤ .

(٢) راجع ص ٢٠٨ - ٢١٨ .

فإذا زعم زاعم أنّ شعر ابن الرومى لم يغنّ به ، قلنا له : هذه مسألة فيها نظر ، وليس لدينا الآن ما ندْحض به زعمه ، فإنّ أخبار ابن الرومى لم يصلنا منها شىء يذكر . وقد أجمع المؤرّخون — أو كادوا يجمعون — على إغفال هذا الشاعر العظيم ، كما تعمد أبو الفرج أن يغفل ذكره إغفالا يكاد يكون تاماً ، فى حين أنه ملأ الدنيا بأخبار البحترىّ الذى كان يعاصر ابن الرومى ، وأخبار أبى تمام أستاذ البحترىّ ، وكثير من معاصريهما وغيرهم من المشهورين كأبى نواس[١] ودعبل إلخ . وقد عنى أبو الفرج فى غير كتابه الأغانى بدواوين من يحبهم من الشعراء ، فجمع ديوانى أبى تمام والبحترىّ ، ورتب ديوان كلّ منهما على الأنواع — لا على الحروف — كما عنى بجمع ديوان أبى نوَاس .

وتعمـُّد الإغفال ظاهر ، فإنّ أبا الفرج لم يذكر ابن الرومى فى كتابه « الأغانى » إلاّ مرتين ، وكأنه لم يذكره إلا ليسىء إليه بدلاً من أن يشيد بذكره .

فقد ذكره فى الموضع الأول بمناسبة انتحاله بيتاً من الشعر لإبراهيم بن العباس[٢] ، وذكره فى مكان آخر من الكتاب بمناسبة نكبة سليمان بن وهب وابنه[٣] ليظهره لنا بمظهر الشامت وكلا الموقفين لا يشرّف صاحبه .

فى الموقف الأوّل يعرفنا به سارقاً منتحلا بيتاً من الشعر ، وفى الموقف الثانى يقدّمه لنا هاجياً فى غير موقف هجاء ليثبت أبو الفرج — فى نفس الصفحة — رثاءالبحترىّ لسليمان بن وهب الذى جوّد فيه — كما يقول أبو الفرج — ثم يذيع ثناءه على البحترىّ بإطرائه إبراهيم بن العباس والإشادة بذكره .

فإذا لم يكن ذلك إغفالا فهو عندنا شرّ من الإغفال ، وإذا لم يكن أبو الفرج

---

(١) يلاحظ أن أبا الفرج أغفل أيضاً ترجمة أبى نواس مع أنه وعد فى موضع بأنه سيوفيه حقه ، وقد نبهنا على هذا فى مكان آخر .

(٢) ارجع إلى ج ٩ ص ٢٨ من كتاب الأغانى .

(٣) ارجع إلى ج ٢٠ ص ٧٢ من كتاب الأغانى .

الأريب الفطن والراوية الثقة قد تعمد الإساءة إلى ابن الرومى فكيف يكون تعمد الإساءة بعد ذلك .

° ° °

لم يكن ابن الرومى خاملا فى عصره حتى يقتصر أبو الفرج على رواية أربعة أبيات من شعره فى هذه الموسوعة الضخمة ، وقد زعم بعض الأدباء أنه كان خاملا ، وهو وهم يفنده الواقع ، فلم يكن ابن الرومى خاملا — لا فى عصره ولا بعده — ولكنه كان مكروهاً من الناس لإفحاشه فى الهجاء حتى لم يكد يسلم من لسانه إنسان له خطر [١] .

فإذا قال قائل : « ولماذا نوّه أبو الفرج بدعبل وذكر كثيراً من أخباره وهو كابن الرومى فى سلاطة اللسان والإقذاع فى الهجاء ؟ »

قلنا : إنّ عصر دعبل قد تقدّم عصر ابن الرومى بقليل ، وقد مات من أساء إليهم دعبل وقلّ حقد الناس عليه ، فلم يكن هناك بأسٌ من الإشادة بذكره والتنويه بفضله .

أما ابن الرومى فقد أساء إلى أعيان الدولة وكبار رجالها ، كما أساء إلى شيوخ الأدب وزعماء الشعر ، ولم تزل إساءته — إلى زمن أبى الفرج — عالقة بالأذهان ، ولا زال بعض من أفحش ابن الرومى فى هجائهم عائشاً فى زمن أبى الفرج ، وربما كان من بينهم أقاربه وأصدقاؤه ! . ولقد كان أبو الفرج من المتشيعين ، وكان ابن الرومى متهماً بالتشيع ، ولم تكن هذه الصلة شفيعاً له عنده ولا سبباً يدعوه إلى التنويه بذكره .

° ° °

---

(١) وقد كان الهجاء سبب قتله .

هجاء البحترى والأخفش

ولقد هجا ابن الرومىّ البحترىّ الشاعر هجاء مقذعاً وأفرط فى شتمه ، وكان للبحترى مكانة بين أعيان الدولة وكبار رجالها — حتى بعد موته — وقد رأيت أن أبا الفرج كان يحبه ويشيد بذكره ويعنى بآثاره ، ولا يتسع هذا المقام الضيق للإسهاب فى ذلك وشرح الأسباب التى دعت إليه ، فلنجتزىء بقوله فى هجائه من قصيدة :

قد قلت — إذ نحلوه الشعر — : «حاش له   إن البروك به أولى من الخبب »

وفيها يقول :

« وحَسْبُه من حباء القوم أن يهبوا   له قفاه — إذا مامرّ — بالعُصب[1] »

ثم يقول :

« الحظّ أعمى ، ولولا ذاك لم تره   للبحترى بلا عقل ولا أدب »

وفى هذه القصيدة يقول :

قُبْحاً لأشياء يأتى البحترىّ بها   من شعره الغثّ بعد الكدّ والتعب

كأنها — حين يصغى السامعون لها   ممن يميّز بين النبع والغرب —

رُقى العقارب ، أو هذْر البناة إذا   أضحوا على شعف الجدران فى صخب

وقد يجىء بخلط ، فالنحاس له   وللأوائل ما فيـــه من الذهب

---

(١) العصب : جماعات الناس .

سمين ما نحلوه من هنا وهنا ، والغثّ منهم صريح غير مجتلب
يسىء عفا ، فإن أكدت وسائله أجاد لصاً شديد البأس والكلب

ثم يقول :

عبد يغـير على الموتى فيسلبهم حرّ الكلام بجيش غير ذى لجب
ما إن تزال تراه لابساً حُللا أسلاب قوم مضَوْا فى سالف الحقب
شعر يغير عليه باسلا بطلا وينشد الناس إيّاه على رقب

إلى آخر القصيدة الطويلة التى لا نسمح لأنفسنا بنقل ما ورد فيها من الهجاء المقذع ، والفحش الشنيع فى مثل هذا المقام ، فليرجع إليها القارىء فى ديوانه إذا شاء .

* * *

ولا تنس هجاء ابن الرومى للأخفش — أستاذ أبى الفرج — فقد كان ابن الرومى يقف حياته على هجاء الأخفش ، وكان الأخفش يقف حياته على التشنيع به والزراية عليه ، فلا غرو أن يغرس الأستاذ فى نفس تلميذه بذور الكراهية والبغض لابن الرومى — منذ الصغر — أو يغضب التلميذ لأستاذه فتعمد إغفال منْ جعل همّه الأول شتم أستاذه والتشهير به . « وآفة الرأى الهوى ! »

* * *

وإلى القارىء شيئاً من هجاء ابن الرومى للأخفش ليتبين صحة ما ذهبنا إليه ، قال من قصيدة طويلة رائعة :

قلتُ لمن قال لى : «عرضت على الأخـ فش ما قلتــه فما حمـــده»
قصرتَ بالشعر حين تعرضـــه على مبين العمى إذا انتقده
ما قال شـعراً ولا رواه ، فلا ثعلبه كان ، لا ولا أســده

فإن يقل : « إننى رويت » فكالدفـ ـتر جهلا بكلّ ما أعتقده
أرمت زينى بأن تعرضنى لمدحه ؟ فالذليل من عضده
أم زمت شينى بأن تعرضنى لثلبه ؟ فالسليم من قصده

إلى أن قال :

شعرى — شعر — اذا تأمّله الإنـ ـسان ذو الفهم والحجا — عبده
لكنّه ليس منطقاً بعث اللـ ـه به آية لمن جحده
ولا أنا المفهم البهائم والطيـ ـر سليمان قاهر المرده
ما بلغت بى الخطوب رتبة من تفهم عنه الكلاب والقرده

ثم قال — بعد أبيات — :

لا رحم الله أمّ أخفشكم ولا سقى قبر والد ولده
ماذا عليه وقد رأى ولداً أعور جمّ العوار — لو وأده !
سأسمع النـاس ذمّه أبداً ما سمع الله حمد من حمده

وفى هذه القصيدة أيضاً من هجر القول ما لا يسمح بذكره المقام .

وقال من قصيدة أخرى :

لا يأمنن السفيه بادرتى فإننى عارض لمن عرضا
عندى له السوط إن تلوّم فى السيـ ـر وعندى اللجام إن ركضا

وفيها يقول :

أضحى مغيظاً على أن غضب اللـ ـه عليه ونلت منه رضا
قولا له : ينطح الجدار إذا أعـ ـيا ، وصم الصفا اذا امتعضا
ولا يحـل ضعيف مُنّته حربى ، فما مثله بها نهضا

إلى أن يقول :

أقسمت بالله لا غفرت لهُ إن واحد من عروقه نبضا

فإذا ذكرنا – إلى ذلك الهجاء المقذع – أنّ فى التنويه بابن الرومى إساءة إلى جمهرة من أعيان الدولة وكبار رجالها الذين هجاهم أو هجا آباءهم – كما أسلفنا القول – عرفنا السرّ فى هذا الإغفال .

الباب السادس

كتاب الأغانى وتصويره بعض مظاهر الحياة الأدبية والاجتماعية
فى عصر الدولتين : الأموية والعباسية

وثروته الفنية فى أصول الغناء وقواعده والأدب العربى

ويشتمل على ستة فصول

الفصل الأول

الغناء والموسيقى فى صدر الإسلام

١ - ثروته الفنية فى أصول الغناء وقواعده وآلات الطرب :

لكتاب الأغانى مزايا لا يعدله فيها سواه ، وهى جمعه لكثير من أشعار العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، وأخبار الدولتين : الأمويّة والعباسية ، وما حواه من الرسائل والقصائد، والخطب والقصص ، والفوائد التاريخية والفرائد الأدبية التى بادت الأصول المأخوذة منها وبقيت مخلدة فيه . ويعدّ فى هذه النواحى أستاذ كلّ متأدب فى كثير من العصور إلى عصرنا هذا ، فقلما كان لأدباء هذا الجيل وشعرائه وكتابه فى الأدب والكتابة مادّة سواه ، كما أنه يعدّ أجمع كتاب ترجم مؤلفه لأكثر المغنين المعروفين فى صدر الإسلام والدولتين : الأمويّة والعباسية . وجمع الأغانى العربية قديمها وحديثها . وانفرد بذكر الغناء العربى وقواعده وآلات الطرب والموسيقى التى كانت مستعملة وشائعة فى أزهى العصور الإسلامية . وسنذكر فيما بعد أمثلة منها .

٢ - الغناء فى صدر الإسلام :

قد ورد فى كتاب الأغانى أنّ أولّ من غنى فى صدر الإسلام عبدٌ مكىّ اسمه سعيد بن مسجح ، كان حسن الصوت مغرماً بالموسيقى والغناء ، وكان فى مكة عند حصار الأمويين لها على عهد عبد الله بن الزبير فى الثلث الأخير من القرن الأوّل للهجرة ، واستخدم ابن الزبير رجالا من الفرس فى ترميم الكعبة ، فسمع ابن مسجح بعضهم يغنى بالفارسية فطرب والتقط النغم منه ، ثم رحل

إلى الشأم وفارس وأخذ الألحان الرومية والفارسية وألقى منها ما استقبحه من النبرات والنغم مما لا يألفه الذوق العربىّ ، وغنى على هذا المذهب وهو أوّل من فعل ذلك .

وإليك نص عبارته :

قال أبو الفرج فى أخبار ابن مسجح :

« سعيد بن مسجح أبو عثمان مولى بنى جمح ، وقيل : إنه مولى بنى نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب . مكىّ أسودُ ، مغنّ متقدّم من فحول المغنين وأكابرهم ، وأوّل منْ صنع الغناء منهم ، ونقل غناء الفرْس إلى غناء العرب ، ثم رحل إلى الشأم وأخذ ألحان الروم والبزنطية والأسطوخوسية (١) ، وانقلب إلى فارس فأخذ بها غناءً كثيراً وتعلم الضرب ، ثم قدم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم ، وألقى منها ما استقبحه من النبرات والنغم التى هى موجودةٌ فى نغم غناء الفرْس والروم خارجةٌ عن غناء العرب ، وغنى على هذا المذهب ، فكان أول من أثبت ذلك ولحنه وتبعه الناس » .

وقال أيضاً :

« إن أوّل من غنى هذا الغناء العربىّ بمكة ابن مسجح مولى بنى مخزُوم ، وذلك أنه مرّ بالفرْس وهم يبنون المسجد الحرام ، فسمع غناءهم بالفارسية فقلبه فى شعر عربىّ ، وهو الذى علم ابن سريج والغريض ، وكان ابن مسجح مولداً أسود يكنى بأبى عيسى »

(١) البزنطية (بضم الباء الموحدة وفتح الزاى يليها نون ساكنة بعدها طاء مكسورة ثم ياء مثناة مشددة وفى الآخر هاء) : نسبة إلى بزنطية وهى مدينة القسطنطينية قبل أن تبنى ، ويراد بالبزنطية : قوم من الروم الشرقيين عرفوا بهذا الاسم منذ عهد قسطنطين الكبير إلى سقوط القسطنطينية بيد الترك . والأسطوخوسية : يراد بهم قوم آخرون من أسطوخوس أو أسطوخادش ، وهى جزيرة فى جنوبى فرنسا كان أهلها معروفين بالقصف والغناء والأنس ، كما هم عليه إلى هذا العهد ، وكان سكانها خليطاً من الروم واليونانيين والقلطيين وبقايا الفلسطينيين (عن الأب أنستاس مارى الكرملى فى المجلد الثانى من مجلة الزهراء ص ٣٥٨ — ٣٦١) .

وحدّثنا عن سبب بناء الكعبة قال :

« كان سببُ بناء ابن الزّبير الكعبة لما احترقت، أنّ أهل الشأم لما حاصروه سمع أصواتاً بالليل فوق الجبل ، فخاف أن يكون أهلُ الشأم قد وصلوا إليه ، وكانت ليلةً ظلماء ذات ريح شديدة صعبة ورعد وبرق ، فرفع ناراً على رأس رمح لينظر إلى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها واستطالت فيها ، وجهد الناسُ كلهم فى إطفائها فلم يقدروا ، وأصبحت الكعبةُ تتهافتُ[1] وماتت امرأة من قريش ، فخرج الناسُ كلهم فى جنازتها خوفاً من أن ينزل العذاب عليهم ، وأصبح ابن الزبير ساجداً يدعو ويقول : اللهم إنى لم أتعمد ما جرى فلا تهلك عبادك بذنبى وهذه ناصيتى بين يديك ، فلما تعالى النهار أمن وتراجع الناسُ ، فقال لهم : الله الله أن ينهدم فى بيت أحدكم حجرٌ فيزول عن موضعه فيبنيهُ ويصلحه وأترك الكعبة خراباً ، ثم هدمها مبتدئاً بيده وتبعه الفَعلةُ حتى بلغوا إلى قواعدها ، ودعا ببنائين من الفرس والروم فبناها »

وقال أيضاً :

« أوّل منْ نقل الغناء الفارسىّ إلى الغناء العربىّ سعيدُ بن مسجح مولى بنى مخزُوم ، وذلك أنّ معاوية بن أبى سفيان لما بنى دُوره التى يقال لها : « الرّقطُ[2] » — وهى ما بين الدارين إلى الرّدم[3] — أوّلها الدارُ البيضاءُ وآخرها دارُ الحمّام ، وهى على يسار المصْعد من المسجد إلى « ردْم عمر » حمل لها

(١) تتهافت : أى تتساقط حجراً حجراً .

(٢) تعرض الأزرقى فى تاريخ مكة لدور معاوية وذكر أن من بينها داراً تسمى « الرقطاء » وسميت بذلك لأنها بنيت بالآجر الأحمر والجص الأبيض ومنها « الدار البيضاء » وسميت بذلك لأنها بنيت بالجص ثم طليت به ، وكانت كلها بيضاء ، ثم ذكر بقية الدور بأسمائها ولم يذكر أن هناك دوراً تسمى الرقط (انظر صفحتى ٤٤٩ ، ٤٥٠ طبع ليبسك) .

(٣) يريد به ردم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد ورد فى تاريخ مكة أيضاً (ص ٤٥٠) .

بنّائين فرْساً من العراق فكانوا يبنونها بالجصّ والآجرّ، وكان سعيدُ بن مسجح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بنيانهم، فما استحسن من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربىّ، ثم صاغ على نحو ذلك، وهو الذى علّم الغريض».

وحدّثنا عن ابن مسجح فى حداثته وصفته قال: «كان ابن مسجح فطناً كيساً ذكياً. وكان أصفر حسن اللون، وكان مولاه معجباً به، وكان يقول فى صغره: ليكونن لهذا الغلام شأنٌ، وما منعنى من عتقه إلا حسن فراستى فيه، ولئن عشتُ لأتعرّفنّ ذلك. وإن متّ فهو حرّ»(١).

وكان يعبر عن غناء ابن مسجح ومن أخذوا عنه ومن فى طبقتهم بالغناء القديم.

٣ – أول منْ دوّن الغناء:

وذكر الأصبهانىّ أيضاً فى كتابه الأغانى أن ليونس(٢) الكاتب كتاباً فى الأغانى وأنه أوّل من دوّن الغناء، إذ قال فى ترجمته:

«إن يونس الكاتب بن سليمان منشؤه ومنزله بالمدينة، وكان أبوه فقيهاً فأسلمه فى الديوان، فكان من كتّابه، وأخذ الغناء عن معبد وابن سريج وابن محْرز والغريض. وكان أكثر روايته عن معبد... وله غناءٌ حسنٌ وصنعةٌ كثيرةٌ وشعرٌ جيد. وكتابه فى الأغانى ونسبتها إلى من غنى فيها هو الأصل الذى يُعمل عليه ويرْجع إليه. وهو أوّل من دوّن الغناء وتوجه إلى الشأم واتصل بالوليد(٣)» اهـ

(١) انظر ما نقلناه هنا من أقوال أبى الفرج عن ابن مسجح فى الأغانى (ج ٣ ص ٢٧٦ – ٢٨٤ طبع دار الكتب المصرية فى أخبار ابن مسجح ونسبه).

(٢) يونس الكاتب بن سليمان المعروف بيونس المغنى، نشأ بالمدينة وكان من الكتاب، وأخذ الغناء عن معبد وابن سريج وابن محرز والغريض، واستقدمه الوليد بن يزيد فلازمه حتى قتل. وهو أول من ألف كتاباً فى الأغانى ونسبتها إلى من غنى فيها، وله كتب مشهورة فى الأغانى والمغنين، ومن كتبه: كتاب مجرد يونس، كتاب القيان، كتاب النغم. ويقال: إن إبراهيم عنه أخذ. (فهرست ابن النديم ص ١٤٥).

(٣) انظر ترجمته فى الأغانى (ج ٤ ص ٣٩٨ – ٤٠٤ طبع دار الكتب المصرية).

٤ ـ صفات المغنى :

ونقل لنا رأى ابن سريج فى صفات المغنّى قال : « المصيبُ المحسنُ من المغنين هو الذى يشبع الألحان ، ويملأ الأنفاس ، ويعدّل الأوزان ، ويفخم الألفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقيم الإعراب ، ويستوفى النغم الطوال ، ويحسن مقاطيع النغم القصار ، ويصيبُ أجناس الإيقاع ، ويختلسُ مواقع النبرات ، ويستوفى ما يشاكلها فى الضرب من النقرات (١) »

٥ ـ الكلمات الاصطلاحية لأصول الغناء وقواعده :

وإليك بعض الكلمات الاصطلاحية (٢) الواردة فى كتاب الأغانى لأصول الغناء وقواعده نذكرها على سبيل المثال ، ونكتفى بالإشارة إلى ورودها فى موضع واحد من كتاب الأغانى ، وهى مرتبة ترتيباً هجائياً :

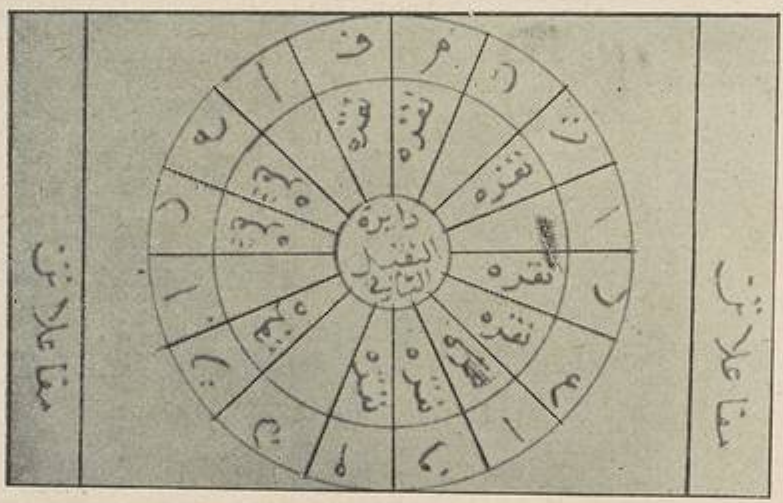
* * *

(١) الأغانى (ج ١ ص ٣١٥ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) قد أفردنا لهذه الكلمات الاصطلاحية معجماً خاصاً يشتمل على جميع ما ورد منها فى أجزاء كتاب الأغانى . وكذا الكلمات اللغوية التى انفرد بشرحها أبو الفرج فى كتابه ولم توجد فى معاجم اللغة . وكذا الألفاظ الاصطلاحية التى كانت مستعملة فى عهدى الدولة الأموية والدولة العباسية ، وقد ذكرنا بعض نماذج منها هنا على سبيل المثال .

حرف الثاء

الاسم	جزء	صفحة	سطر	الطبع
ثانى ثقيل	١	٨٦	١٥	دار الكتب المصرية
ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر	٤	٢٩٢	١٨	» » »
ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى	٤	٦٤	٧	» » »
ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى	٤	٤٠٦	٨	» » »
ثانى ثقيل بالبنصر	١	٥٣	٦	» » »
ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى الوسطى	٤	٤٠٦	٧	» » »
ثانى ثقيل بالخنصر والبنصر	١	١١٧	١٠	» » »
ثانى ثقيل بالسبابة فى مجرى البنصر	١	٨٦	١٠	» » »
ثانى ثقيل الوسطى بالسبابة فى مجرى	١	١٢١	١٢	» » »
ثانى ثقيل بالوسطى	١	٤٣	١٤	» » »
ثانى ثقيل بالوسطى فى مجراها	٤	٤٠٤	٨	» » »
ثانى ثقيل بالوسطى والخنصر	١	٥٣	٦	» » »
ثانى ثقيل تشترك فيه الأصابع	١	٨٦	١٤	» » »
ثانى ثقيل الطويل	٤	٣٣٥	٢	» » »
ثانى ثقيل مطلق فى مجرى الوسطى	١	٦٠	٩	» » »
الثقيل	٤	٢١٩	٤	» » »
ثقيل أول	١	٢٦	١٦	» » »
ثقيل أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر	١	٢٧	٧	» » »

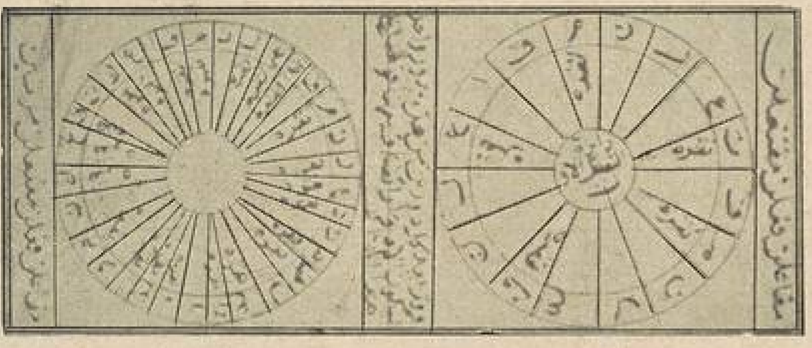


صورة توضح دائرة الثقيل الثانى ووزن ضربه . منقولة من الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية لصفى الدين عبد المؤمن بن أبى المفاخر الأرموى البغدادى المتوفى سنة ٦٩٣ هـ .
وهى مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ فنون جميلة

الاسم	جزء	صفحة	سطر	الطبع
ثقيل أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى	٤	٣٠١	٨	دار الكتب المصرية
ثقيل أوّل بالبنصر	١	٨٠	٩	» » »
ثقيل أوّل بالخنصر فى مجرى البنصر	١	٢٨	١٥	» » »
ثقيل أوّل بالسبابة	٤	٢٩٥	١٨	» » »
ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى البنصر	١	٤٢	٩	» » »
ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى	١	٢٧	١٤	» » »
ثقيل أوّل بالوسطى	١	١١	٢٠	» » »
ثقيل أوّل مطلق فى مجرى البنصر	٤	٢٦٥	٣	» » »
ثقيل أوّل مطلق فى مجرى الوسطى	٤	٤١	١٧	» » »
ثقيل بالوسطى	١	١٢٧	١٩	» » »
الثقيل الثانى	١	٢٧٠	٣	» » »

حرف الخاء

خفيف ثقيل	١	٥٢	١٥	» » »
خفيف الثقيل الأوّل	١	٨	٢	» » »
خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر	١	٩٣	٥	» » »
خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى	١	٢٨٢	١٤	» » »
خفيف ثقيل الثانى بالبنصر (الماخورى)	١	١٦١	٤	» » »



صورة توضح الثقيل الأول ووزن ضربه . منقولة من الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية لصفى الدين عبد المؤمن بن أبى المفاخر الأرموى البغدادى المتوفى سنة ٦٩٣ ﻫ وهى مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ فنون جميلة



صورة توضح دائرة خفيف الثقيل ووزن ضربه . منقولة من الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية لصفى الدين عبد المؤمن بن أبى المفاخر الأرموى البغدادى المتوفى سنة ٦٩٣ ﻫ . وهى مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ فنون جميلة

حرف الراء

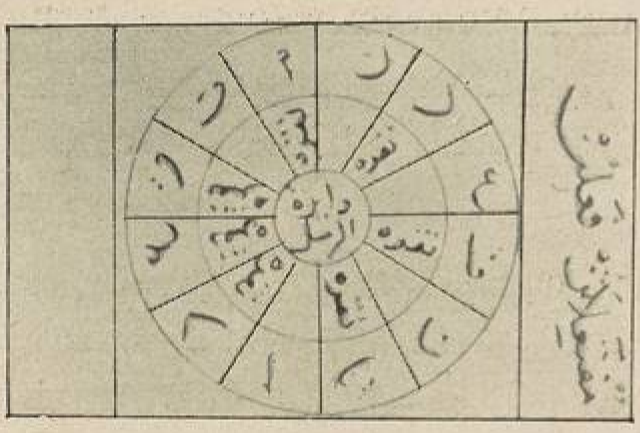
الاسم	جزء	صفحة	سطر	الطبع
رمل	١	٥٠	١٥	دار الكتب المصرية
رمل بالبنصر	١	١٠٣		» » »
رمل بالخنصر فى مجرى البنصر	١	٢٣٢	١	» » »

حرف الميم

الماخورى = خفيف ثقيل الثانى بالبنصر				

حرف الهاء

هزج	١	٨	١٣	» » »
هزج بالبنصر يمان	١	١١٧	١١	» » »



صورة توضح دائرة الرمل ووزن ضربه . منقولة من الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية لصفى الدين عبد المؤمن بن أبى المفاخر الأرموى البغدادى المتوفى سنة ٦٩٣ هـ . وهى مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ فنون جميلة



صورة توضح دائرة مضاعف الرمل ووزن ضربه . منقولة من الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية لصفى الدين عبد المؤمن بن أبى المفاخر الأرموى البغدادى المتوفى سنة ٦٩٣ هـ . وهى مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ فنون جميلة

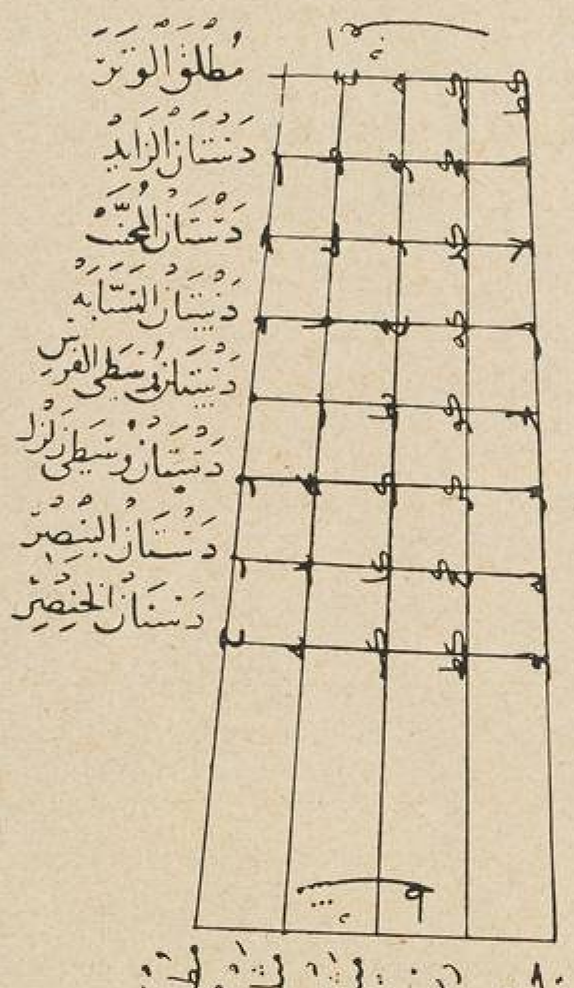
٦ — ابن خرْدَاذْبه وتفسيره للكلمات الاصطلاحية الخاصّة بأصول الغناء وقواعده :

سأل المعتمد على الله الخليفة العباسىّ ابن خرْدَاذْبه — وكان من أشهر علماء عصره فى تاريخ الغناء — عن منزلة الإيقاع من الغناء وأنواع الطرق وفنون الغناء فأجابه :

« قد قال فى ذلك يا أمير المؤمنين منْ تقدّم أن منزلة الإيقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر ، وقد أوضحوا الإيقاع ورسموه بسمات ، ولقبوه بألقاب ، وهو أربعة أجناس : ثقيل الأوّل وخفيفه ، وثقيل الثانى وخفيفه . والرّمل الأول وخفيفه ، والهزَج وخفيفه . والإيقاع هو الوزن ، ومعنى أوقع : وزن ، ولم يوقع خرج من الوزن ، والخروج : إبطاء عن الوزن أو سرعة ، فالثقيل الأوّل نقره : ثلاثة ثلاثة : اثنتان ثقيلتان بطيئتان ثم نقرة واحدة . وخفيف ثقيل الثانى نقره : اثنتان متواليتان وواحدة بطيئة ، واثنتان مردودتان . وخفيف الرمل نقره : اثنتان اثنتان مزدوجتان ، وبين كلّ زوج وقفة . والهزج نقره : واحدة واحدة مستويتان ممسكة . وخفيف الهزج نقره : واحدة واحدة متساويتان فى نسق واحد أخفّ قدراً من الهزج . والطرائق ثمان : الثقيلان : الأوّل والثانى وخفيفهما ، وخفيف الثقيل منهما يسمىّ بالماخورى ، وإنما سمى بذلك لأن إبراهيم بن ميمون المولى ، وكان من أبناء فارس وسكن الموصل ، كان كثير الغناء فى هذه المواخير (١) بهذه الطريقة . والرمل وخفيفه ، ويتفرع من كلّ واحد من هذه الطرائق : مرموم ومطلق ، ويختلف مواقع الاصطلاح فيها فيحدث لها ألقاباً تميّزها كالمحصور والمجبول والمخنوث والمخدوع والأرواح .

والعود عند أكثر الأمم وجلّ الحكماء يونانىّ صنعه أصحاب الهندسة على هيئة طبائع الإنسان ، فإن اعتدلت أوتاره على الأقدار الشريفة جانس الطبائع فأطرب ، والطرب ردّ النفس إلى الحال الطبيعية دفعة ، وكل وتر مثل الذى يليه ، ومثل ثلثه ، والرسان الذى يلى الأنف موضوع على خط النسع من جملة الوتر .

(١) المواخير جمع ماخور ، وهو بيت الريبة ومن يلى ذلك البيت ويقود إليه ، معرب .



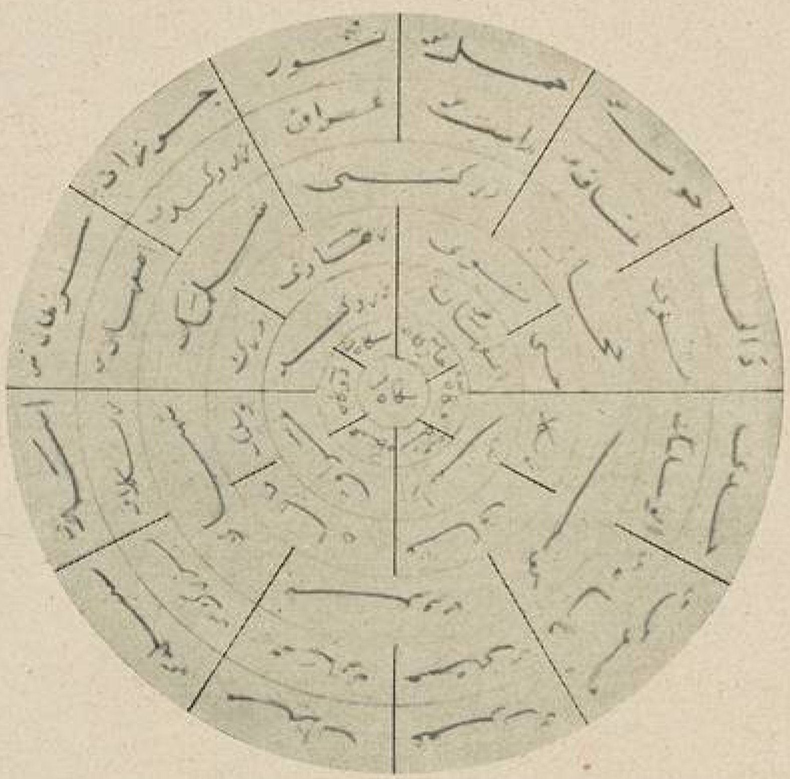
صورة تمثل بنجق العود وأسماء الأوتار والدساتين على اصطلاح القدماء . منقولة من كتاب الأدوار فى علم الموسيقى للعلامة عبد المؤمن بن أبى المفاخر الأرموى البغدادى المتوفى سنة ٦٩٣ هـ ، وهو كتاب مخطوط بخط عبد الكريم بن السهروردى فى سنة ٧٢٧ هـ .

ومحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨ فنون جميلة

(من أراد تفصيل هذا بإيضاح واف فليراجع الفصل الثالث عشر من هذا الكتاب) .

فهذه يا أمير المؤمنين جوامع فى صفة الإيقاع ومنتهى حدوده . ففرح المعتمد فى هذا اليوم وخلع على ابن خُرْدَاذْبه وعلى مَنْ حضره من ندمائه وفضّله عليهم، وكان يوم لهو وسرور[1] »

(١) مروج الذهب للمسعودى (ج ٢ ص ٣٥٨ طبع بولاق) .



صورة دائرة لمعرفة الأنغام نقلا عن كتاب الإنعام فى معرفة الأنغام لشمس الدين الصيداوى الدمشقى وهو كتاب مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٢ فنون جميلة

٧ ـ الكلمات الاصطلاحية الواردة
فى كتاب الأغانى

وجاء فى مقال نشر فى المجلد الخامس من مجلة المقتبس صفحة ٢٠٨ تحت عنوان: (مصطلحات آلات الطرب وأغانى العرب) بحث فى اصطلاح الأصوات وأنواع الألحان الواردة فى كتب الأغانى ، وهو مأخوذ من كتاب مخطوط اسمه: « نيل السعود فى ترجمة الوزير داود » كتب سنة ١٢٣٢ هـ كما ذكر فى وصفه فى المجلد الثانى من مجلة المقتبس ص ٣٨٥ وعنوان البحث فى هذا الكتاب : « العود ومصطلحاته » .

وحيث إنّ الأصوات الواردة أسماؤها فى كتاب الأغانى غير معروفة على كثرة بحث العلماء عنها ، رأينا نقل ما له تعلق ببيان اصطلاحها من هذا المقال إفادة للقراء ، وهو :

قال صاحب الكتاب (العود ومصطلحاته) فى الصفحة ٢٢١ من المخطوط وما يليها :

« كثيراً ما كنتُ أطالع فى كتاب الأغانى ألفاظاً فى مصطلح الغناء وما كنت أتوصل إلى فهمها حتى ظفرت أخيراً برسالة لعبد القادر بن غيبى الحافظ المراغى المشهور بعلم الألحان ، فأخذتُ عنه ما يتعلق بفتح مغلق الكلام الخاصّ بهذا العلم فأقول :

إعلم أن الألفاظ الواردة فى كتاب الأغانى تتعلق كلها بالعود العربىّ ، فإذا علمت تركيب هذه الآلة هان عليك فهم ما أشكل عليك من مصطلحها . فهذه الآلة طولها مثل عرضها مرّة ونصفاً ، وغورها كنصف عرضها ، وعنقها

كربع طولها فى الراحة وثخن الورقة من الخشب خفيف . ووجهها أصلب ، وتمدّ عليه أربعة أوتار أغلظها البمّ بحيث يكون غلظه مثل المثلث الذى يليه مرّة وثلثاً ، والمثلث إلى المثنى كذلك ، والمثلث[1] مثل الزير كذلك . وقد ضبطوها بطاقات الحرير فقالوا :

يجب أن يكون البمّ أربعاً وستين طاقة ، والمثلث ثمانياً وأربعين ، والمثنى ستاً وثلاثين ، والزير سبعا وعشرين . وتجعل رءوسها من جهة العنق فى ملاو ، والأخرى كمشط فتتساوى أطوالها . ثم يقسم الوتر أربعة أقسام طولا ويشدّ على ثلاثة أرباعه مما يلى العنق ، وهذا دستان الخنصر . ثم ينقسم الآخر تسعة ويشدّ على تسعة مما يلى العنق ، وهذا دستان السبابة . ثم يقسم ما تحت دستان السبابة إلى المشط اتساعاً متساوية ويشدّ على التسع مما يلى المشط ، ويسمى دستان البنصر فيقع فوق دستان الخنصر مما يلى دستان السبابة . ثم ينقسم الوتر من دستان الخنصر مما يلى المشط ثمانية أقسام ، وضعّفْ إليها جزءاً مثل أحدها مما بقى من الوتر وشدّه فهو دستان الوسطى ، ويكون وقوعه بين السبابة والبنصر . فهذه الاصطلاحات هى المصححة للنسب . فإذا جذب وتر منها إلى غاية معلومة سمّى الزير ، فيجذب المثنى على نسبة تليه فى الانحطاط وهذا مع الجسّ[2] بالخنصر والضرب حتى يقع التساوى .

وتكلم بعد هذا على مناسبة أنواع الوتر للعناصر والطباع . ثم قال : قوانين الغناء لا تخرج عن ثمانية .

ثقيل أوّل ورسمه :

تنْ تنْ تنْ . تنْ تنْ تنْ .

---

(١) كذا فى المجلة المنقول عنها هذا الموضوع ولعله والمثنى إلى الزير كذلك .

(٢) فى المجلة « الجنس » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وهو مركب من تسع نقرات هى ثلاث متواليات وواحدة كالسكون فخمس مطوية الأول .

وثقيل ثان ، وهذا رسمه :

تنّ تنّ تنْ . تنّ تنّ تنْ .

وهو مركب من إحدى عشرة وهى ثلاث متواليات فواحدة ساكنة فثقيلة فأربع مطوية الأوّلى .

وخفيف الثقيل الثانى ويسمى الماخورى ، وهذا رسمه :

تنْ تنْ تنْ تنْ تنْ تنْ

وهو مركب من ستّ : ثلاث متواليات فسكون ثم ثلاث .

ورمل ويسمى ثقيل الرمل ، وهذا رسمه :

تنّ تنْ تنْ . تنّ تنْ تنْ .

وهو مركب من سبع وهى ثقيلة أولى فمتواليتان فسكون وهكذا إلى آخره .

وخفيفة ، وهذا رسمه :

تنْ تنْ . تنْ تنْ . تنْ تنْ . تنْ تنْ

وهو مركب من ثلاث نقرات متوالية متحركة .

وخفيف الخفيف ، ورسمه :

تنْ تنْ تنْ . تنْ تنْ تنْ

وهو مركب من نقرتين بينهما سكون قدر واحدة .

وهزج ، ورسمه :

تنْ تنْ تنْ تنْ . تنْ تنْ تنْ تنْ

وهو مركب من نقرة كالسكون ثم سكون قدر نقرة ثم بين كلّ اثنتين سكون .

فهذه أصول التراكيب وإنما تكرر بحسب استيفاء الأدوار .

وتكلم بعد هذا على أنواع أخرى من الأغانى ثم قال :

واعلم أن اللحن يسمى مطلقاً إذا لم يكن مقيداً بلفظة تدلّ على وصفه كالثقيل والخفيف وخفيف الخفيف . ويذكر بعد اللحن موقع الأصبع الذى يبتدأ به ليهتدى إلى قراره ، فيقال مثلا : ثانى ثقيل مطلق ، أو ثانى ثقيل بالوسطى ، أو بالخنصر فى مجرى البنصر ، أو خفيف رمل بالبنصر ، أو خفيف ثقيل أوّل بالبنصر إلى غير ذلك ، وهو المعروف عند أصحاب هذا الفنّ بمواقع الأصابع من الدساتين[1] .

---

(١) راجع الجزء الأول من كتاب الأغانى (ص ٣٩ – ٤٢ من التصدير طبع دار الكتب المصرية) .

الفصل الثانى

الغناء والموسيقى فى عهد الدولة الأموية

قبل أن نسوق الأمثلة عن ذلك من كتاب الأغانى نذكر ما قاله إسحق بن إبراهيم الموصلى عن أحوالهم وقد سأله الجاحظ . وإليك سياق الحديث :

١ ــ أحوال الخلفاء الأمويين فى سماع الغناء :

قال الجاحظ : قلتُ لإسحاق بن إبراهيم : هل كانت الخلفاء من بنى أمية تظهر للندماء والمغنين ؟ قال : « أما معاويةُ ومرْوانُ وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومرْوان بن محمد ، فكان بينهم وبين الندماء ستارة ، وكان لا يظهر أحدٌ من الندماء على ما يفعله الخليفة إذا طرب للمغنى والتذّ حتى ينقلبَ ويمشى ويحرّك كتفيه ويرقص ويتجرّد حيث لا يراه إلا خواصّ جواريه ، إلاّ أنه كان إذا ارتفع من خلف الستارة صوتٌ أو نعيرُ طرَب أو رقصٌ أو حركةٌ بزفير تجاوز المقدار ، قال صاحب الستارة : حسبكِ يا جارية ! كفى ! انتهى ! أقصرى ! يوهمُ الندماء أنّ الفاعل لذلك بعض الجوارى .

فأما الباقون من خلفاء بنى أمية فلم يكونوا يتحاشوْن أن يرقصوا ويتجرّدوا ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنين . وعلى ذلك لم يكن أحدٌ منهم فى مثل حال يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد فى المجون والرّفث بحضرة الندماء والتجرّد ، ما يباليان ما صنعا » .

وسئل عن عمر بن عبد العزيز فقال . « ما طنّ فى سمعه حرفُ غناء منذ أفضتْ الخلافة إليه إلى أن فارق الدنيا . فأما قبلها ــ وهو أمير المدينة ــ فكان

يسمع الغناء ، ولا يظهر منه إلا الأمر الجميل ، وكان ربما صَفّق بيديه ، وربما تمرّغ على فراشه وضرب برجليه وطرب ، فأما أن يخرج عن مقدار السرور إلى السخْف فلا[1] » .

وإليك أمثلة من أحوالهم فى الشرب واللهو وسماع الغناء ساقها أبو الفرج فى كتابه الأغانى . ونبدأ أولًا بوصف الإمام الجاحظ :

٢ ـ أحوالهم فى الشرب واللهو :

قال الجاحظ أيضاً :

كان يزيد بن معاوية لا يمسى إلاّ سكرانَ ، ولا يُصبح إلاّ مخموراً .

وكان عبد الملك بن مرْوان يسكر فى كل شهر مرة حتى لا يعقل فى السماء هو أو فى الماء ويقول : إنما أقصد فى هذا إلى إشراق العقل ، وتقوية مُنة الحفظ ، وتصفية موضع الفكر ، غير أنه كان إذا بلغ آخر هذا السكر أفرغ ما كان فى بدنه حتى لا يبقى فى أعضائه منه شىء ، فيصبح خفيف البدن ذكىّ العقل والذهن نشيط النفس قوىّ المنة .

وكان الوليد بن عبد الملك يشربُ يوماً ويدعُ يوماً . وكان سليمان بن عبد الملك يشرب فى كل ثلاث ليال ليلة .

ولم يشرَبْ عمر بن عبد العزيز منذُ أفضتْ اليه الخلافةُ إلى أن فارق الدنيا ، ولا سمع غناء . وكان هشام يسكر فى كلّ جمعة .

وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يدْمنان اللهو والشرب . فأما يزيد ابن الوليد فكان دهره بين حالين : بين سكر وخُمار ، ولا يوجد أبداً إلاّ ومعه إحدى هاتين . وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت[2] .

(١) التاج فى أخلاق الملوك للجاحظ (ص ٣١ – ٣٣) .
(٢) التاج (ص ١٥١ – ١٥٢) .

٣– الغناء وآلات الطرب فى عهد الدولة الأموية :

وصف لنا أبو الفرج أغانى الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم ، مع نبذة من أخبارهم وسيرهم ، والأصوات التى غنوا فيها وإليك ما قال :

(ا) – غناء عمر بن عبد العزيز :

« فأوّل من دوّنت له صنعةٌ منهم عمر بن عبد العزيز ، فإنه ذُكر عنه أنه صنع فى أيام إمارته على الحجاز سبعةَ ألحان يذكر سعاد فيها كلها ، فبعضها عرفتُ الشاعر القائلَ له فذكرتُ خبره ، وبعضها لم أعرف قائله فأتيتُ به كما وقع إلىّ ، فإن مرّ بى بعد وقتى هذا أثبته فى موضعه وشرحتُ من أخباره ما اتصل بى ، وإن لم يقع لى ووقع إلى بعض من كتب هذا الكتاب فمن أقلّ الحقوق عليه أن يتكلف إثباته ولا يستثقل تجشم هذا القليل فقد وصل إلى فوائد جمة تجشمناها له ولنظرائه فى هذا الكتاب ، فحظى بها من غير نصَب ولا كدْح ، فإنّ جمالَ ذلك موفر عليه إذا نسب إليه ، وعيبه عنا ساقطٌ مع اعتذارنا عنه إن شاء الله .

ومن الناس من ينكر أن تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصنعة ويقول : إنها أصواتٌ محكمة العمل لا يقدر على مثلها إلاّ من طالت دُرْبته بالصّنعة وحذق الغناءَ ومهر فيه وتمكن منه . ولم يوجد عمر بن عبد العزيز فى وقت من الأوقات ولا حال من الحالات اشتهر بالغناء ولا عرف به ولا بمعاشرة أهله ، ولا جالس منْ ينقل ذلك عنه ويؤدّيه ، وإنما هو شيء يحسّن المغنون نسبته إليه . ورُوِى من غير وجه خلافٌ لذلك وإثباتٌ لصنعته إياها ، وهو أصحّ القولين ، لأنّ الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجة أكثر من هذا الظنّ والدعوى . ومخالفوهم قد أيدتهم أخبار رُويت(١) » .

(١) الأغانى (ج ٩ ص ٢٥٠ – ٢٥١ طبع دار الكتب المصرية) .

ثم ساق الأصوات التى غنىّ فيها عمر بن عبد العزيز(١)

(ب) – غناء يزيد بن عبد الملك :

قال أبو الفرج :

« وممن حكى عنه أنه صنع فى شعره غناء يزيدُ بن عبد الملك ، ولم يأت ذلك برواية عمن يحصّل قوله كما حكى عن عمر بن عبد العزيز ، وإنما وُجد فى الكتب أنه صنع لحناً فى شعره ، وذكره من لا يوثق به ، ولم نرْوه عن أحد فلم نأت بأخباره هاهنا مشروحة ، وأتيتُ بها فى أخباره مع حبابةَ بحيث يصلحُ . وأما اللحن الذى ذُكر أنه صنعه فهو :

أبلغْ حَبَابةَ أَسْقَى رَبْعَهَا المطرُ ما للفؤاد سِوَى ذِكراكُمُ وَطَرُ
إن سار صَحْبِىَ لم أَمْلَلْ بذكركمُ أوعرّسوا فهمومُ النفسِ والفِكَرُ

ثم قال :

« وحكى عن الهيثم بن عدىّ أنّ يزيد بن عبد الملك لما رأى حبابةَ تعلقها ولم يقدر على ابتياعها خوفاً من أخيه سليمان أو من عمر بن عبد العزيز ، وقال فيها هذين البيتين وهوراحل عن الحجاز(٢) » .

وقالت ظبية (مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب) :

« إنّ يزيد بن عبد الملك قال لحبابةَ يوماً : أتعرفين أحداً هو أطربُ منى ؟ قالت : نعمْ ، مولاىَ الذى باعنى . فأمرَ بإشخاصه ، فأشخص إليه مقيداً ، وأعلم بحاله فأذنَ فى إدخاله ، فمثل بين يديه وحبابة وسلاّمة تغنيان ، فغنته سلاّمة لحن الغريض فى :

تَشِطُّ غـــــداً دارُ جيرانِنَا

(١) انظر الأغانى (ج ٩ ص ٢٥١ – ٢٥٣ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الأغانى (ج ٩ ص ٢٧٤) .

فطربَ وتحرّكَ فى أقياده ، ثم غنته حبابةُ لحنَ ابن سريج المجرّد فى هذا الشعر ، فوثب وجعل يحجلُ(١) فى قيده ويقول : هذا وأبيكما مالا تعذُلانى فيه ، حتى دنا من الشمعة فوضع لحيته عليها فاحترقتْ ، وجعل يصيحُ : الحريقَ الحريقَ يا أولادَ الزّنا ، فضحكَ يزيدُ وقال : هذا والله أطربُ الناس حقاً ، ووصله وسرّحه إلى بلده(٢) » .

(ج) — غناء الوليد بن يزيد :

قال أبو الفرج :

« وممن غنى منهم : الوليد بن يزيد .

وله أصوات صنعها مشهورةٌ ، وقد كان يضرب بالعود ، ويوقع بالطبل ، ويمشى بالدفّ على مذهب أهل الحجاز .

قال خالدُ صامةَ :

كنتُ يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيه :

أرانِى الله يا سَلْمَى حياتى

وهو يشرب حتى سكر . ثم قال لى : هات العودَ ، فدفعته إليه ، فغناه أحسنَ غناء ، فنفِستُ عليه إحسانه ، ودعوت بطبل فجعلت أوقع عليه وهو يضربُ حتى دفع العودَ وأخذ الطبل فجعل يوقع به أحسنَ إيقاع ، ثم دعا بدُفٍّ فأخذه ومشى به وجعل يغنى أهزاجَ طويس حتى قلتُ قد عاش ، ثم جلس وقد انبهر ، فقلت : يا سيدى ، كنت أرى أنك تأخذ عنا ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك ! فقال : اسكت ويلكَ ! فوالله لئن سمع هذا منك أحدٌ ما دمتُ حياً لأقتلنك . فوالله ما حكيته عنه حتى قتل(٣) » .

---

(١) حجل المقيد : رفع رجلا وتريث فى مشيه على رجله الأخرى .

(٢) الأغانى (ج ١ ص ٣١٦ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) الأغانى (ج ٩ ص ٢٧٤ — ٢٧٥ طبع دار الكتب المصرية) .

وذكر أبو الحسن المدائنىّ :

« أن يحيى مولى العبلات المعروف بفيل ، وهو الذى غنّى :

أَزْرَى بنا أننا شالَتْ نَعامتُنا

كان مقيما بمكة . فلما قدمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن الناس غناء ، وحكاية لابن سرَيج ، فقيل له : فيل . فدعاه وقال له : إمش لى بالدّفّ ففعل . ثم قال له الوليد : هاته حتى أمشيَ به ، فإن أخطأتُ فقوّمنى ، فمشى به أحسنَ من مشية فيل . فقال له يحيى : جعلت فداءك! إيذَنْ لى حتى أختلف إليك لأتعلم منك .

فمن مشهور صنعته فى شعره :

وصَفْراء فى الكأس كالزعفرانْ سباها التُّجِيبىُّ من عَسْقَلانْ

تُرِيك القَذَاةَ وعَرْضُ الإناء سِتْرٌ لها دون لَمْسِ البَنانْ»[١]

(د) — يزيد بن معاوية أوّل من اتخذ الملاهى وآوى المغنين وشرب الخمر جهراً :

قال لقيط بن نصر المحاربىّ :

« كان يزيد بن معاوية أوّل منْ سنّ الملاهى فى الإسلام من الخلفاء ، وآوى المغنين وأظهر الفتك ، وشرب الخمر ، وكان ينادم عليها سرحون النصرانىّ مولاه والأخطل . وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر فيقيم عنده فيخلع عليه ويصله ، فغناه يوماً :

يا للرجال لمظلومٍ بضاعتهُ ببطْنِ مكةَ نائى الأهْل والنفَرِ[٢]

إن الحرام لمن تمّت حرامته ولا حرام لثوبى لابس الغدر

فاعترته أريحية فرقص حتى سقط ، ثم قال : أخلعوا عليه خلعاً يغيب فيها

(١) الأغانى (ج ٩ ص ٢٧٥ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الأغانى (ج ١٦ ص ٧٠ — ٧١ طبع بولاق) .

حتى لا يرى منه شيء ، فطرحت عليه الثياب والجباب والمطارف والخزّ حتى غاب فيها .

(هـ) — طلب نصيب الشاعر من عبدالملك بن مروان أن ينادمه على الشراب فأجابه :

قال المدائني :

« دخل نُصيبٌ على عبد الملك فتغدّى معه . ثم قال : هل لك فيما نتنادَمُ عليه ؟ فقال : تُؤمِّنني ؟ فقعل ، فقال : لوني حائلٌ ، وشعري مفلفلٌ ، وخلقتي مشوهةٌ ، ولم أبلغ ما بلغتُ من إكرامك إيايَ بشرف أب أو أمّ أو عشيرة ، وإنما بلغته بعقلي ولساني . فأنشدُك الله يا أمير المؤمنين أن تحول بيني وبين ما بلغتُ به هذه المنزلة عنك ، فأعفاه (١) .

(و) — غناء الغريض للوليد بن عبد الملك وسروره بذلك :

وذكر السعديّ :

« أن الوليد بن عبد الملك قدم مكة ، فأراد أن يأتيَ الطائف ، فقال : هل من رَجل عالم يخبرني عنها ؟ فقالوا : عمر بن أبي ربيعة ، قال : لا حاجة لي به ثم عاد فسأل ، فذكرُوه فأباه ، ثم عاد فذكروه فقال : هاتوه ، وركب معه فجعل يحدّثه ثم حوّل عمر رداءه ليصلحهُ على نفسه ، فرأى الوليدُ على ظهره أثراً ، فقال : ما هذا الأثر ؟ قال : كنتُ عند جارية لي إذ جاءتني جاريةٌ برسالة من عند جارية أخرى وجعلت تسارُّني بها ، فغارت التي كنتُ عندها فعضّتْ منكبي ، فما وجدتُ ألمَ عضّها من لذّة ما كانتْ تلك تنفثُ في أذُني حتى بلغتْ ما ترى ، والوليد يضْحك ، فلما رجع عمرُ قيل له : ما الذي كنتَ تضْحك به أمير المؤمنين ؟ قال : ما زلنا في حديث الزّنا حتى رَجع . وكان قد حمل الغريضَ معه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ عندي أجمل الناس وجهاً

(١) الأغاني (ج ١ص ٣٤١ طبع دار الكتب المصرية) .

وأحسنهم حديثاً . فهل لك أن تسمعه ؟ قال : هاته . فدعا به فقال : أسمعْ أميرَ المؤمنين أحسنَ شىء قلته . فاندفع يغنى بشعر عمر — ومن الناس من يرْويه لجميل — :

إنِّى لأحفظُ سِرَّكم ويسُرُّنى لو تعلمين بصالح أن تُذْكَرى
ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرْسَلاً أو نلتقِى فيــه علىَّ كأشهرِ
يا ليتنى ألقَى المنيّة بَغْتةً إن كان يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ
ما كنتِ والوعدَ الذى تَعِدِينَنى إلاَّ كبَرْقِ سَحابةٍ لم تَمْطُرِ
تُقْضَى الدُّيونُ وليس يُنْجزُ عاجلاً هذا الغريمُ لنا وليس بمُعْسِرِ

فاشتدَّ سرورُ الوليد بذلك وقال له : يا عمر هذه رُقْيتك ووصله وكساه وقضى حوائجه (١) » .

٤ — احتمال الهفوة والخطيئة فى سبيل الجوْدة والإتقان :

ووصف لنا ما كان بين عدىّ بن الرّقاع وبين ابن سرَيج فى حضرة الوليد ابن عبد الملك وكيف احتملَ عدىّ بن الرّقاع إهانة ابن سرَيج له فى سبيل جوْدة غنائه وإتقانه فقال : « إنّ الأحوص وابن سرَيج قدما المدينة « دمشق » فنزلا فى بعض الخانات ليصلحا من شأنهما ، وقد قدم عدىّ بن الرّقاع وكانت هذه حالهُ ، فنزل عليهما . فلما كان فى بعض الليل أفاضوا فى الأحاديث ، فقال عدىّ بن الرقاع لابن سرَيج : والله لخروجنا كان إلى أمير المؤمنين أجدَى علينا من المقام معك يا مولى بنى نوفل ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك توشك أن تلهينا فتشغلنا عما قصدنا له . فقال له ابن سرَيج : أو قلة شكر أيضاً ! فغضب عدىّ وقال : إنك لتمنّ علينا أن نزلنا عليك ، وإنى أعاهدُ الله ألاّ يظلّنى وإياك سقفٌ إلاّ أن يكون بحضرة أمير المؤمنين .

(٢) الأغانى (ج ٢ ص ٣٩٥ طبع دار الكتب المصرية) .

وخرج من عندهما . وقدم الوليد من باديته فأذنَ لهما فدخلا . وبلغه خبر ابن الرّقاع وما جرى بينه وبين ابن سرَيج ، فأمرَ بابن سرَيج فأخفى فى بيت ودعا بعدىّ فأدخله ، فأنشده قصيدة امتدحه بها . فلما فرغ ، أومأ إلى بعض الخدم ، فأمر ابنَ سرَيج فغنى فى شعر عدىّ بن الرقاع يمدح الوليد :

عرَفَ الديارَ توَهُّماً(١) فاعتادَها من بعدِ ماشَمِـلَ(٢) البِلى أبلادَها(٣)

فطرب عدىّ وقال : لا والله ما سمعتُ يا أمير المؤمنين بمثل هذا قطّ . ولا ظننت أن يكون مثله طيباً وحسناً . ولوْلا أنه فى مجلس أمير المؤمنين لقلتُ طائف من الجنّ ، أيأذنُ لى أمير المؤمنين أن أقول ؟ قال : قلْ . قال : مثلُ هذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى ابن سرَيج يتخطى به قبائل العرب فيقال : ابن سرَيج المغنى مولى بنى نوْفل بعث أمير المؤمنين إليه ! . فضحك ثم قال للخادم : أخرجه ، فخرج . فلما رآه عدىّ أطرقَ خجلا ثم قال : المعذرةَ إلى الله وإليك يا أخى ، فما ظننتُ أنك بهذه المنزلة ، وإنك لحقيق أن تُحتمل على كلّ هفوة وخطيئة . فأمر لهم الوليد بمال سوّى بينهم فيه ، ونادمهم يومئذ إلى الليل(٤) » .

٥ — إعجاب الخليفة الوليد بن يزيد بجارية تحذق الغناء فاشتراها :

وحدّث أنّ الخليفة الوليد اشترى من دَحْمان المغنى جارية أعجب بغنائها ، وهو لا يعرفه ، فلما عرفه أرسل إليه وأكرمه . قال أبو محمد العامرى الأوَيسىّ : « كان دَحْمان جمّالا يُكرِى إلى المواضع ويتّجر ، وكانت له مروءةٌ ، فبينا هو ذاتَ يوم قد أكرَى جِمَاله وأخذ ماله إذ سمع رنة ، فقام واتبع الصوتَ ، فإذا جاريةٌ قد خرجتْ تبكى ، فقال لها : أمملوكةٌ أنت ؟ قالت : نعم ، فقال :

(١) اعتادها : أعاد النظر إليها مرة بعد مرة لدروسها حتى عرفها .
(٢) شمل : عم .
(٣) أبلادها : آثارها .
(٤) الأغانى (ج ٩ ص ٣١٥ — ٣١٦ طبع دار الكتب المصرية) .

لمنْ ؟ فقالت : لامرأة من قريش ، وسمتها له ، فقال : أتبيعك ؟ قالت : نعم ، ودخلت إلى مولاتها فقالت : هذا إنسان يشترينى ، فقالت : ائذنى له ، فدخل ، فسامها حتى استقرّ أمر الثمن بينهما على مائتى دينار ، فنقدها إياها وانصرف بالجارية . قال دحْمان : فأقامت عندى مدّة أطرَح عليها ويطرَح عليها معبد والأبجر ونظراؤهما من المغنّين ، ثم خرجتُ بها بعد ذلك إلى الشأم وقد حذقتْ ، وكنتُ لا أزال إذا نزلنا أنزل الأكرياء (١) ناحية ، وأنزل معتزلا بها ناحية فى محمل وأطرَح على المحمل من أعبية (٢) الجمّالين ، وأجلس أنا وهى تحت ظلها ، فأخرج شيئاً فنأكله ، ونضع رِكوَة (٣) فيها لنا شراب ، فنشرب ونتغنى حتى نرحل . ولم نزل كذلك حتى قربنا من الشأم . فبينا أنا ذات يوم نازلٌ وأنا ألقى عليها لحنى :

لو ردَّ ذو شَـفَق حِمام منيَّةٍ ... لرددتُ عن عبد العزيز حِماما
صلّى عليكَ اللهُ من مستودَعٍ ... جاورتَ بُوماً فى القبور وهامَا (٤)

قال : فرددته عليها حتى أخذَتْه واندفعتْ تغنّيه ، فإذا أنا براكب قد طلع فسلم علينا فرددنا عليه السلام ، فقال : أتأذنون لى أن أنزل تحت ظلكم هذا ساعة؟ قلنا نعم ، فنزل ، وعرضتُ عليه طعامنا وشرابنا فأجاب ، فقدمنا إليه السفرةَ فأكل وشرب معنا ، واستعاد الصوت مراراً . ثم قال للجارية : أتغنين لدحْمان شيئاً ؟ قالت نعم . قال : فغنته أصواتاً من صنعتى ، وغمزتها ألاّ تعرّفه أنى دحْمان ، فطرب وامتلأ سروراً وشرب أقداحاً والجارية تغنيه حتى قرُب وقتُ الرحيل ، فأقبل علىّ وقال : أتبيعنى هذه الجارية ؟ فقلت نعم ، قال : بكم ؟ قلتُ كالعابث : بعشرة آلاف دينار ، قال : قد أخذتها بها ، فهلمّ دواة وقرْطاساً ،

(١) الأكرياء : جمع كرى وهو المكارى .
(٢) الأعبية : جمع عباء وهو ضرب من الأكسية .
(٣) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .
(٤) الهام : طير الليل وهو الصدى . واحده هامة .

فجئته بذلك ، فكتب : « ادفع إلى حامل كتابى هذا حين تقرؤه عشرةَ آلاف دينار ، واستوص به خيراً وأعلمنى بمكانه » ، وختم الكتابَ ودفعه إلىّ ، ثم قال : أتدفع إلىّ الجارية أم تمضى بها معك حتى تقبض ما لكَ ؟ فقلت : بل أدفعها إليك ، فحملها وقال : إذا جئت البخراء (١) فسلْ عن فلان وادفعْ كتابى هذا إليه واقبض منه مالك ، ثم انصرف بالجارية ، قال : ومضيت ، فلما وردت البخراء سألت عن اسم الرجل ، فدُلت عليه ، فإذا دارُه دارُ مُلْك ، فدخلتُ عليه ودفعتُ إليه الكتابَ ، فقبّله ووضعه على عينيه ، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إلىّ وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، وقال لى : اجلس حتى أعلم أمير المؤمنين بك ، فقلتُ له : حيثُ كنتُ فأنا عبدُك وبين يديك ، وقد كان أمر لى بأنزال (٢) وكان بخيلا ، فاغتنمتُ ذلك فارتحلتُ ، وقد كنت أصبتُ بجملين ، وكانت عدّة أجمالى خمسة عشرَ فصارت ثلاثةَ عشر . قال : وسأل عنّى الوليد ، فلم يدر القهرمانُ أين يطلبنى ، فقال له الوليد : عدّةُ جماله خمسةَ عشرَ جملا فارددْه إلىّ ، فلم أوجد ، لأنه لم يكن فى الرّفقة منْ معه خمسةَ عشرَ جملا ، ولم يعرف اسمى فيسأل عنى . قال : وأقامت الجارية عنده شهراً لا يسأل عنها ، ثم دعاها بعد أن استبرئتْ (٣) وأصلح من شأنها ، فظلّ معها يومه ، حتى إذا كان فى آخر نهاره قال لها : غنينى لدَحمان فغنت ، وقال لها : زيدينى فزادتْ ، ثم أقبلتْ عليه فقالت : يا أمير المؤمنين ، أو ما سمعت غناء دَحمان منه ؟ قال : لا ، قالت : بلى والله ، قال : أقول لكِ لا ، فتقولينَ بلى والله ! فقالت : بلى والله لقد سمعته ، قال : وما ذاك ؟ ويَحك ! قالت : إنّ الرجل الذى اشتريتنى منه هو دَحمان ، قال : أوَذلك هو ؟

(١) البخراء : أرض وماءة على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز ، وبها قتل الوليد ابن يزيد بن عبد الملك .

(٢) الأنزال : جمع نزل (بضمتين وبضم وسكون) : وهو ما هيىء للضيف أن ينزل عليه .

(٣) استبراء الرجل الجارية : ألا يمسها بعد ملكها حتى تبرأ رحمها ويتبين حالها ، أهى حامل أم لا .

قالت : نعم، هو هو ، قال : فكيف لم أعلم ؟ قالت : غمزنى بألاّ أعلمك . فأمر فكتب إلى عامل المدينة بأن يحمل إليه دَحْمان ، فحمل ، فلم يزل عنده أثيراً (١) » .

٦ — غناء معبد للوليد بن يزيد :

ووصف لنا استدعاء الوليد بن يزيد لمعبد المغنى من المدينة وغنّاه فطرب فألقى نفسه فى بركة ملئت بماء ورد قد خلط بمسك وزَعفران ، قال :

« اشتاق الوليدُ بنُ يزيدَ إلى معبد فوجه إليه إلى المدينة فأحضر ، وبلغ الوليدَ قدومه فأمر ببركة بين يدى مجلسه فملئتْ ماءَ وَرْد قد خُلط بمسك وزعفران ، ثم فرش للوليد فى داخل البيت على حافة البركة وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة ، ليس معهما ثالثٌ ، وجىء بمعبد فرأى ستراً مرْخىً ومجلسَ رجل واحد ، فقال له الحجّاب : يا معبد ، سلم على أمير المؤمنين واجلسْ فى هذا الموضع ، فسلمَ فردَّ عليه الوليدُ السلامَ من خلف الستر ثم قال له : حيّاك الله يامعبد ! أتدرى لمَ وَجهتُ إليك ؟ قال : الله أعلم وأميرُ المؤمنين . قال : ذكرتك فأحببتُ أن أسمع منك ، قال معبد : أأغنى ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال : بل غننى :

ما زال يَغْدو عليهم ريبُ دهرِهِمُ   حتى تفانَوْا وريبُ الدهر عَدّاهُ

فغناه ، فما فرغ منه حتى رفع الجوارى السّجْفَ ثم خرج الوليدُ فألقى نفسه فى البركة فغاص فيها ثم خرج منها فاستقبله الجوارى بثياب غير الثيابِ الأولى ثم شرب وسقى معبدا ثم قال له : غنى يا معبد :

يا رَبْعُ مالكَ لا تُجيبُ متيَّما   قد عاج نحوكَ زائراً ومسلِّما
جادتكَ كلُّ سحابة هَطَّالة   حتى تُرى عن زَهْرة متبسِّما
لو كنتَ تدْرِى مَنْ دعاكَ أجبتَه   وبكيتَ من حُرَقٍ عليه إذاً دما

(١) الأثير : المكرم . وهذا الخبر ورد فى الأغانى (ج ٦ ص ٢٥ — ٢٧ طبع دار الكتب المصرية) .

قال : فغناه وأقبل الجوارى فرفعنَ السترَ وخرج الوليد فألقى نفسه فى البركة فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك ، ثم شرب وسقى معبدا ، ثم قال له : غنى ، فقال : بماذا يا أمير المؤمنين !؟ قال : غنى :

عَجِبَتْ لمّا رأتْنِى أندُبُ الربعَ المُحِيلاَ (١)
واقفاً فى الدار أبكِى لا أرى إلاّ الطُّلولاَ
كيف تبكِى لأناسٍ لا يَمَلُّونَ الذَّمِيلاَ (٢) ؟
كلّمـــا قلتُ اُطمأنّت دارُهم قالوا الرَّحِيلا

قال : فلما غناه رمى نفسه فى البركة ثم خرج فردّوا عليه ثيابه ثم شرب وسقى معبداً، ثم أقبل عليه الوليد فقال له: يا معبد، من أراد أن يزداد عند الملوك حظوة فليكتم أسرارهم ، فقلت : ذلك ما لا يحتاج أميرُ المؤمنين إلى إيصائى به ، فقال : يا غلام ، احمل إلى معبد عشرة آلاف دينار تُحصَّل (٣) له فى بلده وألفى دينار لنفقة طريقه ، فحملتْ إليه كلها وحمل على البريد من وقته إلى المدينة » (٤) .

٧ — غناء ابن مسجح لعبد الملك بن مروان فاهتز طرباً :

حدث دَحمان الأشقر قال :

« كنت عاملا لعبد الملك بن مروان بمكة فنمىَ إليه أن رجلا أسود يقال له : سعيد بن مسجح أفسدَ فتيانَ قريش وأنفقوا عليه أموالهم ، فكتب إلىّ : أن اقبض ماله وسيِّره ، ففعلتُ. فتوجه ابن مسجح إلى الشأم فصحبه رجلٌ له جوارٍ مغنياتٌ فى طريقه ، فقال له : أين تريدُ ؟ فأخبره خبرَه ، وقال له : أريد الشأمَ ، قال له : فتكونُ معى ؟ قال : نعم ، فصحبه حتى بلغا دمشقَ فدخلا

(١) المحيل : الذى أتت عليه أحوال فغيرته .
(٢) الذميل (كأمير) : السير اللين ما كان ، أو هو فوق العنق .
(٣) تحصل : أى تدفع وتسلم .
(٤) الأغانى (ج ١ ص ٥٣ — ٥٥ طبع دار الكتب المصرية) .

مسجدَها فسألا : منْ أخصّ الناس بأمير المؤمنين ؟ فقالوا : هؤلاء النفرُ من قريش وبنو عمه ، فوقف ابنُ مسجح عليهم وسلّم ثم قال : يا فتيانُ ، هل فيكم من يضيفُ رجلا غريبا من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعض وكان عليهم موعدٌ أن يذهبوا إلى قينة(١) يقال لها : « برْقُ الأفق » فتثاقلوا به إلاّ فتى منهم تذمّم (٢) فقال : أنا أضيفك . وقال لأصحابه : انطلقوا أنتم وأنا أذهب مع ضيفى ، قالوا : لا ، بل تجىء أنت وضيفك ، فذهبوا جميعاً إلى بيت القينة ، فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيد : إنى رجلٌ أسودُ ولعلّ فيكم من يقذرنى فأنا أجلسُ وآكلُ ناحية وقام ، فاستحيوْا منه وبعثوا إليه بما أكل ، فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثلَ ذلك ، ففعلوا به ، وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وُضع لهما ، فغنتا إلى العشاء ثم دخلتا ، وخرجت جاريةٌ حسنةُ الوجه والهيئة وهما معها فجلستْ على السرير وجلستا أسفلَ منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مسجح : فتمثلت(٣) هذا البيت :

فقلتُ أشمسٌ أم مَصابيحُ بيعَةٍ   بدَتْ لك خَلفَ السِّجْفِ أم أنت حَالمُ

فغضبت الجارية وقالت : أيضربُ هذا الأسودُ بى الأمثالَ ! فنظروا إلىّ نظراً منكراً ولم يزالوا يسكّنونها ، ثم غنتْ صوتاً ، فقال ابن مسجح : أحسنت والله ، فغضب مولاها وقال : أمثلُ هذا الأسود يقدمُ على جاريتى ! فقال لى الرجل الذى أنزلنى عنده : قم فانصرفْ إلى منزلى فقد ثقلتَ على القوم ، فذهبتُ أقومُ فتذمّم القوم وقالوا لى : بل أقمْ وأحسنْ أدبك فأقمتُ ، وغنتْ فقلتُ : أخطأت والله يا زانيةُ وأسأت ، ثم اندفعتُ فغنيتُ الصوتَ فوثبت الجاريةُ فقالت لمولاها : هذا والله أبو عثمانَ سعيدُ بنُ مسجح ، فقلت : إنى والله أنا هو ، والله

(١) القينة : الأمة المغنية .
(٢) تذمم : أى خشى الذم واللوم .
(٣) يقال : تمثلت هذا البيت وتمثلت به إذا ضربته مثلا .

لا أقيمُ عندكم ، فوثب القرشيون فقال هذا : يكون عندى ، وقال هذا : يكون عندى ، وقال هذا : بل عندى ، فقلت : والله لا أقيمُ إلاّ عند سيّدكم يعنى الرجلَ الذى أنزله منهم — ثم سألوه عما أقدمه ، فأخبرهم الخبرَ ، فقال له صاحبه : إنى أسمرُ الليلةَ مع أمير المؤمنين فهل تحسن أن تحدُوَ ؟ قال : لا ، ولكنى أستعمل حداءً ، قال : فإنّ منزلى بحذاء منزل أمير المؤمنين فإن وافقت منه طيبَ نفس أرسلتُ إليكَ ، ومضى إلى عبد الملك فلما رآه طيِّبَ النفس أرسلَ إلى ابن مسجح وأخرج رأسه من وراء شرَف القصر ثم حدا :

إنكَ يا مُعاذُ يا بنَ الفُضَّلِ إن زُلزِلَ الأقدامُ لم تُزلزَلِ
عن دين موسى والكتابِ المنزَلِ تقيمُ أصداغَ[1] القرونِ المُيَّلِ
للحقّ حتّى ينتحُوا للأعدَلِ

فقال عبد الملك للقرشىّ : منْ هذا ؟ قال : رجلٌ حجازىّ قدم علىّ ، قال : أحضرْه ، فأحضره له ، وقال له : أحدُ مجدًّا ، ثم قال له : هل تغنى غناء الركبان؟ قال : نعم ، قال : غنه ، فتغنى ، فقال له : فهل تغنّى الغناء المتقن ؟ قال : نعم ، قال : غنه ، فتغنى ، فاهتزّ عبد الملك طرباً ، ثم قال له : أقسم إن لك فى القوم لأسماء كثيرة ، منْ أنت ؟ ويلك ؛ قال له : أنا المظلوم المقبوض مالهُ المسيّر عن وطنه سعيدُ بن مسجح ، قبض مالى عاملُ الحجاز ونفانى ، فتبسم عبد الملك ثم قال له : قد وضح عذرُ فتيان قريش فى أن ينفقوا عليك أموالهم ، وأمّنه ووصله وكتب إلى عامله بردّ ماله عليه وألاّ يعرض له بسوء[2] » .

(١) من صدغ يصدغ صدوغاً وصدغاً بمعنى مال ، « ومنه لأقيمن صدغك » أى ميلك .
(٢) الأغانى (ج ٣ ص ٢٨٢ — ٢٨٤ طبع دار الكتب المصرية) .

٨ – استدعاء سليمان بن عبد الملك الدلال سرا للغناء :

وحدّثنا عن استدعاء سليمان بن عبد الملك الدلال سرّا فغناه فطرب وأعاده إلى الحجاز مكرّما ، قال :

«كان الدّلال ظريفاً جميلا حسن البيان ، من أحضر الناس جواباً وأحجهم وكان سليمانُ بن عبد الملك قد رقّ له حين خُصىَ غلطاً ، فوجه إليه مولى له وقال له : جئنى به سراً ، وكانت تبلغه نوادره وطيبه ، وحذّر رسوله أن يعلم بذلك أحدٌ ، فنفذ المولى إليه وأعلمه ما أمره به ، وأمره بالكتمان وحذّره أن يقف على مقصده أحدٌ ، ففعل ، وخرج به إلى الشأم ، فلما قدم أنزله المولى منزله وأعلم سليمان بمكانه ، فدعا به ليلاً فقال : ويلك ما خبرُك ؟ فقال : جبيتُ من القبل مرّة أخرى يا أمير المؤمنين ، فهل تريد أن تجبّنى المرة من الدّبر؟! فضحك وقال : اعزُبْ أخزاك الله . ثم قال له : غنّ ، فقال : لا أحسن إلاّ بالدّفّ ، فأمر فأتى له بدُفّ ، فغنى فى شعر العرْجىّ :

أفى رسم دارٍ دَمْعُك المُتحدّرُ ... سَفَاهاً وما اُستنطاقُ ما ليس يُخْبِرُ
تغيّرَ ذاكَ الربعُ من بعد جِدّةٍ ... وكلُّ جديد مرّةً متغيرُ
لأسماء إذ قلبى بأسماء مُغْرَمٌ ... وما ذكر أسماء الجميلةِ مَهْجَرُ
ومَمْشَى ثلاثٍ بعد هَدْءٍ(١) كواعبٍ ... كمثل الدُّمَى بل هُنّ من ذاك أنضرُ
فسلّمْنَ تسليماً خفيًّا وسقّطَتْ ... مَصَاعِبةٌ(٢) ظُلْعٌ من السير حُسَّرُ
لها أرَجٌ من زاهر البَقْل والثّرَى ... و بُرْدٌ إذا ما باشر الجِلْدَ يَخْصَرُ(٣)
فقالت لِترْبَيْها الغداةَ تبقّيا(٤) ... بعينٍ ولا تَستبعدا حين أُبصِرُ

(١) الهدء : الهزيع من الليل ، وقيل : من أوله إلى ثلثه وذلك ابتداء سكونه .
(٢) مصاعبة : جمع مصعب وهو الفحل الذى تركته فلم تركبه ولم يمسه حبل حتى صار صعباً . يخصر : يبرد .
(٣) صعباً . يخصر : يبرد .
(٤) تبقيا بعين ، أى انتظرا بمرأى منى . يقال : بقاه (بتخفيف القاف) وبقاه (بتشديد القاف) وأبقاه وتبقاه كله بمعنى انتظره .

ولا تُظهرا بُرْدَيكما وعليكما كساءان من خزٍّ بنقْشٍ وأخضرُ
فعَدِّى فما هــذا العتابُ بنافع هواى ولا مُرْجِى الهوى حين يُقْصِرُ

فقال له سليمان : حقٌّ لك يا دلال أن يقال لك الدلال ! أحسنت وأجملت ! فوالله ما أدرى أىّ أمريك أعجب : أسرعةُ جوابك وجودةُ فهمك ، أم حسنُ غنائك ، بل جميعاً عجب ! وأمر له بصلة سنية ، فأقام عنده شهراً يشرب على غنائه ، ثم سرّحه إلى الحجاز مكرماً (١) »

٩ – سليمان بن عبد الملك ولبسه أفخر الثياب وإعجابه بنفسه حين نظر فى مرآته :

وحدّث عمرو بن سعيد قال :

« لما مات أبو عيسى بن الرشيد وجد عليه المأمون وجداً شديداً حتى امتنع من النوم ولم يطعم شيئاً . فدخل عليه أبو العتاهية ، فقال له المأمون : حدّثنى يا أبا إسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان فى مثل حالنا وفارقها . فقال :

يا أمير المؤمنين ، لبس سليمان بن عبد الملك أفخر ثيابه ومسّ أطيب طيبه وركب أفره خيله وتقدّم إلى جميع من معه أن يركب فى مثل زيه وأكمل سلاحه ، ونظر فى مرآته فأعجبته هيئته وحسنهُ ، فقال : أنا الملك الشابّ ، ثم قال لجارية له : كيف ترين ؟ فقالت :

أنتَ نِعْمَ المتاعُ لو كنتَ تبقَى غيرَ أن لا بقاء للإنســان
أنتَ خلوٌ من العيــوب وممّا يكره الناسُ غيرَ أنك فانى (٢)

فأعرض بوجهه ، فلم تدُر عليه الجمعة إلاّ وهو فى قبره . قال : فبكى المأمون والناس ، فما رأيت باكياً أكثر من ذلك اليوم (٣) »

(١) الأغانى (ج ٤ ص ٢٨٥ – ٢٨٦ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) هذان البيتان لموسى شهوات الشاعر ، وترجمته فى الأغانى (ج ٣ ص ٣٥١ – ٣٦٨ طبع دار الكتب المصرية) .
(٣) الأغانى (ج ١٠ ص ١٩٢ – ١٩٣ طبع دار الكتب المصرية) .

١٠ – جائزة سليمان بن عبد الملك للسابق من المغنّين واستحقاق ابن سريج لها :

وأخبر إسحاق الموصلىّ :

« أنّ سليمان بن عبد الملك لما حجّ سبّق(١) بين المغنين بَدْرَةً (٢) ، فجاء ابنُ سريج وقد أغلق البابُ ، فلم يأذن له الحاجبُ ، فأمسك حتى سكتوا وغنى :

سَرَى هَمّى وهَمُّ المرء يَسْرِى ... وغاب النَّجْمُ إلاَّ قِيس(٣) فِتر(٤)
أُراقبُ فى المَجَرَّة(٥) كلَّ نَجْمٍ ... تَعَرَّضَ للمجرَّة كيفَ يَجْرِى
لِهَمٍّ لا أزال له مُـــديما ... كأنّ القلبَ أُسْعِرَ حَرَّ جَمْرِ
على بَكْرٍ أخى ولّى حَمِيدًا ... وأىُّ العَيْش يَصْفُو بعدَ بَكْرِ

فأمر سليمان بدفع البدْرة إليه(٦) » .

١١– المغنون المشهورون بالحيرة ونوعُ غنائهم :

وأخبرنا عن المغنين المَشهورين بالحيرة غير حُنين ونوع غنائهم ، قال : « قال إسحاق : ولم يكن بالحيرة مذكورٌ فى الغناء سوى حنين إلاّ نفراً من

(١) سبق بين المغنين بدرة : جعلها سبقاً بينهم ، من غلب أخذها .
(٢) البدرة : كيس فيه ألف درهم ، أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار .
(٣) القيس والقاس : القدر .
(٤) الفتر : ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة .
(٥) المجرة : منطقة ضيقة بيضاء غير منتظمة تقسم الكرة السماوية إلى قسمين متساويين تقريباً من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى وعرضها متغير جداً ، ورأى (هرشل) أن عدد النجوم التى تشتمل عليها المجرة لا تقل عن خمسين مليوناً من النجوم ولا يمكن رؤية نجم منها على انفراد بالعين المجردة ، وضوءها اللبنى الذى يرى فى الليالى الخالية من القمر وعند ما يكون الجو صافياً ناشىء من اجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض .
(٦) الأغانى (ج ١ ص ٣١٧ – ٣١٨) .

السَّدريين يقال لهم : عباديس ، وزيد بن الطَّليس ، وزيد بن كعب ، ومالك ابن حُمَمة ، وكانوا يغنون غناء الحيرة بين الهزج والنصْب(١) ، وهو إلى النصْب أقرب ، ولم يدوّن منه شىء لسقوطه ، وأنه ليس من أغانى الفحول . وما سمعنا نحن لأحد من هؤلاء خبراً إلاّ لمالك بن حممة (٢) » .

١٢ـ خوف حنين أن يفوقه ابن محرز بالعراق فردّه عنه :

وحدّثنا عن نشأة حنين وشهرته بالغناء ومهارته فيه وبلوغه منه مبلغاً كبيراً ، ومع هذا خاف أن يفوقه ابن محرز بالعراق فردّه عنه ، قال المدائنىّ :

« كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة ، وكان لطيفاً فى عمل التحيّات(٣) فكان اذا حمل الرياحين إلى بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطرّبين إلى الحيرة ورأوا رشاقته وُحسن قدّه وحلاوتهُ وخفة رُوحه استحلوْه وأقام عندهم وخفّ لهم ، فكان يسمع الغناء ويشتهيه ويصغى إليه ويستمعه ويطيل الإصغاء إليه ، فلا يكاد ينتفع به فى شىء إذا سمعه ، حتى شدا منه أصواتاً فأسمعها الناس — وكان مطبوعاً حسن الصوت — واشتهوْا غناءه والاستماع منه وعشرته ، وشهر بالغناء ومهر فيه ، وبلغ منه مبلغاً كبيراً ، ثم رحل إلى عمر بن داود الوادىّ وإلى حكم الوادىّ ، وأخذ منهما ، وغنى لنفسه فى أشعار الناس ، فأجاد الصّنعة وأحكمها ، ولم يكن بالعراق غيرُهُ فاستولى عليه فى عصره ، وقدم ابنُ محرز حينئذ إلى الكوفة فبلغ خبرُه حنيناً ، وقد كان

(١) النصب : غناء يشبه الحداء إلا أنه أرق .

(٢) الأغانى (ج ٢ ص ٣٥٢ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) التحيات : جمع تحية وهى ما يحيا به من نحو السلام ، ومن المحتمل أن يراد منه ما يقدم عند التحية من باقات الرياحين ، وقد كان العرب فى الجاهلية يفعلون ذلك فى عيد لهم يقال له : « يوم السباسب » قال النابغة : يحيون بالريحان يوم السباسب ، ويظهر أن هذه العادة ظلت إلى العهد الإسلامى . وقد ذكرنا خبراً لحنين فى غير هذا الموضع أن حنيناً حيا ضيوفه بالرياحين . وقد فصلنا هذه العادات فى الجزء الأول من كتابنا : « العرب وأطوارهم » ص٣٤٣ طبع مصر سنة ١٣٣١هـ وهى العادات التى أخذها عن العرب فرنجة اليوم .

يعرفه ، فخشى أن يعرفه الناس فيستحلوه ويستولىَ على البلد فيسقط هو ، فقال له : كم منتّتك نفسك من العراق ؟ قال : ألف دينار ، قال : فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخذْها وانصرف واحلف لى أنك لا تعود إلى العراق ؛ فأخذها وانصرف [1] » .

١٣– كان يغلى بغنائه الثمن :

وقال إسحاق : قيل لحنين أنتَ تغنى منذ خمسين سنة ما تركتَ لكريم مالاً ولا داراً ولا عقاراً إلا أتيتَ عليه ؛ فقال : بأبى أنتم ، إنما هى أنفاسى أقسمها بين الناس ، أفتلومُوننى أن أغلى بها الثمن ! [2] » .

١٤– التصفيق للغناء طرباً :

وحدّثنا عن التصفيق للغناء طرباً – وهو مانشاهده الآن أو نسمعه من « المذْياع » فى الحفلات الغنائية التى تقيمها محطة الإذاعة لمطربة الشرق فى هذا العصر « الآنسة أمّ كلثوم » – فقد ذكر عن حنين الحيرى أنه خرج إلى حمص وغنى بها فلم يستطعم أهلها غناءه ، وأقبل عليهم ابن منبه المغنىّ وغناهم . فطربوا وأخذوا يصفّقون ، قال إسحاق فى خبر عن أبيه عن بعض أهل العلم بالغناء عن حنين قال : « خرجت إلى حمص [3] ألتمس الكسب بها وأرتاد منْ أستفيدُ منه شيئاً ، فسألت عن الفتيان [4] بها وأين يجتمعون ، فقيل لى : عليك

---

(١) الأغانى (ج ٢ ص ٣٤٥ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الأغانى (ج ٢ ص ٣٤٣) .
(٣) حمص : مدينة بالشام على نهر العاصى .
(٤) الفتيان : طائفة يدينون بالفتوة وخصال الرجولة ، وهم أشد الناس احتفالا بالغرباء من الناس ، وأسرع إلى إطعام الطعام وقضاء الحوائج ، فيخدمون بالنهار ويشترون بما يتجمع معهم الفواكه والطعام ، فإن ورد فى ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه ، وكان ذلك ضيافته لديهم ، وإن لم يرد وارد اجتمعوا هم على طعامهم فأكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا إلى صناعاتهم بالغدو ، وقد كان الخليفة الناصر العباسى المتوفى سنة ٦٢٢ هـ قد جعل نفسه رئيساً لهذه الطائفة ،

بالحمّامات فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا ، فجئتُ إلى أحدها فدخلته، فإذا فيه جماعة منهم ، فأنستُ وانبسطت وأخبرتهم أنى غريب ثم خرجوا وخرجتُ معهم ، فذهبوا بى إلى منزل أحدهم ، فلما قعدنا أتينا بالطعام فأكلنا ، وأتينا بالشراب فشربنا ، فقلت لهم : هل لكم فى مغنٍّ يغنيكم؟ قالوا : ومَن لنا بذلك ؟ قلت : أنا لكم به ، هاتوا عوداً ، فأتيتُ به ، فابتدأتُ فى هنّيات[1] أبى عبّاد معبد ، فكأنما غنّيت للحيطان لا فكهوا لغنائى ولا سروا به، فقلت: ثقل عليهم غناءُ معبد لكثرة عمله وشدّته وصعوبة مذهبه ، فأخذتُ فى غناء الغريض فإذا هو عندهم كلا شىء ، وغنيتُ خفائف ابن سريج ، وأهزاج حكم ، والأغانى التى لى ، واجتهدتُ فى أن يفهموا ، فلم يتحرّك من القوم أحدٌ ، وجعلوا يقولون : ليت أبا منبه قد جاءنا ، فقلت فى نفسى : أرى أنّى سأفتضح اليوم بأبى منّبه فضيحة لم يفتضح أحدٌ قط مثلها . فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو منبه، واذا هو شيخٌ عليه خفان أحمران كأنه جمّال ، فوثبوا جميعاً إليه وسلموا عليه وقالوا : يا أبا منبّه أبطأت علينا ، وقدّموا له الطعام وسقوه أقداحاً ، وخنستُ[2] أنا حتى صرتُ كلا شىء خوفاً منه ، فأخذ العود ثم اندفع يغنى :

طَرِب البحر فاعبُرِي يا سَفِينهْ لا تَشُقِّى على رجالِ المدينهْ

فأقبل القومُ يصفقون ويطربون ويشربون[3] ، ثم أخذ فى نحو هذا من

وكتب سنة ٦٠٧ هـ إلى ملوك الأطراف الذين يعترفون بخلافته أن يشربوا كأس الفتوة . ويلبسوا سراويلها ، وأن ينتسبوا إليه برمى البندق (انظر رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٢٦٠ طبع باريس ، ورحلة ابن جبير ص ٢٨٢ طبع ليدن ، وتاريخ التمدن الإسلامى لجرجى زيدان ج ٥ ص ١٦٩) .

(١) الهنيات : الأراجيز .

(٢) خنس الرجل من القوم خنوساً : تأخر واختفى .

(٣) هذا أشبه بما هو واقع الآن فى عصرنا . فهناك طوائف عديدة من الخواص يميلون ويطربون ويصفقون لأغانى الموسيقار الأستاذ محمد عبد الوهاب ، والمغنى الأستاذ صالح عبد الحى ، ومطربة الشرق الآنسة أم كلثوم. وآخرون من عامة الشعب لا يطربون ولا يصفقون إلا للأغانى الشعبية التى يغنيها المطرب الشعبى « محمد الكحلاوى » والمطرب الشعبى « محمود شكوكو»

الغناء ، فقلت فى نفسى : أنتم ها هنا ! لئن أصبحتُ سالماً لا أمسيتُ فى هذه البلدة . فلما أصبحتُ شددتُ رحلى على ناقتى واحتقبتُ (١) ركوةً من شراب ورحلت متوجهاً إلى الحيرة ، وقلت :

ليت شعرى متى تَخُبُّ بى النا   قةُ بين السَّدِير والصِّنَّيْنِ (٢)
مُحْقِباً رَكْوَةً وخُبْزَ رُقاقٍ   وبُقُولا وقطعةً من نُونِ (٣)
لستُ أبغى زاداً سواها من الشا   م وحسبى عُلالةٌ (٤) تكفينى
فإذا أُبْتُ سالماً قلتُ سُحْقاً   وبِعاداً لمعشر فارقونى (٥)

أو الأغانى البلدية التى يغنيها بعض الفتيان « الجدعان » المغنين فى « الصهبات » ويراد بـ « الصهبات » جوقات من الهواة كل جوقة مكونة من خمسة أنفار أو أكثر يرأسهم مغن حاذق بغناء الموشحات الأندلسية القديمة يغنونها معه ، والمشهور من هذه الجوقات من عهد المرحوم عبده الحمولى حتى الآن : « جوقة عبد المجيد الشباشى » و « جوقة الأسطى حسانين المكوجى وعبد العزيز رضوان الشهير بعزوز » .

(١) احتقب ركوة : احتملها خلفه . والركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

(٢) الصنين : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر وبه نهر ومزارع . وفى هذا الشعر السناد ، وهو – كما فسره ابن سيده – : المخالفة التى تلى الأرداف فى الروى .

(٣) النون : الحوت .

(٤) العلالة (بالضم) : ما يتعلل به .

(٥) راجع الأغانى (ج ٢ ص ٣٤٦ – ٣٤٨ طبع دار الكتب المصرية) .

أسماء

بعض آلات الطرب والموسيقى التى ورد ذكرها فى كتاب الأغانى

وهى مرتبة ترتيبا هجائيا

١ — الأرغن الرومى (ج ١٠ ص ١٨٥ طبع دار الكتب المصرية)

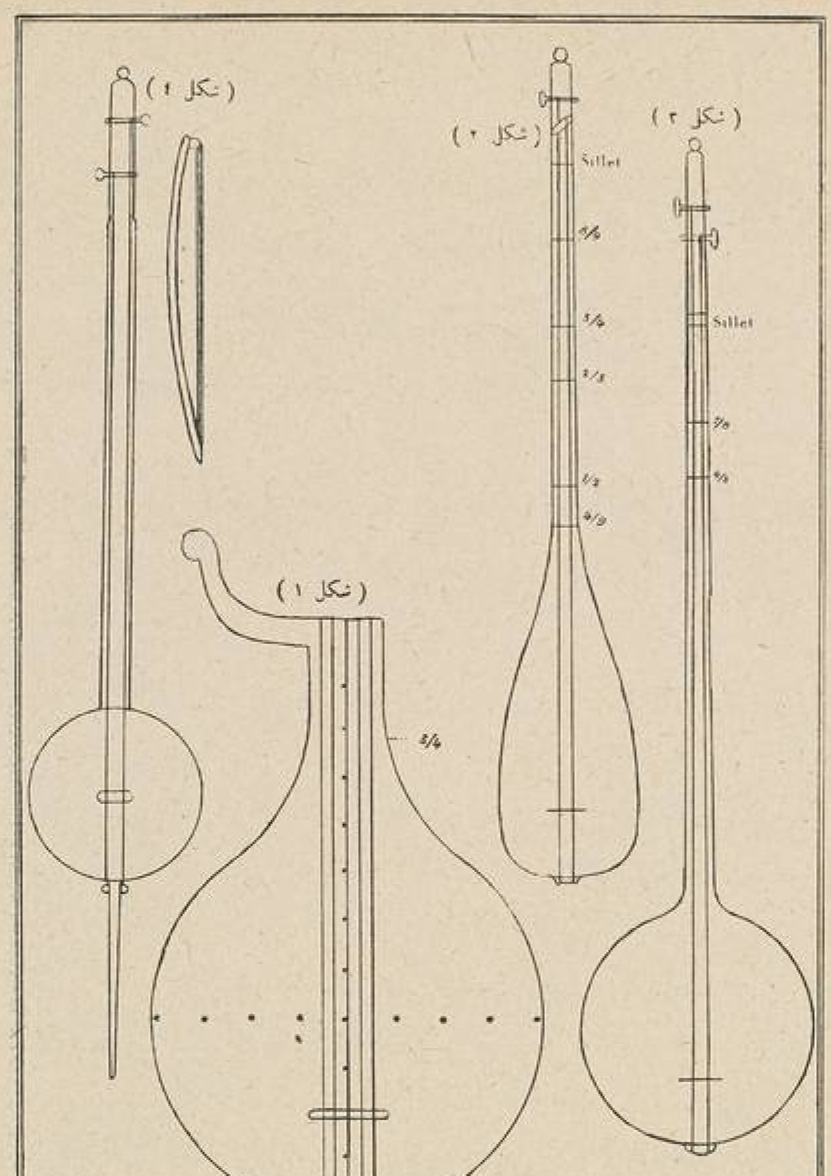
٢ — الدفّ (ج ١ ص ١٦٢)

٣ — الطبل (ج ٩ ص ٢٧٥)

٤ — الطنبور (ج ٦ ص ٦٣) و (ج ٧ ص ١٩٧)

٥ — العود (ج ١ ص ٥٥)

٦ — الناى (ج ٦ ص ١٦٥) و (ج ٨ ص ٣٨٤)



صورة تمثل بعض آلات الطرب والموسيقى التى ورد ذكرها فى كتاب الأغانى

(شكل ١) العود (شكل ٢) الطنبور البغدادى (شكل ٣) الطنبور الخراسانى

(شكل ٤) الرباب . منقولة من كتاب الموسيقى للعلامة أبى نصر محمد بن محمد الفارابى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠ فنون جميلة فى القسم الإفرنجى .

الفصل الثالث

الغناء والموسيقى فى عصر الدولة العباسية

قبل أن نسوق الأمثلة عن ذلك من كتاب الأغانى نذكر ما قاله إسحاق ابن إبراهيم الموصلى عن أحوال خلفاء بنى العباس وقد سأله الجاحظ أيضاً عنهم، وإليك سياق الحديث :

١ - أحوال الخلفاء العباسيين فى سماع الغناء والشرب واللهو :

(ا) - أبو العباس السفاح :

قال إسحاق :

« كان أبو العباس (السفاح) فى أوّل أيامه يظهر للندماء ثم احتجب عنهم بعد سنة ، أشار بذلك عليه أسيد [١] بن عبد الله الخزاعىّ . وكان يطرب ويبتهج ويصيح من وراء الستارة : أحسنت والله ! أعدْ هذا الصوت ! فيعاد له مراراً . فيقول فى كلها : أحسنت ؛ وكانت فيه فضيلة لا تجدها فى أحد . كان لا يحضره نديمٌ ولا مغنٍّ ولا مُلْهٍ فينصرف إلاّ بصلة أو كسوة ، قلّتْ أم كثُرتْ ، وكان لا يؤخرُ إحسان محسن لغد ، ويقول : العجب ممن يفرِّحُ إنساناً فيتعجلُ السرور ويجعلُ ثواب من سرّه تسويفاً وعدةً ؛ فكان فى كلّ يوم وليلة يقعد فيه لشغله ، لا ينصرف أحدٌ ممن حضره إلاّ مسروراً ، ولم يكن هذا لعربىّ ولا عجمىّ قبله . غير أنه يحكى عن بهرام جور ما يقارب هذا .

(ب) - أبو جعفر المنصور:

فأما أبو جعفر المنصور فلم يكن يظهر لنديم قطّ ، ولا رآه أحدٌ يشرب

(١) كان من القائمين بالدعوة العباسية ومن رجالات أبى مسلم الخراسانى ، وكان على مقدمته عند دخوله مرو . توفى سنة ١٥٦هـ وهو أمير خراسان (انظر الطبرى وابن الأثير) .

غير الماء . وكان بينه وبين الستارة عشرون ذراعاً . وبين الستارة والندماء مثلها . فإذا غناه المغنى فأطربه ، حرّكت الستارة بعضُ الجوارى فاطلع إليه الخادمُ صاحبُ الستارة فيقول : قل له : أحسنت ! بارك الله فيك ! وربما أراد أن يصفّق بيديه، فيقوم عن مجلسه ويدخل بعض حجر نسائه ، فيكون ذاك هناك. وكان لا يثيب أحداً من ندمائه وغيرهم درهماً ، فيكون له رسماً فى ديوان . ولم يقطعْ أحداً ممن كان يضاف إلى ملهية أو ضحك أو هزْل موضع قدم من الأرض . وكان يحفظ كلّ ما أعطى واحداً منهم عشر سنين ويحسبه ويذكره له .

وكان أبو جعفر المنصور يقول : « من صنع مثل ما صنع إليه فقد كافأ ، ومن أضعفَ كان مشكوراً ، ومن شكر كان كريماً، ومن علم أنّ ما صنع فإلى نفسه صنع ، لم يستبطىء الناس فى شكرهم ، ولم يستزدهم فى مودّتهم ، ولا تلتمس من غيرك شكر ما أتيته إلى نفسك ووقيت به عرضك . واعلم أن الطالب إليك الحاجة لم يكرمْ وجهه عن مسألتك ، فأكرمْ وجهك عن ردّه » .

(ج) – المهدى :

وكان المهدىّ فى أوّل أمره يحتجب عن الندماء متشبهاً بالمنصور نحواً من سنة ، ثم ظهر لهم ، فأشار عليه أبو عوْن (١) بأن يحتجب عنهم ، فقال : « إليك عنى يا جاهل؛ إنما اللذّة فى مشاهدة السرور، وفى الدنوّ ممن سرّنى . فأما من وراء وراء فما خيرها ولذّتها؟ وإن لم يكن فى الظهور للندماء والإخوان إلاّ

(١) هو عبد الملك بن يزيد الخراسانى الأزدى ، كان من أهل الرأى ومن وجوه الشيعة القائمين بالدعوة العباسية ، ومن قواد أبى مسلم الخراسانى ، وكان له بلاء حسن فى تمهيد الأمر لبنى العباس . دخل بجنوده دمشق عنوة من باب كيسان ثم تعقب مروان بن محمد الجعدى إلى مصر عند هربه إليها . وفيها قتله ، وبقى فيها ومعه السلاح والأموال والرقيق ، فولاه عليها أبو العباس السفاح مرتين : – الأولى من شعبان سنة ١٣٣ إلى سنة ١٣٥ ، وهو الذى أمر أصحابه بالبناء فى الأرض الفضاء التى محلها الآن جامع ابن طولون . وبنى هو هنالك دار الإمارة ومسجداً عرف بجامع العسكر . ولذلك سمى المكان كله باسم العسكر من ذلك الوقت ، وصار فيما بعد مدينة عامرة (انظر الأغانى وتاريخ ابن الأثير والنجوم الزاهرة لأبى المحاسن) .

أنى أعطيهم من السرور بمشاهدتى مثلَ الذى يُعطوننى من فوائدهم، لجعلتُ لهم فى ذلك حظاً موَفراً » .

وكان كثير العطايا ، يواترها ، قلَّ من حضره إلاّ أغناه، وكان لينَ العريكة سهلَ الشريعة ، لذيذ المنادمة ، قصير المناومة ، ما يملّ نديماً ولا يتركه إلاّ عن ضرورة ، قطيع الخنا ، صبوراً على الجلوس ، ضاحك السنّ ، قليل الأذى والبذاء .

(د) – الهادى :

وكان الهادى شكسَ الأخلاق ، صَعب المرام ، قليل الإغضاء ، سيئ الظنّ ، قلّ من توقاه وعرف أخلاقه إلاّ أغناه، وما كان شىءٌ أبغضَ إليه من ابتدائه بسؤال . وكان يأمر للمغنى بالمال الخطير الجزيل فيقول : لا يعطينى بعدَها شيئاً ، فيعطيه بعد أيام تلك العطية .

ويقال إنه قال يوماً ، وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلىّ ومعاذ بن الطبيب — وكان أوّل يوم دخل عليه معاذ وكان حاذقاً بالأغانى عارفاً بها — : من أطربنى اليوم منكم فله حكمُهُ . فغناه ابن جامع غناءً لم يحرّكه ، وكان إبراهيم قد فهم غرضه فغناه :

سُلَيمَى أجمعَتْ بينَا فأَيْنَ تَقُولُها أيْنَا ؟

فطرب حتى قام عن مجلسه ورفع صوته وقال : « أعدْ بالله ، وبحياتى ! فأعاد ، فقال : « أنتَ صاحبى فاحتكمْ » فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، حائط[1] عبد الملك بن مروان ، وعينه[2] الخرّارة بالمدينة ؛ قال : فدارت عيناه فى رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان ثم قال : « يا ابن اللخناء! أردتَ أن تسمعَ العامةُ أنك أطربتنى ، وأنىّ حكّمتك فأقطعتك ؛ أما والله لولا بادرةُ جهلك التى غلبت على صحيح عقلك وفكرك لضربتُ الذى فيه عيناك ! » ثم سكت هنيهة .

---

(١) أى بستان .

(٢) الينبوع الذى يخرج منه جدول يتدفق ماؤه .

قال إبراهيم : فرأيتُ ملكَ الموت قائماً بينى وبينه ينتظ أمره ، ثم دعا إبراهيم الحرّانىّ (١) فقال : « خذ بيد هذا الجاهل ، فأدخله بيت المال ، فليأخذ منه ما شاء » فأخذ الحرّانىّ بيدى حتى دخل بى بيت المال فقال : كم تأخذ ؟ فقلتُ : مائةَ بدْرَة (٢) . فقال : دعنى أؤامره . قلت : فآخذُ تسعين . قال : حتى أؤامره . قلت : فثمانين . قال : لا . فأبى إلاّ أن يؤامره ، فعرفت غرضه ، فقلتُ له : آخذُ سبعين لى ، ولك ثلاثون ، قال شأنك ؛ قال : فانصرفت بسبعمائة ألف ، وانصرف ملك الموت عن الدار .

(هـ) — الرشيد :

قال إسحاق : وكان الرشيد فى أخلاق أبى جعفر المنصور ، يتمثلها كلها إلا فى العطايا والصّلات والخلع ، فإنه كان يقفو فعل أبى العباس والمهدى ، ومن خبّرك أنه رآه قطّ وهو يشرب إلاّ الماء فكذّبه (٣) . وكان لا يحضر شربه إلاّ خاصّ جواريه . وربما طرب للغناء فتحرّك حركة بين الحركتين فى القلة والكثرة .

وهو من بين خلفاء بنى العباس من جعل للمغنين مراتب وطبقات ، على نحو ما وضعهم أردشير بن بابك وأنوشروان .

(١) هو عديل هارون الرشيد . وكان من ندماء الهادى وهو ولى العهد . ويظهر من كلام ابن الأثير أنه كان قيما على خزائن الأموال فى أيام الهادى . (انظر الأغانى ج ٦ ص ٦٧ و ج ١٧ ص ١٧ طبع بلاق ، وتاريخ ابن الأثير ج ٦ ص ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٧ طبع أوربا) .

(٢) البدرة : كيس فيه ألف درهم ، أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار . ورواية الجاحظ هنا تدل على أن مقدارها فى أيام العباسيين كان عشرة آلاف درهم .

(٣) هذا النص الصريح يؤيد رأى ابن خلدون فى مقدمته (ص ١٤) وذلك أن « إلا » هنا معناها « غير » كما ورد فى غير ما آية قرآنية وبيت شعرى . فيكون المعنى الذى أراده محدث الجاحظ : لو خبرك إنسان بأنه رأى هارون وهو يشرب شراباً غير الماء . فاعلم أنه كاذب . لأن الرشيد كان إذا أراد الشرب فإنما يشرب بحضرة خاص جواريه دون سائر الناس بحيث لم يره أحد يشرب شيئاً سوى الماء حتى يجوز له الإخبار بذلك عنه .

(و) ـ الأمين :

قلت لإسحاق[١] : فالمخلوع[٢] ، أين كان ممن ذكرتَ ؟ قال : ما كان أعجبَ أمره كله ! فأما تبذّله فما كان يبالى أين قعد ومع منْ قعد ، وكان ، لو كان بينه وبين ندمائه مائة حجاب ، خرّقها كلها وألقاها عن وجهه حتى يقعد حيثُ قعدوا . وكان من أعطى الخلق لذهب وفضّة ، وأنهبهم للأموال إذا طرب أوْ لها . وقد رأيته وقد أمر لبعض أهل بيته فى ليلة بوقر زورق ذهباً فانصرفَ به . وأمر لى ذات ليلة بأربعين ألف دينار فحملتْ أمامى . ولقد غناه إبراهيم بن المهدىّ غناء لم أرتضه ، فقام عن مجلسه فأكبّ عليه فقبل رأسه ، فقام إبراهيم فقبّل ما وطئتْ رجلاه من بساطه ، فأمر له بمائتىْ ألف دينار . ولقد رأيته يوماً ، وعلى رأسه بعض غلمانه ، فنظرَ إليه فقال : ويلكَ ! ثيابك هذه تحتاج إلى أن تغسلَ ، انطلق فخذ ثلاثين بدْرة فاغسلْ بها ثيابك .

(ز) ـ المأمون :

قلتُ : فالمأمون ؟

قال : أقام بعد قدومه عشرين شهراً لم يسمع حرفاً من الغناء ، ثم سمعه من وراء حجاب متشبهاً بالرشيد ، فكان كذلك سبعَ حجج ، ثم ظهر للندماء والمغنين .

قال : وكان حين أحبّ السماع ظاهراً بعينه ، أكبرَ ذاك أهلُ بيته وبنو أبيه[٣] »

---

(١) أى إسحاق بن إبراهيم الموصلى راوى الحكاية للجاحظ .

(٢) يعنى الأمين الخليفة العباسى ، وبذلك اللقب يسميه أغلب الكتاب والمؤرخين المعاصرين له أو الذين بعده بقليل ، لقرب عهدهم بخلعه واشتهاره بينهم . وشاهد ذلك بين أيدينا وفى عصرنا الآن . فإن الأتراك كانوا لا يسمون السلطان عبد الحميد فى كتاباتهم وأحاديثهم إلا باسم « المخلوع » .

(٣) التاج للجاحظ (ص ٣٣ – ٤٣)

٢ – المذاكرة فى الغناء بالمسجد والتغنّى به فى المسجد أيضاً :

قال دحمان : تذاكرْنا ونحن فى المسجد أنا والربيعُ بن أبى الهيثم الغناءَ أيّه أحسنُ ، فجعل يقولُ وأقولُ فلا نجتمع على شىء ، فقلت : اذهبْ بنا إلى مالك بن أبى السمح ، فذهبنا اليه فوجدناه فى المسجد فقال : ما جاء بكما ؟ فأخبرْناه ، فقال : قد جرى هذا بينى وبين معبد وقال وقلت ، فجاءنى معبد يوماً وأنا فى المسجد وقال : قد جئتك بشىء لا ترُدّه ، فقلتُ : وما هو؟ قال : لحن ابن سريج :

وليس بتزْويقِ اللسان وصوْغِهِ ولكنّه قد خالطَ اللحمَ والدّما

ثم قال لى معبدٌ : أسمعكه ؟ قلت: نعم ، وأريته أنّى لم أسمعه قبلُ ، فقال : اسمعه منى ، فغنى فيه ونحن فى المسجد ، فما سمعتُ شيئاً قطّ أحسنَ منه ، فافترقنا وقد اجتمعنا عليه [1] » .

٣ – رأى إسحاق الموصلى فى المغنين :

«أحسن الرجال غناءً من تشبه بالنساء ، وأحسن النساء غناء من تشبه بالرجال [2]» .

٤ – أحوالهم فى الشرب واللهو :

قال الجاحظ أيضاً :

«كان أبو العباس السفاح يشرب عشيّةَ الثلاثاء وحدَها ، دون السبت . وكان المهدىّ والهادى يشربان يوماً ، ويدَعان يوماً . وكان الرشيد يشرب فى كلّ جمعة مرّتين . وربما قدّم أيامه وأخرها . على أنه لم يرَهُ أحدٌ قطّ يشرب ظاهراً . إلاّ أنه كان يقعد هذين اليومين لندمائه .

(١) الأغانى (ج ١ ص ٢٨٦ – ٢٨٧ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الأغانى (ج ١ ص ٣٠٩ طبع دار الكتب المصرية) .

وكان المأمون فى أوّل أيامه يشرب الثلاثاء والجمعة . ثم أدمن الشرب عند خروجه إلى الشام فى سنة خمس عشرة ومائتين إلى أن تُوفّىَ .

وكان المعتصم لا يشرب يوم الخميس ولا يوم الجمعة .

وكان الواثق ربما أدمن الشرب وتابعهُ ، غير أنه لم يكن يشرب فى ليلة الجمعة ولا يومها [١] » .

الغناء والطرب فى عصر الدولة العباسية

وإليك أمثلة من أحوالهم فى الشرب واللهو والغناء ساقها أبو الفرج فى كتاب الأغانى .

٥ ــ غناء الواثق بالله (الخليفة العباسىّ) :

قال أبو الفرج :

« وممن دُوِّنتْ صنعتهُ من خلفاء بنى العباس الواثق بالله .

ولم نعلمه حُكى ذلك عن أحد منهم قبله إلاّ ماقدّمنا سوءُ العهدة فيه عن ابن خُرْداذْبه ، فإنه حكى أنّ للسفّاح والمنصور وسائرهم غناء وأتى فيها بأشياء غثّةٍ لا يحسن لمحصِّل ذكرها [٢] » .

وقالت عَرِيب :

« صنع الواثقُ مائة صوت ما فيها صوتٌ ساقطٌ [٣] » .

وقال حماد بن إسحاق :

« كان الواثق أعلمَ الخلفاء بالغناء ، وبلغتْ صنعتهُ مائة صوتٍ ، وكان أحذقَ مَنْ غنى بضرب العود » [٤] .

---

(١) التاج للجاحظ (ص ١٥٢ – ١٥٣) .

(٢) الأغانى (ج ٩ ص ٢٧٦ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) الأغانى (ج ٩ ص ٢٧٧ طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) الأغانى (ج ٩ ص ٢٩٣ ، وراجع غناء الواثق فى الجزء التاسع أيضاً ص٢٧٦–٣٠٠) .

٦ — يوم للواثق مع المغنين بسرّ من رأى :

« لما خرج المعتصم إلى عمورية استخلف الواثق بسرّ من رأى، فكانت أموره كلها كأمور أبيه. فوجّه إلى الجلساء والمغنين أن يبكروا إليه يوماً حدّد لهم ، ووجه إلى إسحاق ، فحضر الجميعُ . فقال لهم الواثق : إنى عزمتُ على الصبُوح ، ولستُ أجلس على سرير حتى أختلط بكم ونكون كالشيء الواحد ، فاجلسوا معى حلقةً ، وليكنْ كلّ جليس إلى جانبه مغنّ ، فجلسوا كذلك . فقال الواثق : أنا أبدأ . فأخذ عوداً فغنى وشربوا وغنى منْ بعده ، حتى انتهى إلى إسحاق فأعطى العود فلم يأخذه . فقال : دعوه . ثم غنوا دوراً آخر . فلما بلغ الغناءُ إلى إسحاق لم يغنّ ، وفعل هذا ثلاث مرّات . فوثب الواثق فجلس على سريره وأمر بالناس فأدخلوا ، فما قال لأحد منهم : اجلسْ . ثم قال : عليّ بإسحاق ! فلما رآه قال : يا خوزيّ يا كلب ! . أتنزّل وأغنّى وترتفع عنّى ! أترى لو أنّى قتلتك كان المعتصم يقيدُنى بك ! ابطحوه ! فبطح فضرب ثلاثين مقرعةً ضرباً خفيفاً، وحلف ألاّ يغنّى سائر يومه سواه . فاعتذر وتكلمت الجماعة فيه ، فأخذ العود وما زال يغنّى حتى انقضى ذلك اليومُ وعاد الواثق إلى مجلسه (١) » .

٧ — ألقى على غلمانه صوتاً فأخذوه عنه :

وحدّث عبد أمّ غلام الواثق قال :

« دعا بنا الواثق مع صلاة الغداة وهو يستاك فقال : خذوا هذا الصوت ، ونحن عشرون غلاماً كلنا يغنّى ويضرب ، ثم ألقى علينا :

أشكو إلى الله ما ألقَى من الـكمَدِ ... حَسْبى بربِّى فلا أشكو إلى أحد
أينَ الزمانُ الذى قد كنت ناعمةً ... مُهلةً بدُنوِّى منك يا سندى
وأسأل الله يوماً منكِ يفرحنى ... فقد كَحلْتِ جفون العين بالسهد

(١) الأغانى (ج ٩ ص ٢٩٨ طبع دار الكتب المصرية) .

شوقاً إليك وما تدرين ما لقيت نفسى عليك وما بالقلب من كمد

فما زال يردّده حتى أخذناه عنه[١]»

٨ـ كان إسحاق يصحح له غناءه :

وحدّث أحمد المكىّ قال :

« كان الواثق يعرض صنعته على إسحاق ، فيصلح الشىء بعد الشىء مما يخفى على الواثق ، فإذا صححه أخرجه إلينا وسمعناه[٢] » .

٩ ـ غناء المنتصر (الخليفة العباسىّ) :

قال أبو الفرج :

« وممن حُكى عنه أنه صنع فى شعره وشعر غيره المنتصرُ ، فإنى ذكرتُ ما رُوى عنه أنه غنىّ فيه على سوء العهدة فى ذلك وضعف الصنعة ، لئلا يشذّ عن الكتاب شىءٌ قد رُوى وقد تداوله الناس ، فمما ذُكر عنه أنه غنىّ فيه :

سُقِيتُ كأساً كشَفَتْ عن ناظرىَّ الخُمُرا

فَنَشَّطَتْنِي ولقد كنتُ حزينا خاثِرا[٣] »

وقال يزيد المهلبىّ :

« كان طبع المنتصر متخلّفاً فى قول الشعر ، وكان متقدّماً فى كل شىء غيره ، فكان إذا قال شعراً صنع فيه وأمر المغنين بإظهاره ، وكان حسن العلم بالغناء . فلما ولى الخلافة قطع ذلك وأمر بستر ما تقدّم منه[٤] »

---

(١) الأغانى (ج ٩ ص ٢٩٩ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الأغانى (ج ٩ ص ٩٩ طبع دار الكتب المصرية) .
(٣) الأغانى (ج ٩ ص ٣٠٠ طبع دار الكتب المصرية) .
(٤) الأغانى (ج ٩ ص ٣٠١ طبع دار الكتب المصرية) .

وأنشد يزيد المهلبىّ فى المنتصر بعد أن ولى الخلافة :

لِيَهْنِئْكَ مُلكٌ بالسعادة طائرُهْ مَوارِدُه محمودةٌ ومَصَادِرُهْ
فأنت الذى كنّا نُرَجِّى فلم نَخِبْ كما يُرْتَجَى من واقع الغيث باكرُهْ
بمنتصرٍ بالله تَمَّتْ أمورُنا ومن ينتصر بالله فاللهُ ناصرُهْ

فأمر المنتصرُ عريب أن تغنى نشيداً فى أوّل الأبيات وتجعل البسيط فى البيت الأخير ، فعملته وغنته به[١] .

وحدّث بنانُ بن عمرو المغنى قال : « غنيتُ يوماً بين يدى المنتصر :

هل تَطْمِسون من السماء نجومَها بأكفّكم أو تسترون هِلالَها

فقال لى : إياك وأن تغنى بحضرتى هذا الصوت وأشباهه ، فما أحبّ أن أغنّى إلاّ فى أشعار آل أبى حفصة خاصّة[٢] » .

١٠ــ غناء المعتزّ بالله (الخليفة العباسىّ) :

قال أبو الفرج :

« وممن هذه سبيلهُ فى صنعة الغناء المعتزّ بالله ، فإنى لم أجد له منها شيئاً إلاّ ما ذكره الصولىّ فى أخباره ، فأتيتُ بما حكاه للعلة التى قدّمتها من أنى كرهتُ أن يخلّ الكتاب بشىء قد دوّنه الناس وتعارفوه . فمما ذكر أنه غنىّ فيه :

لَعَمْرِى لقد أَصْحرتْ خيلُنا بأكناف دِجْلَةَ للمُصْعَبِ
فمَنْ يَكُ مِنّا يَبِتْ آمناً ومن يَكُ من غيرنا يَهْرُبِ[٣] »

١١ــ غناء المعتمد على الله (الخليفة العباسى) :

قال أبو الفرج :

« وممن ذُكر أن له صنعةً من الخلفاء المعتمد . قال محمد بن يحيى الصّولىّ :

(١) الأغانى (ج ٩ ص ٣٠٤ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الأغانى (ج ٩ ص ٣٠٥ طبع دار الكتب المصرية) .
(٣) الأغانى (ج ٩ ص ٣٠٥ طبع دار الكتب المصرية) .

ذكر عبد الله بن المعتز عن القاسم بن زُرْزُور أنّ المعتمد ألقى عليه لحناً صنعه فى هذا الشعر وهو :

ليس الشَّفيعُ الذى يأتيكَ مُؤْتزِراً مثلَ الشَّفيع الذى يأتيكَ عُرْيانَا

ولم أسمع للمعتمد غناءً إلا من هذه الجهة التى ذكرتها (١) » .

١٢ – الغناء القديم والغناء الحديث :

ولما زها العصر العباسىّ فى زمن الرشيد والمأمون وأطلقت الألسنة والأفكار أخذ المغنون يفكرون فى تعديل الألحان ، واستنباط أسلوب جديد . وأوّل من تجرّأ على ذلك إبراهيم بن المهدىّ أخو الرشيد – وكان من الطامعين فى الخلافة – فلما استتبّ الأمر لأخيه المأمون انصرف هو إلى الغناء ، كما انصرف خالد ابن يزيد الأموىّ إلى الكيمياء لما يئس من الخلافة .

وكان إبراهيم بن المهدىّ من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات ، وأطبعهم فى الغناء وأحسنهم صوتاً . وهو يعدّ من الطبقة الأولى فى عصره ، لكنه كان مقصِّراً عن أداء الغناء القديم على طريقة الموصلىّ . فكان يحذف نغم الأغانى الكثيرة العمل حذفاً شديداً ، أو يخففها على قدر طاقته . وإنما تجرّأ على ذلك بما له من المنزلة عند الناس . فكان إذا عوتب قال : « أنا ملكٌ أغنى كما أشتهى » وصارت له طريقة يسمّونها : « الغناء الحديث » وسمّوا طريقة إسحاق « الطريقة القديمة » وانقسم المغنون فى ذلك إلى قسمين (٢) . وأصحاب

(١) الأغانى (ج ٩ ص ٣٢٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) هذا أشبه بما هو واقع فى عصرنا الآن من أنصار الغناء القديم ، ويريدون به غناء المرحوم عبده الحمولى ، والمرحوم محمد عثمان ومن فى طبقتهما من المعاصرين لهما ، وأنصار الغناء الحديث ويريدون به غناء المرحوم الشيخ سيد درويش وغناء الموسيقار الأستاذ محمد عبد الوهاب وما أدخلاه على الغناء القديم والموسيقى العربية بتجديدات من الموسيقى الغربية ، وقد فصل هذا بتوضيح كاف الأستاذ قسطندى رزق فى كتابه « الموسيقى الشرقية » وهو من أنصار الغناء القديم .

فنّ الغناء يعدّون عمل إبراهيم بن المهدى إفساداً فى هذه الصناعة لأنهم يفضّلون القديم فأخذوا فى الرجوع إليه .

على أنّ ذلك بعثهم على إعمال الفكرة والتعمّق بهذا الفنّ ، وانتهى ذلك إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكان من كبار العلماء المفكّرين ولا سيما فى علوم الأوائل والموسيقى والهندسة ، فوضع كتاباً فى النغم وعلل الأغانى سمّاه : « الآداب الرفيعة » نال شهرةً واسعةً ، ونأسف لضياعه مثل ضياع أكثر ما وضعه العرب فى الموسيقى أو الغناء قبل كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى(١) .

١٣– إبراهيم بن المهدىّ أوّل منْ أفسد الغناء القديم :

قال أبو الفرج يشرح هذا فى كلامه على صنعة أولاد الخلفاء الذكور منهم والإناث : « فأولهم وأتقنهم صنعةً وأشهرُهم ذكراً فى الغناء إبراهيم بن المهدىّ ، فإنه كان يتحقّق به تحققاً شديداً ويبتذل نفسه ولا يستتر منه ولا يحاشى أحداً . وكان فى أوّل أمره لا يفعل ذلك إلاّ من وراء ستر ، وعلى حال تصوّن عنه وترفع ، إلا أن يدعوه إليه الرشيد فى خلوة والأمين بعده . فلما أمّنه المأمون تهتك بالغناء وشرب النبيذ بحضرته والخروج من عنده ثملاً ومع المغنين ، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع ربقة الخلافة من عنقه ، وهتك ستره فيها حتى صار لا يصلح لها . وكان من أعلم الناس بالنغم والوتَر والإيقاعات ، وأطبعهم فى الغناء وأحسنهم صوتاً . وهو من المعدودين فى طيب الصوت خاصّة ، فإن المعدودين منهم فى الدولة العباسية : ابن جامع ، وعمر بن أبى الكنّات وإبراهيم بن المهدىّ ، ومخارق . وهؤلاء من الطبقة الأولى ، وإن كان بعضهم يتقدّم . وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مقصّراً عن أداء الغناء القديم وعن أن ينحوه فى صنعته ، فكان يحذف نغم الأغانى الكثيرةَ العمل حذفاً شديداً ويخففها على قدْر ما يصلح له ويفى بأدائه . فإذا عيب ذلك عليه قال : « أنا ملك وابنُ ملك ، أغنى كما أشتهى وعلى ما ألتذّ » ،

(١) تاريخ الآداب العربية لجرجى زيدان (ج ٢ ص ١٣٦)

فهو أوّل منْ أفسدَ الغناء القديم وجعل للناس طريقاً إلى الجسارة على تغييره .

فالناس إلى الآنَ صنفان : مَنْ كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممن كان ينكر تغيير الغناء القديم ويعظم الإقدام عليه ويعيب من فعله، فهو يغنّى الغناء القديم على جهته أو قريباً منها. ومَنْ أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدىّ أو اقتدى به مثل: مخارق وشاريةَ وريّق، ومنْ أخذ عن هؤلاء جميعاً إنما يغنّى الغناءَ القديمَ كما يشتهى هؤلاء لا كما غناه من ينسب إليه ، ويجد على ذلك مساعدين ممن يشتهى أن يقرُب عليه مأخذُ الغناء ويكره ما ثقل وثقلت أدواره ، ويستطيل الزمانَ فى أخذ الغناء الجيّد على جهته بقصر معرفته . وهذا إذا اطرد فإنما الصنعة لمن غنّى فى هذا الوقت لا للمتقدّمين ، لأنهم إذا غيّروا ما أخذوه كما يروْنَ وقد غيره من أخذوه عنه وأخذ ذلك أيضاً عمن غيّره ، حتى يمضى على هذا خمسُ طبقات أو نحوُها ، لم يتأدّ إلى الناس فى عصرنا هذا من جهة الطبقة غناء قديم على الحقيقة البتة .

وممن أفسدَ هذا الجنسَ خاصّة بنو حَمدون بن إسماعيل فإنّ أصلهم فيه مخارق ، وما نفع الله أحداً قطّ بما أخذ عنه ، وزرْيابُ الواثقية فإنها كانت بهذه الصورة تغير الغناء كما تريد ، وجوارى شاريةَ وريّق . فهذه الطبقة على ما ذكرتُ . ومنْ عداهم من الدّور مثل دُور عريب ودُور جواريها والقاسم بن زرْزُور وولده ، ودُور بذْل الكبرى ومن أخذ عنها ، وجوارى البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن معاذ، ودُور آل الرّبيع منْ جرَى مجراهم ممن تمسك بالغناء القديم وحمله كما سمعه ، فعسى أن يكون قد بقى ممن أخذ بذلك المذهب قليلٌ من كثير ، على أن الجميع من الصحيح والمغير قد انقضى فى عصرنا هذا[1] » .

---

(١) الأغانى (ج ١٠ ص ٦٩ – ٧٠ طبع دار الكتب المصرية) .

١٤ـ تعليم جارية ضرب الطبل بمائة دينار :

وحدّث عن إبراهيم بن المهدىّ أنه طلب من جعفر الطبال تعليم جاريته ضرب الطبل وله مائة دينار فأجاب طلبه . وتفصيل هذا أن إبراهيم بن المهدىّ قال لجعفر الطبال ـ وكان حاذقاً متقدماً بادراً نادراً طيباً ـ : يا جعفر حذّق فلانة جاريتى ضرب الطبل ولك مائة دينار أعجّل لك منها خمسين ، قال نعم ، فعجلت له الخمسون ، فلما حذقت طالب إبراهيم بتتمة المائة ، فلم يعطه ، فاستعدى عليه أحمدبن أبى دواد الحسنىخليفته فأعداهووكل إبراهيم وكيلا ، فلما تقدّموا إلى القاضى مع الوكيل أراد الوكيل أن يكسر حجة جعفر فقال : أصلح الله القاضى ، سله من أين له هذا الذى يدّعى وما سببه ؟ فقال جعفر : أصلح الله القاضى ، أنا طبّال وشارطنى إبراهيم على مائة دينار على أن أحذّق جاريته فلانة وعجّل لى خمسين ديناراً ومنعنى الباقى بعد أن رضىَ حذقها ، فيحضر القاضى الجارية وطبلها ، وأحضر أنا طبلى ويسمعنا القاضى ، فإن كانت مثلى قضى لى عليه ، وإلا حذقتها فيه حتى يرضى القاضى ، فقال له القاضى : قم عليك لعنة الله وعلى من برضى بذلك منك ومنها . فأخذ الأعوان بيده فأقاموه[1] .

١٥ـ صلة الخليفة المهدىّ الجزيلة :

وحدّثنا أنّ الخليفة المهدىّ كان يجزل صلته ، قال عمر بن شبّة : « بلغنى أنّ المهدىّ أعطى دحْمان فى ليلة واحدة خمسين ألفَ دينار ، وذلك أنه غنّى فى شعر الأحوص :

قَطُوفُ المَشْى إذ تمشِى تَرَى فى مَشْيِها خَرَقَا[2]

فأعجبه وطرب ، واستخفّه السرور حتى قال لدحمـــان : سلنى ما شئت ،

(١) الأغانى (ج ١٤ ص ٥٤ طبع بلاق) .

(٢) قطوف المشى : بطيئته . وخرقا : تحيرا . يريد أنها خفرة حتى لترى آثار التحير=

فقال : ضيعتان بالمدينة يقال لهما : « ريان » و « غالب » ، فأقطعه إياهما . فلما خرج التوقيع بذلك إلى أبى عبيد الله [١] وعمر بن بزيع راجعا المهدىّ فيه وقالا : إنّ هاتين ضيعتان لم يملكهما قطّ إلاّ خليفة ، وقد استقطعهما ولاةُ العهود فى أيام بنى أمية فلم يقطعوهما ، فقال : والله لا أرجع فيهما إلاّ بعد أن يرضى ، فصُولح عنهما على خمسين ألف دينار [٢] » .

١٦– سياط المغنى وعقاب وحبال الزامر :

«وطلب المهدىّ سياطاً المغنّى مع حبال وعقاب فظنّ الحاضرون أنه يريد الإيقاع بهم . فقال يوما ، وهو يشرب ، لسلاّم الأبرش [٣] : جئنى بسياط وعقاب وحبال ، فارتاع كلّ منْ حضر وظنّ جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم أو ببعضهم ، فجاءه بسياط المغنّى وعقاب المدنىّ — وكان الذى يوقع عليه — وحبال الزامر . فجعل الجلساء يشتمونهم والمهدىّ يضحك [٤] » .

١٧– وصف برصوما الزامر لمشاهير المغنين :

«وسألَ الرشيد برصوما الزامر عن سليم بن سلاّم الكوفىّ المغنّى وعن أربعة آخرين من المغنين ، فقال لبرصوما الزامر ، وكانت فيه لكنة : ما تقول فى ابن جامع ؟ قال : زقّ من أسل (يريد من عسل). قال : فإبراهيم ؟ قال :

=والدهش بادية عليها إذا مشت . وفى لسان العرب : «وفى حديث تزويج فاطمة – رضوان الله عليها –: فلما أصبح دعاها فجاءت خرقة من الحياء . أى خجلة مدهوشة، من الخرق وهو التحير . روى أنها أتته تعثر فى مرطها من الخجل » اهـ .

(١) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعرى الكاتب الوزير (راجع تاريخ الطبرى وتاريخ ابن الأثير فى غير موضع) .

(٢) راجع الأغانى (ج ٦ ص ٢٢ – ٢٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) هو سلام الأبرش من النقلة القدماء الذين ترجموا من اللغات إلى اللغة العربية فى أيام البرامكة وهو أحد الذين ترجموا كتاب السماع الطبيعى لأرسطو المعروف بسماع الكيان ، وهو ثمانى مقالات . وقد ترجم هذا الكتاب من اليونانى إلى السريانى ومنها إلى العربى ، ومن الرومى إلى العربى . ولم ندر اللغة التى ترجمه منها إلى اللغة العربية ، أهى السريانية أم الرومية (راجع فهرست ابن النديم وتاريخ الحكماء للقفطى وكشف الظنون) .

(٤) الأغانى (ج ٦ ص ١٥٣ طبع دار الكتب المصرية) .

بستان فيه فاكهة وريحان وشوك. قال: فيزيد حوْراء؟ قال: ما أبيدَ أسنانه! (يريد أبيض). قال: فحسين بن محرز؟ قال: ما أحسن خظامه! (يريد ما أحسن خضابه). قال: فسليم بن سلام؟ قال ما أنظف ثيابه [١]!»

«وغنى سليم بن سلام يوماً وبرصوما يزمر عليه بين يدى الرشيد، فقصّر سليم فى موضع صيحة، فأخرج برصوما الناىَ من فيه ثم صاح به وقال له: يا أبا عبد الله، صيحة أشدّ من هذا، صيحة أشد من هذا، فضحك الرشيد حتى استلقى. قال: وما أذكر أنى ضحكتُ قطّ أكثر من ذلك اليوم [٢]».

١٨ – طرب شيخ لسماع مغنية فرمى بنفسه فى الفرات:

ووصف لنا طرب شيخ لسماع مغنية فرمى بنفسه فى الفرات فقال:

«اصطحب شيخ مع شباب فى سفينة فى الفرات ومعهم مغنية. فلما صاروا فى بعض الطريق قالوا للشيخ: معنا جارية لبعضنا وهى مغنية، فأحببنا أن نسمع غناءها فهبناك، فإن أذنتَ لنا فعلنا. قال: أنا أصعَد إلى طلل [٣] السفينة، فاصنعوا أنتم ما شئتم، فصعِد، وأخذت الجارية عودها فغنّت:

حتى إذا الصبحُ بدا ضوءه   وغابت الجَوْزاء والمِرْزَمُ
أقبلتُ والوطء خفىٌّ كما   ينسابُ من مَكْمَنه الأرْقَمُ

فطرب الشيخ وصاح، ثم رمى بنفسه بثيابه فى الفرات، وجعل يغوص فى الفرات ويطفو ويقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فألقوا أنفسهم خلفه، فبعد لأى ما استخرجوه، وقالوا له: يا شيخ، ما حملك على ما صنعتَ؟ فقال: إليكم عنى! فإنى والله أعرف من معانى الشعر ما لا تعرفون.

وقيل له فى خبر: ما أصابك؟ فقال: دبّ شىء من قدمى إلى رأسى

---

(١) الأغانى (ج ٦ ص ١٦٤ طبع دار الكتب المصرية).
(٢) الأغانى (ج ٦ ص ١٦٥ طبع دار الكتب المصرية).
(٣) طلل السفينة: جلالها، وهو غطاء تغشى به كالسقف للبيت.

كدبيب النمل ونزل فى رأسى مثله ، فلما وردا على قلبى لم أعقل ما عملت [١] » .

١٩ – عُرْس فى الجنة :

ووصف لنا حادثاً غريباً وقع لما ماتت متيم وإبراهيم بن المهدىّ وبذْل ، وهم رؤساء المغنين فى عصرهم ، فى يوم واحد فقال :

« إنّ جارية للمعتصم قالت له حين ماتت متيّمُ وإبراهيم بن المهدىّ وبذْل : يا سيدى ، أظنّ أنّ فى الجنة عُرْساً ، فطلبوا هؤلاء إليه . فنهاها المعتصم عن هذا القول وأنكره ، فلما كان بعد أيام ، وقع حريقٌ فى حجرة هذه القائلة فاحترق كلّ ما تملكه . وسمع المعتصمُ الجلبة فقال : ما هذا ؟ فأخبر عنه ، فدعا بها فقال : ما قصّتك ؟ فبكت وقالت : يا سيدى ، احترق كلّ ما أملكه ، فقال : لا تجزَعى ، فإن هذا لم يحترق وإنما استعاره أصحاب ذلك العُرْس [٢] » .

---

(١) الأغانى (ج ٩ ص ٢٩٢ – ٢٩٣ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الأغانى (ج ٧ ص ٣٠٦ – ٣٠٧ طبع دار الكتب المصرية) .

الفصل الرابع

ميل خلفاء بنى أمية وبنى العباس إلى الترف والغناء

ولقد بلغ بهم الترف حداً عظيما ، فكان منهم من لا يلبس القميص إلا يوماً واحداً ، أو ساعة واحدة، فاذا نزعه لم يعد إلى لبسه إلاّ أن يكون الثوب نادراً معجباً غريباً . ومنهم من كان يلبس القميص والجبة أياماً ، فاذا ذهب رونقه رمى به فلم يلبسه .

وإليك أمثلة مما ساقه أبو الفرج فى كتابه الأغانى فى هذا الموضوع :

١- مغالاة الوليد بن يزيد بلبس الجوهر :

وحكى لنا عن مغالاة الوليد بن يزيد بلبس الجوْهر بقوله :

« إنما أغلى الجوهرَ بنو أمية ، ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقودَ ويغيّرها فى اليوم مراراً كما تغيّر الثياب شغفاً ،فكان يجمعه من كلّ وجه ويغالى به [1]» .

٢- استخفاف الطرب بيزيد بن عبد الملك :

ووصف لنا كيف استخفّ الطرب يزيد بن عبد الملك وجعل يدور كما يدور الصبيان حين غناه معبد فى شعر فصاح يزيد : أحسنتَ والله يا مولاى ! أعدْ فداك أبى وأمى ،فأعاد ، فردّ عليه مثل قوله الأول، فأعاد ، ثم قال : أعدْ فداك أبى وأمى، فأعاد،فاستخفه الطرب حتى وثب وقال لجواريه : افعلنَ كما أفعلُ ، وجعل يدور فى الدار ويدُرْنَ معه وهو يقول :

---

(١) الأغانى (ج ٧ ص ٥٩ طبع دار الكتب المصرية) .

يا دارُ دُوِّرينى يا قَرْقَرُ امْسِكينى
آليتِ منذُ حينِ حقًا لَتصْرِمينى
ولا تُواصِلينى بالله فارْحَمينى
لم تذْكُرى يمينى

قال : فلم يزل يدُور كما يدور الصبيان ويدُرْنَ معه حتى خرّ مغشيا عليه ووَقعنَ فوقه ما يعقلُ ولا يعقلنَ . فابتدره الخدم فأقاموه وأقاموا منْ كان على ظهره من جواريه وحملوه وقد جاءت نفسه أو كادت (١) »

٣ – خروج نَشْر فى صورة جميلة :

ووصف لنا خروج نشر وهى فى صورة جميلة فقال محدّثا عن جعفر بن قدامة : « كنا عند ابن المعتزّ يوماً وعنده نشر ، وكان يحبها ويهيم بها ، فخرجتْ علينا من صدر البستان فى زمن الربيع ، وعليها غلالةٌ معصفرة وفى يديها جنّابى (٢) باكورة باقلاّ ؛ فقالت له : يا سيدى تلعب معى جنّابى؟ فالتفت إلينا وقال على بديهته غيرَ متوقف ولا مفكر :

فدَيْتُ مَنْ مَرّ يَمْشى فى مُعَصْفرَةٍ عَشِيَّةً فسَقانى ثم حيّانى
وقال : تلعبُ جنّابى ؟ فقلت له : مَنْ جاد بالوصل لم يلعب بهِجْران !

وأمر فغُنّىَ فيه (٣) » .

٤ – شرْب المعتزّ بالله على بستان مملوء من النمام :

ووصف لنا شرْبَ المعتزّ على بستان مملوء من النمّام (٤) ، وطارحه بنانٌ المغنى فى بيت من الشعر وتغنى فيه ، قال :

(١) الأغانى (ج ١ ص ٦٨ – ٦٩ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الجنابى : لعبة للصبيان يتجانب الغلامان فيعتصم كل واحد من الآخر .
(٣) الأغانى (ج ١٠ ص ٢٨٠ – ٢٨١ طبع دار الكتب المصرية) .
(٤) النمام : نبت ورقه كالسذاب عطرى قوى الرائحة ، سمى بذلك لسطوع رائحته .

«كان المعتزّ يشرب على بستان مملوء من النّمّام، وبين النمّام شقائق النعمان، فدخل إليه يونس بن بُغا وعليه قَباء أخضر، فقال المعتزّ:

شَبَّهتُ حُمْرَةَ خدّه فى ثوبه ... بشقائق النُّعمان فى النمَّام

ثم قال: أجيزوا. فابتدر بنانٌ المغنّى، وكان ربما عبث بالبيت بعد البيت فقال:

والقدُّ منه إذا بدا فى قَرْطَقٍ(١) ... كالغصن فى لينٍ وحُسْنِ قوام

فقال له المعتزّ: فغنّ فيه الآن، فعمل فيه لحناً(٢)».

٥ — قصّة المعتزّ بالله ويونس بن بغا مع دَيرانىّ:

وحكى لنا قصّة المعتزّ ويونس بن بغا مع دَيرانىّ عن الفضل بن العباس بن المأمون، قال:

«كنت مع المعتزّ فى الصيد، فانقطع عن الموكب وأنا ويونس بن بغا معه، ونحن بقرب قنطرة وصيف، وكان هناك دَير فيه دَيرانىّ يعرفنى وأعرفه، نظيفٌ ظريفٌ مليحُ الأدب واللفظ. فشكا المعتزّ العطشَ. فقلتُ: يا أمير المؤمنين، فى هذا الدّير دَيرانىّ أعرفهُ خفيفُ الروح لا يخلو من ماء بارد، أفترى أن نميل إليه؟ قال نعم. فجئناه فأخرج لنا ماء بارداً، وسألنى عن المعتزّ ويونس فقلت: فتيان من أبناء الجند، فقال: بل مفلتان من حور الجنة. فقلت له: هذا ليس فى دينك. فقال: هو الآن فى دينى، فضحك المعتزّ. فقال لى الديرانىّ: أتأكلون شيئاً؟ قلت نعم. فأخرج شطيرات وخبزاً وإداماً نظيفاً، فأكلنا أطيبَ أكل، وجاءنا بأطراف أشنان، فاستظرفه المعتزّ وقال لى: قل له فيما بينك وبينه: منْ تحبّ أن يكون معك من هذين لا يفارقك.

(١) القرطق: قباء ذو طاق واحد.

(٢) الأغانى (ج ٩ ص ٣١٨ طبع دار الكتب المصرية).

فقلت له : فقال : « كلاهما وتمرا [١] » فضحك المعتزّ حتى مال على حائط الدّير . فقلت للديرانىّ : لا بدّ من أن تختار . فقال : الاختيار والله فى هذا دمار ، وما خلق الله عقلا يميز بين هذين . ولحقهما الموكب ، فارتاع الديرانىّ. فقال له المعتزّ : بحياتى لا تنقطع عما كنا فيه ، فإنى لمن ثمّ مولًى ولمن هاهنا صديق . فمزحنا ساعة ، ثم أمر له بخمسمائة ألف درهم . فقال : والله ما أقبلها إلاّ على شرط . قال : وما هو ؟ قال : يجيب أمير المؤمنين دعوتى مع من أراد . قال : ذلك لك . فاتعدْنا ليوم جئناه فيه فلم يبق غاية ، وأقام للموكب كلّه ما احتاج إليه ، وجاءنا بأولاد النصارى يخدُموننا. ووصله المعتزّ يومئذ صلة سنية ، ولم يزل يعتاده ويقيم عنده [٢] » .

٦ – تهتُّك الوليد بن يزيد (الخليفة الأموىّ) :

وهو الذى حكى لنا عن تهتك الوليد بن يزيد ؛ قال :

« لما ولى الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب والصيد ، وحمل المغنين من المدينة وغيرها إليه ، وأرسل إلى أشعب فجاء به ، فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب وقال له : ارقص وغننى شعراً يعجبنى ، فإن فعلت فلك ألف درهم ، فغناه فأعجبه ، فأعطاه ألف درهم [٣] »

٧ – من صفات الواثق بالله (الخليفة العباسىّ) :

وورد فى الأغانى فى كلامه على أخبار حسين بن الضحاك ونسبه أن الواثق لما أنشده ابنُ الضحاك شعرَه « أمر بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه .

---

(١) مثل قاله عمرو بن حمران وقد مر به رجل أضر به العطش والسغوب وبين يديه زبد وتامك وتمر . فقال له الرجل : أطعمنى من هذا الزبد والتامك . فقال عمرو : « نعم كلاهما وتمراً » فصارت مثلا فى زيادة الإكرام . أى لك كلاهما وأزيد تمراً .

(٢) الأغانى (ج ٩ ص ٣٢١ – ٣٢٢ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) الأغانى (ج ٧ ص ٤٦ طبع دار الكتب المصرية) .

ثم قال : قوموا بنا إلى حانة الشّط فقاموا إليها ، فشرب وطرِب ، وما ترك يومئذ أحداً من الجلساء والمغنين والحشم إلاّ أمر له بصلة . وكان من الأيام التى سارت أخبارها وذكرت فى الآفاق (١) »

ولم يذكر أبو الفرج شيئاً عن حانة الشطّ غير هذا ، والشعر الذى قاله حسين بن الضحاك فى وصفها وقد شرب فيها مع الواثق ، وقد اطلعنا على هذه القصة فى مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى ، ويجمل بنا أن نسوقها فى هذا المقام :

٨ – حانة الشطّ :

« قال حَمْدُ بن حمدون : كان الواثق يحبّ المواخير ، وما قيل فيها ، وما غنى به فى ذكرها . فعقد حانتين : إحداهما فى دار الحُرَم ، والأخرى على الشطّ وأمر بأن يختار له خمّار نظيف ، جميل المنظر ، حاذق بأمر الشراب ، ولا يكون إلاّ نصرانيا من أهل قطربّلَ . فأتى بنصرانىّ ، له ابنان نظيفان مليحان وابنتان بهذه الصفة . فجعلهم الواثق فى الحانتين ، وضمّ إليهم خدَماً وغلماناً وجوارىَ رومية . وأخدم النساء حانة الحُرَم ، والرجالَ حانةَ الشطّ . ونقل إليهما طرائف الشرب ، وفرشهما من فرش الخلافة ، وعلق عليهما الستور ، وجعل فيهما الأوانى المذْهبة والدنان المدهونة . فكانتا أحسن منظر وأبهاه . فلما فرغ منهما ، أمر بإحضار المغنين والجلساء ، ولم يدَعْ أحداً يصلح من ضرّاب الطنابير إلاّ أحضره . وحضرنا ، وخرج الخمار ، هو وأولاده معه ، عليهم الأقبية المسهّمة ، وفى أوساطهم الزنانير المحلاّة ، ومعهم غلمان يحملون المكاييل والكيزان والمبازل فى(٢) الصوانى ، وأخرجت تلك الدنان المذْهبة ، وقد طيّنتْ رءوسها تطييناً نظيفاً . يعبق

(١) الأغانى (ج ٧ ص ١٩٧ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) المبازل : جمع مبزل . وهو المثقب ، أى الآلة التى تثقب بها الدنان والبراميل ليسيل ما فيها .

منه الطيب ، فأقيمت بإزاء المجلس الذى كان فيه جالساً ، فبزلتْ ، كما يفعل فى الحانات وجعل يؤتى بالأنموذجات فيذوقها ويعرض ذلك على الجلساء . فيختار كلّ منهم ما يشتهيه . فيأخذ دناً ، ويجىء إلى الخمّار ويكتال منه بمكيال فى إنائه ، كما يفعل فى المواخير ، ويعود إلى موضعه فيجلس . ويوضع على رأس الحضور أكاليل الآس وما أشبهه من الرياحين ، فكان أحسن يوم رأيته .

فشرب الواثق شرباً كثيراً ، وأمر للخمار بألف دينار ، ولزوجته بألف دينار ، ولكل واحد من أولاده بخمسمائة دينار ، ولم يبرح أحدٌ منا إلا بجائزة سنية .

وحكى الحسين بن الضحاك فى حكاية له أنّ الواثق قال له : هل لك فى حانة الشطّ ؟ قال : فقلت : إى والله ! يا أمير المؤمنين ، فقام إليها فشرب هناك وطرب . وما ترك أحداً من الجلساء والمغنين والحشم ، إلاّ أمر له بصلة . وكان من الأيام التى سارت أخبارها ، وذكرت فى الآفاق .

فلما كان من الغد ، غدوتُ عليه فقال : أنشدْنى يا حسين شيئاً ، إن كنت قلته فى يومنا هذا الماضى . فأنشدته :

يا حانةَ الشَّطِّ قد أكرمتِ مثوانا ... عُودِى بيوم سرورٍ كالذى كانا
لا تُفْقِدينا دُعاباتِ الإمام ولا ... طِيبَ البَطَالةِ إسراراً وإعلانا
ولا تخالُعنا فى غير فاحشةٍ ... إذا يطرِّبنا الطُّنْبُورُ أحيانا
[وهاج زَمْرُ زُنَامٍ (١) بين ذاك لنا ... شَجْواً فأهْدَى لنا رَوْحاً وريْحانا]

---

(١) زنام (وزان غراب) : زمار حاذق ، خدم كلا من الرشيد والمعتصم والواثق . وهو الذى أحدث الناى فى زمن المعتصم ، فيقال : ناى زنامى . وقول العامة : « ناى زلامى » باللام تحريف . وزنام فى الناى ، وبنان فى العود ، كلاهما منقطع النظير فى طبقته ، فإذا اجتمعا على الضرب والزمر أحسنا وأعجبا رقة . قال البحترى :

هل العيش إلا ماء كرم مصفق ... يرقرقه فى الكأس ماء غمام
وعود « بنان » حين ساعد شدوه ... على نغم الألحان ناى « زنام »

(ملخص من القاموس وشرحه مادة زنم)

وسَلْسَلَ الرّطلَ عمرٌو ثم عمّ بنا الـسُّـ ـقيــــا فألْحَقَ أُولانا بأُخرانا
سَقْياً لشكلِكَ من شَكلٍ خُصِصْتِ به دُونَ الدَّساكرِ من لَذّاتِ دُنْيانا !
[حَفّتْ رياضَكَ جَنّاتٌ مجاوِرةٌ فى كلِّ مُخْتَرقٍ نهراً وبستانا]
[لا زلتِ آهلةَ الأوطانِ عامرةً بأكرمِ النـاسِ أعراقا وأغصانا[١]]

قال : فأمر لى الواثق بصلة سنية مجدّدة ، واستحسن الشعر ، وأمر أن يغنى فيه[٢] » .

٩ - حانات العراق :

وبمناسبة « حانة الشطّ » نذكر حانات العراق وما قيل فيها ، وهى أربع حانات :

(ا) — حانة طيزَناباذ[٣] :

« وكان خمارها سرجس . وحكى سليمان بن نوبخت قال : حججتُ واستصحبتُ أبا نوّاس ، بعد امتناع منه ونفار . وشرط علىّ أن أتقدّم معه الحاجّ إلى القادسية ، فنقيم نشرب بطيزَناباذَ . فنزل على خمار كان يألفه ، فشرب يومه وليلته . ثم انتبه يقول :

وخمّارٍ أنختُ إليـه لَيْـلاً قَلائِصَ قد وَنينَ من السِّفارِ

(١) الأبيات المحصورة بين هذين القوسين المربعين زيادة من الأغانى (ج ٧ ص ١٩٨ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) انظر مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى (ج ١ ص ٣٩٣–٣٩٥ طبع بلاق) .
(٣) طيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج . كان من أنزه المواضع محفوفاً بالكرم والشجر والحانات والمعاصر . وكان أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة وهو الآن خراب . ولم يبق به إلا أثر قباب يسمونها « قباب أبى نواس » ويقال إن معنى اسمها عمارة الضيزن (انظر معجم البلدان لياقوت) .

فَتَرْجَمَ ، والكرَى فى مُقْلَتيهِ　　كمخمورٍ شكا ألمَ الخُمارِ
« أبِنْ لى كيف صِرْتَ إلى حَرِيمى　　ولَوْنُ الليلِ ملتَبِسٌ بِقَارِ ؟ »
فقام إلى العُقَارِ فسَدَّ فَاهَا　　فعادَ الليلُ مُسْوَدَّ الإزارِ[1]

(ب) — حانة قطرَبُّلَ[2] :

« وكان خمّارها ابن أذين » .

حكى أبو الشبل البرْجمىّ قال : اجتمعتُ بأبى نوّاس فى النوبختية . فسلمتُ عليه ، وسألته عن خبره ، وتحدّثنا طويلا ، ثم قال : أتساعدُنى حتى نمضىَ إلى موضع طيب ؟ قلت : أين هو ؟ قال : بقطربلَ ، فقلت : ضاقت الدنيا حتى نسافر ؟ فقال لى : إن هناك خمّاراً ظريفاً ، لبقاً ، مساعداً ، عنده شراب عتيق وغلمان صباحٌ ، فامض بنا . فمضيتُ حتى أتى حانة خمار . فقال لى : أتعرفه ؟ قلت : لا . قال : هذا ابن أذين الذى أقول فيه :

اسقِنى يا ابنَ أذينٍ　　من شرابِ الزَّرجُونِ[3] !
اسقِنى حتى ترَى بى　　جِنّةً غيرَ جُنونِ !
عُتِّقَتْ فى الدَّنّ حتى　　هى فى رِقّةِ دِينى !
ولنا ساقٍ عليه　　جُبّةٌ من ياسَمينِ[4] !

قال :

فأقمنا عنده ثلاثة أيام ، فى أنزه موضع ومع أكيس خادم . ثم انصرفنا[5] .

(١) انظر مسالك الأبصار (ج ١ ص ٣٩٢ طبع بلاق) .

(٢) قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر ، وما زالت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها (انظر معجم البلدان لياقوت) .

(٣) الزرجون : الخمر . وهى كلمة فارسية مركبة من « زر » أى الذهب ؛ ومن « كون » أى اللون . وأصله (زركون) أى لون الذهب (انظر المعرب للجواليقى ص ١٦٥ طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) الياسمين : هو المشموم المعروف .

(٥) مسالك الأبصار (ج ١ ص ٣٩٢) .

(ج)– حانة الشطّ – مرّ ذكرها .

(د) – حانة خويث :

« وتعرّف بحانة بزيع (١) ، وهو خادم المتوكل . وكانت عزيزة لا يعرض لها أصحاب المعاون(٢) . وكانت حسنة البناء ، مؤزّرة مسقفة بالساج . وإلى جانبها بستانٌ نزهٌ حسن لبزَيع . وكان يتخذ فيها آلة الشراب. وكان فيها خمار يهوديّ، لا يبيع إلاّ شراباً مختاراً سرياً ، لا يبيعه أحداً من العامة والوضعاء . وكانت حانته لنزّه الخاصّة والسراة من الناس . وكانت موصوفة بالحسن والنظافة .

وفيها يقول عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات (وكان قد دعاه بزيع إليها ، ومعهما جنىّ الخادم ، وكان نهاية فى الحسن ، وحسنَ الغناء) :

سقانا بَزِيعٌ والسِّماكُ مُشرِّقٌ ونجمُ الثُّرَيّا فى السماء مُحلِّقَ
كُمَيْتاً كأنَ المِسْكَ حَشْوُ كؤوسها بها الشَّمْلُ مجموعٌ فما يَتفرّقُ
سُلافة كرم أخلص الدهر لونه يضىء لها الليل البهيم ويشرق
وقلتُ لجِنِيٍّ : هَلُمَّ فغَنِّنِى أرِقتُ، وماهذاالسُّهادُ المُؤرِّقُ؟
فغنّى غِناءً حرّكَ القلبَ حُسْنُه ولمّا يحرِّكْهُ الشرابُ المُصَفَّقُ!(٣)

١٠ــ ردّ العلاّمة ابن خلدون على من اتهم الخلفاء بمعاقرة الخمر :

وأما ما تموّه به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر ، واقتران سكره بسكر الندمان فحاش لله ، ما علمنا عليه من سوء ، وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة ، وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء

(١) بزيع : اسم الساقى .
(٢) المعاون : أى الذين يطالبون المعونة ، أى الضرائب والخراج .
(٣) مسالك الأبصار (ج ١ ص ٣٩٥) .

ومحاوراته للفضيل بن عياض وابن السماك والعمرىّ ، ومكاتبته سفيان الثورىّ ، وبكائه من مواعظهم ، ودعائه بمكة فى طوافه ، وما كان عليه من العبادة ، والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لأوّل وقتها .

حكى الطبرىّ وغيره أنه كان يصلى فى كلّ يوم مائة ركعة نافلة . وكان يغزو عاماً ويحجّ عاماً . ولقد زجر ابن أبى مريم مضحكه فى سمره حين تعرّض له بمثل ذلك فى الصلاة لما سمعه يقرأ : « وما لى لا أعبد الذى فطرنى » وقال : والله ما أدرى لمَ ! ! فما تمالك الرشيد أن ضحك ثم التفت إليه مغضباً وقال : يا ابن أبى مريم ، فى الصلاة أيضاً ! إياك إياك والقرآن والدّين ! ولك ما شئت بعدهما . وأيضاً فقد كان من العلم والسذاجة بمكان لقرْب عهده من سلفه المنتحلين لذلك ولم يكن بينه وبين جدّه أبى جعفر بعيد زمن إنما خلفه غلاماً .

وقد كان أبو جعفر بمكان من العلم والدّين قبل الخلافة وهو القائل لمالك حين أشار عليه بتأليف الموطأ : يا أبا عبد الله ، إنه لم يبق على وجه الأرض أعلم منى ومنك ، وإنى قد شغلتنى الخلافة فضع أنت للناس كتاباً ينتفعون به ، تجنب فيه رخص ابن عباس وشدائد ابن عمرو وطئه للناس توطئة . قال مالك : فوالله لقد علمنى التصنيف يومئذ ، ولقد أدركه ابنه المهدىّ أبو الرشيد هذا وهو يتورّع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال ، ودخل عليه وهو بمجلسه يباشر الخياطين فى إرقاع الخلقان من ثياب عياله ، فاستنكف المهدىّ من ذلك وقال : يا أمير المؤمنين ، علىّ كسوة العيال عامنا هذا من عطائى ، فقال له : لك ذلك ، ولم يصدّه عنه ولا سمح بالإنفاق من أموال المسلمين . فكيف يليق بالرشيد على قرْب العهد من هذا الخليفة وأبوّته وما ربى عليه من أمثال هذه السير فى أهل بيته والتخلق بها أن يعاقر الخمر أو يجاهر بها . وقد كانت حالة الأشراف من العرب الجاهلية فى اجتناب الخمر معلومة ، ولم يكن الكرم شجرتهم . وكان شرْبها مذمة عند الكثير منهم . والرشيد وآباؤه كانوا على ثبج من اجتناب المذمومات فى

دينهم ودُنياهم ، والتخلق بالمحامد وأوصاف الكمال ونزعات العرب .

وانظر ما نقله الطبرى والمسعودىّ فى قصّة جبريل بن بختيشوع الطبيب حين أحضر له السمك فى مائدته فحماه عنه. ثم أمر صاحب المائدة بحمله إلى منزله ، وفطن الرشيد وارتاب به ودسّ خادمه حتى عاينه بتناوله فأعدّ ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك فى ثلاثة أقداح خلط إحداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى ، وصبّ على الثانية ماء مثلجاً ، وعلى الثالثة خمراً صرفاً وقال فى الأوّل والثانى : هذا طعام أمير المؤمنين إن خلط السمك بغيره أو لم يخلطه ، وقال فى الثالث : هذا طعام ابن بختيشوع ، ودفعها إلى صاحب المائدة حتى إذا انتبه الرشيد وأحضره للتوبيخ أحضر الثلاثة الأقداح ، فوجد صاحب الخمر قد اختلط وأماع وتفتت ، ووجد الآخرَين قد فسدا وتغيرت رائحتها ، فكانت له فى ذلك معذرة ، وتبين من ذلك أن حال الرشيد فى اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته وأهل مائدته .

ولقد ثبت عنه أنه عهد بحبس أبى نواس لما بلغه من انهماكه فى المعاقرة حتى تاب وأقلع . وإنما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق، وفتاويهم فيها معروفة .

وأما الخمر فلا سبيل إلى اتهامه به، ولا تقليد الأخبار الواهية فيها ، فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرّماً من أكبر الكبائر عند أهل الملة . ولقد كان أولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب السرف والترف فى ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداوة، وسذاجة الدين التى لم يفارقوها بعدُ، فما ظنك بما يخرج عن الإباحة إلى الحظر ، وعن الحلة إلى الحرمة .

ولقد اتفق المؤرخون الطبرىّ والمسعودىّ وغيرهما على أن جميع منْ سلف من خلفاء بنى أمية وبنى العباس إنما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من الفضّة فى المناطق والسيوف واللجم والسروج ، وأن أوّل خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب

هو المعتزّ بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد ، وهكذا كان حالهم أيضاً فى ملابسهم فما ظنك بمشاربهم ، ويتبين ذلك بأتمّ من هذا إذا فهمت طبيعة الدولة فى أوّلها من البداوة والغضاضة .

ويناسب هذا أو قريب منه ما ينقلونه كافة عن يحيى بن أكثم قاضى المأمون وصاحبه، وأنه كان يعاقر المأمون الخمر ، وأنه سكر ليلة مع شربه فدفن فى الريحان حتى فاق، وينشدون على لسانه :

يا سيّدى وأمير الناس كلهم قد حار فى حُكْمه من كان يسقينى
إنى غفلت عن الساق فصيّرنى كما ترانى سليب العقل والدين

وحال ابن أكثم والمأمون فى ذلك من حال الرشيد ، وشرابهم إنما كان النبيذ ولم يكن محظوراً عندهم ، وأما السكر فليس من شأنهم، وصحابته للمأمون إنما كانت خلة فى الدين ، ولقد ثبت أنه كان ينام معه فى البيت .

ونقل من فضائل المأمون وحسن عشرته أنه انتبه ذات ليلة عطشان فقام يتحسس ويتلمس الإناء مخافة أن يوقظ يحيى بن أكثم .

وثبت أنهما كانا يصليان الصبح جميعاً فأين هذا من المعاقرة !

وأيضاً فإن يحيى بن أكثم كان من علية أهل الحديث ، وقد أثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل وإسماعيل القاضى ، وخرّج عنه الترمذىّ كتابه الجامع . وذكر المزنىّ الحافظ أنّ البخارىّ روى عنه فى غير الجامع ، فالقدح فيه قدح فى جميعهم .

وكذلك ما ينبزه المجّان بالميل إلى الغلمان بهتاناً على الله وفرية على العلماء ، ويستندون فى ذلك إلى أخبار القصّاص الواهية التى لعلها من افتراء أعدائه ، فإنه كان محسوداً فى كماله وخلقه للسلطان ، وكان مقامه من العلم والدين منزّهاً عن مثل ذلك .

ولقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال: سبحان الله! سبحان الله! ومن يقول هذا؟ وأنكر ذلك إنكاراً شديداً. وأثنى عليه إسماعيل القاضى فقيل له ما كان يقال فيه، فقال: معاذ الله أن تزول عدالة مثله بتكذيب باغ وحاسد، وقال أيضاً: يحيى بن أكثم أبرأ إلى الله من أن يكون فيه شيء مما كان يرمْى به من أمر الغلمان، ولقد كنتُ أقف على سرائره فأجده شديد الخوف من الله، لكنه كانت فيه دعابة وحسن خلق فرُمى بما رُمِىَ به. وذكره ابن حبان فى الثقات وقال: لا يشتغل بما يحكى عنه لأنّ أكثرها لا يصح عنه.

ومن أمثال هذه الحكايات الزنبيل فى سبب إصهار المأمون إلى الحسن بن سهل فى بنته بوران، وأنه عثر فى بعض الليالى فى تطوافه بسكك بغداد فى زمبيل مدلى من بعض السطوح بمعالق وجدل مغارة الفتل من الحرير فاقتعده وتناول المعالق فاهتزّت وذهبت به صعداً إلى مجلس شأنه، كذا ووصف من زينة فرشه وتنضيد أبنيته وجمال رؤيته لما يستوقف الطرف ويملك النفس، وأن امرأة برزتْ له من خلال الستور فى ذلك المجلس رائقة الجمال، فتانة المحاسن، فحيته ودعته إلى المنادمة فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع إلى أصحابه بمكانهم من انتظاره، وقد شغفته حباً بعثه على الإصهار إلى أبيها.

وأين هذا كله من حال المأمون المعروفة فى دينه وعلمه، واقتفائه سنن الخلفاء الراشدين من آبائه، وأخذه بسير الخلفاء الأربعة أركان الملة، ومناظرته للعلماء، وحفظه لحدود الله تعالى فى صلواته وأحكامه، فكيف تصح عنه أحوال الفساق المستهترين فى التطواف بالليل وطروق المنازل وغشيان السمر سبيل عشاق الأعراب! وأين ذلك من منصب ابنة الحسن بن سهل وشرفها، وما كان بدار أبيها من الصوْن والعفاف. وأمثال هذه الحكايات كثيرة، وفى كتب المؤرّخين معروفة، وإنما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك فى اللذّات المحرّمة، وهتك قناع المخدرات[١] .... الخ»

(١) المقدمة (ص ١٤ — ١٧ طبع بلاق).

ترف الوزراء العباسيين

١١ــ جلوس الحسن بن سهل على سرير آبنوس :

ووصف لنا جلوس الحسن بن سهل على سرير آبنوس وعليه قبة فوقها طارمة ديباج أصفر ، قال : قال الحسين بن الضحاك الشاعر :

« دخلتُ على الحسن بن سهل فى فصل الخريف وقد جاء وسميٌّ من المطر فرّشّ رشاً حسناً واليومُ فى أحسن منظر وأطيبه ، وهو جالسٌ على سرير آبنوس وعليه قبةٌ[1] فوقها طارمةُ ديباج أصفر وهو يشرف على بستان فى[2] داره . . . الخ »

---

(١) المراد بالطارمة هنا : ستر رقيق من الديباج يظلل به الكرسى .
(٢) الأغانى (ج ٧ ص ١٧٨ طبع دار الكتب المصرية) .

الفصل الخامس

المواكب والاحتفالات

١ــ وصفه لموكب المتوكل :

وصف لنا موكب المتوكل بسرّ من رأى فقال :

« لما عقد المتوكلُ لولاة العهود من وَلده ركب بسرّ من رأى ركبة لم ير أحسنُ منها ، وركب ولاةُ العهود بين يديه ، والأتراكُ بين أيديهم أولادُهم يمشون بين يدَى المتوكل بمناطق الذهب ، فى أيديهم الطبرْزينات ُ(١) المحلاّة بالذّهب ، ثم نزل فى الماء فجلس فيه والجيش معه فى الجوانحيات (٢) وسائر السفن ، وجاء حتى نزل فى القصر الذى يقال له : العروس ، وأذنَ للناس فدخلوا إليه ، فلما تكاملوا بين يديه ، مثل إبراهيم بن العباس بين الصفين ، فاستأذن فى الإنشاد فأذنَ له ، فقال :

ولمّا بَدَا جعفرٌ فى الخميـ ... س بين المطيـ(٣) وبين العَروس
بدا لابسـاً بهما حُـلَّةً ... أُزيلتْ بها طالعاتُ النُّحوس
ولمّا بَدَا بين أحبـابه ... وُلاةِ العُهُودِ وعزِّ النفوس
غـدا قمراً بين أقماره ... وشمسـاً مكلَّلةً بالشموس
لإيقـاد نارٍ وإطفائهـا ... ويومٍ أنيقٍ ويومٍ عبوس

(١) الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الطير (الفأس) .
(٢) الجوانحيات : نوع من السفن .
(٣) المطل : اسم مكان أو قصر ، كما هو ظاهر من السياق .

ثم أقبل على ولاة العهود فقال :

أضحت عُرَى الإسلام وهى منوطةٌ بالنَّصر والإعزاز وَالتأييد
بخليفةٍ من هاشمٍ وثلاثةٍ كَنَفوا الخلافةَ من وُلاة عهود
قمرٌ توافتْ حولَه أقمارُه يحففْنَ مطلعَ سعده بسعود
رَفَعتهمُ الأيام وارتفعوا به فسعَوْا بأكرمِ أنفُسٍ وجدود

فأمرَ له المتوكل بمائة ألف درهم ، وأمر له وُلاةُ العهود بمثلها (١) »

(١) الأغانى (ج ١٠ ص ٦٤ طبع دار الكتب المصرية) .

الفصل السادس

حظ كتاب الأغانى فى التآليف

وثروته الأدبية والتاريخية والاجتماعية

١ــ حظّ كتاب الأغانى فى التآليف :

التآليف فى الأمم كالأشخاص ، منها العاطل والجيد والأجود ، والعاطل يقضى عليه ولا يبقى لأنه ساقطٌ بطبعه ، والجيد قد يدوم لفائدة قليلة فيه ، أما الأجود فباق بقاء الأيام ، وكلما ذكر اسم صاحبه حلا فى الأفواه ، وتطلعت نحوه العيون .

كان المجوّدون من المؤلفين فى القرون الأولى للإسلام أكثر من المجوّدين فى القرون الأخيرة ، لأنّ العلوم كانت أرقى ، والملوك يحرصون عليها ، ويأخذون بأيدى أهلها ، والأمة تبعٌ لملوكها فى باب العناية بها وبأهلها ، لذلك كان حظّ كتاب الأغانى فى التآليف ألاّ يدانية فيها كتاب من كتب الأدب العربىّ لأسلوبه الرائع ، وأدبه الجامع ، وما حواه من الحياة الأدبية والاجتماعية .

٢ــ نجاته من غارة التتار :

وهناك حظّ آخر عظيم للأغانى فقد نجا من غارة التتار الذين مدّوا أيدى الهمجية إلى صروح العلم ، وأسس الأدب ، فطرحوا أمهات الكتب ، ونفائس المصنفات ، وإنتاج الفكر العربىّ فى دجلة ، فكانت للرجالة والفرسان معابر وجسوراً فأبادوها ، واكتسحوا ممالك الدولة العباسية ، وخرّبوا البلاد ، وقتلوا العباد .

وأما بغداد مهد الحضارة ، ومقرّ العلم والنور ، وعين العالم الإسلامى وقلبه ، فقد سقطت فى أيدى هؤلاء الوحوش (التتار) ودمرّوها تدميراً ، ولم يفلت من أيديهم إلاّ نفر قليل من نسل بنى العباس ، ولم يبق من سكانها الذين بلغوا نحو مليونين من الأنفس إلاّ نصف مليون ، واستمرت المذبحة قائمة بين جدرانها ، وفى وسط شوارعها نحو ستة أسابيع ، وبتدميرها خيم الظلام على ربوع آسيا الغربية ، ووهت دعائم العرفان ، وتداعت صروح الآداب . يقول ابن الأثير : « كانت غارة التتر على العالم الإسلامى من أروع النكبات التى حلت بالعالم بصفة عامة ، وبالعالم الإسلامى بصفة خاصّة ولم يرو التاريخُ نكبة تماثلها ».

٣ ــ اهتمام الخلفاء باقتناء كتاب الأغانى :

ولقد بلغ من شهرة هذا الكتاب النفيس ، وانتشار اسمه فى الآفاق أنّ الحكم ابن الناصر خليفة الأندلس تلميذ أبى علىّ القالى « بعث فى كتاب الأغانى إلى مصنفه أبى الفرج الأصبهانى ، وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب العين ، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرجه ببغداد [1] »

وكان الحكم معنياً بالعلم ، وكبير الاهتمام باقتناء الكتب ، جمع منها ما لا يحدّ ولا يوصف .

٤ ــ جليس الملوك لا يفارقهم :

وقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة :

« لم يكن كتاب الأغانى يفارق عضد الدولة فى سفره ولا حضره ، وأنه كان جليسه الذى يأنس إليه ، وخدينه الذى يرتاح إليه [2] »

(١) نفح الطيب للمقرى (ج ١ ص ٢٥٠ و ج ٢ ص ٤٩ طبع أوربا) .
(٢) معجم الأدباء (ج ٥ ص ١٥٠ طبعة هندية) .

٥ ـ ثروة الأغانى الأدبية والتاريخية والاجتماعية

ومن يقرأ كتاب الأغانى تتبين له صورة أبى الفرج فى مختلف أشكاله وأحواله، فتارة لغوياً بارعاً يشرح غريب اللغة وأسرارها فيما يسرده من سير وأشعار، ومرّة راوية حافظاً فيما يسوقه من خطب وآثار، وطوْراً أخبارياً جامعاً فيما يرويه من ملح ونتف وأخبار.

وفوق هذا قد امتاز كتاب الأغانى بأشياء، وانفرد بها دون سواه من الكتب من الناحية الأدبية والتاريخية والاجتماعية والعمرانية، فمن ذلك:

المعانى والأفكار

وصف الأشياء النفيسة من القصور، وما فيها من الفراش والرياش والحلىّ، والملابس الفاخرة، وألوانها الزاهية، والجوارى والقيان. والبساتين وما فيها من أنواع الرياحين والأزهار، والثمار والخضر. وما يتبع ذلك من مجالس الشرب، والمنادمة فى قصور الخلفاء والأمراء والوزراء ووصف حالها فى الديارات، ومصايد الطير والسمك وأشكال الملاعب، وغير ذلك من المعانى الدقيقة، والأفكار الجميلة، وهاك أمثلة من ذلك:

الملابس والحلى

(١) — ملابس المغنين فى عهد الدولة الأموية :

حدّثنا عن ملابس (١) المغنين فى أيام الدولة الأموية ، ووصف لنا ملابس حنين المغنى وقت غنائه لبشر بن مرْوان بحضور الشعبىّ بما نصّه :

قال الشعبىّ :

« لما ولىَ بشرُ بنُ مرْوان الكوفةَ كنتُ على مظالمه ، فأتيتهُ عشية وحاجبهُ أعين (صاحب حمام أعين) جالس ، فقلت له : استأذنْ لى على الأمير ! فقال لى : يا أبا عمرو ، هو على حال ما أظنك تصل إليه معها ، فقلت : أعلمه — وخلاك ذَمّ — فقد حدث أمر لا بدّ لى من إنهائه إليه — وكان لا يجلس بالعشىّ — فقال : لا ، ولكن اكتب حاجتك فى رُقعة أوصلها إليه ، فكتبتُ رقعة ، فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها : ليس الشعبىّ ممن يحتشمُ منه فأذَنْ له ، فأذن لى فقال : ادخل ، فدخلت فإذا بشرُ بن مروان عليه غلالةٌ (٢) رقيقة صفراء ، وملاءةٌ تقوم قياماً من شدّة الصّقال ، وعلى رأسه إكليل من ريحان ، وعلى يمينه عكرمةُ بن ربعىّ ، وعلى يساره خالد بن عتاب ابن ورْقاء ، وإذا بين يديه حنين بن بلوَع معه عودُه ، فسلمت فردّ علىّ السلام ورحب وقرّب ، ثم قال : يا أبا عمرو ، لو كان غيرُك لم آذنْ له على هذه الحال ،

(١) أنشأ الخلفاء للطراز دوراً فى قصورهم «تسمى دور الطراز» لنسج أثوابهم وعليها شارات الدولة وبنودها وكساؤها ، وكان القائم على النظر فيها يسمى : « صاحب الطراز » وهو ينظر فى أمور الصياغ والآلة والحاكة فيها ، ويجرى عليهم أرزاقهم ويشارف أعمالهم . وبلغت تلك الدور أفخم أحوالها فى أيام الدولتين الأموية والعباسية . (راجع التمدن الإسلامى ج ١ ص ١٠٤)

(٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .

فقلت : أصلح الله الأمير ، عندى لك السترُ لكلّ ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يجمل ، والشكرُ على ما توليني ، فقال : كذاك الظنّ بك ، ثم التفتَ إلى حنين وعودُه فى حجره وعليه قباء خشك (١) شوى — وقال إسحاق : خشكون (٢)— ومستقة (٣) حمراء، وخفان مكعبان (٤) . فسلم علىّ ، فقلتُ له : كيف أنت أبا كعب ؟ فقال : بخير أبا عمرو ، فقلت : احزق(٥) الزير (٦) وأرْخ (٧) البمّ ، ففعل ، وضرب فأجاد ، فقال بشرٌ لأصحابه : تلومونني على أن آذنَ له فى كلّ حال ! ثم أقبل علىّ فقال : أبا عمرو ، من أين وقع لك حزْقُ الزّير ؟ فقلت : ظننت أنّ الأمر هناك ، فقال : فإنّ الأمر كما ظننتَ هناك كله . ثم قال : فمن أين تعرف حنينا ؟ فقلتَ : هذا بطةُ أعراسنا فكيف لا أعرفه ! فضحك ، وغنى حنين فأجاد ، فطرب وأمر له بجائزة . ثم ودّعته وقمتُ بعد أن ذكرتُ له ما جئتُ فيه ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ، فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منه وانصرفت(٨) »

(ب) — ألوان الثياب وأنواع الجوْهر :

ووصف لنا ألوان الثياب وأنواع الجوْهر فى عهد الدولة العباسية بقوله :

---

(١) نطقها بالفارسية : « خشك شق » ومعناها : « القميص الخشن » .

(٢) هذه الكلمة فى الفارسية مركبة من كلمتين : « خوش » بمعنى « زاهى » «وكو» بمعنى « اللون » أى قباء زاهى اللون .

(٣) المستقة : أصلها بالفارسية : « مشتة » فعرب . وهى فرو طويل الكم ، وقيل : هى الجبة الواسعة . وعن أنس بن مالك أن ملك الروم أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس فلبسها رسول الله فكأنى أنظر إلى يديها يذبذبان فبعث بها إلى جعفر فقال : ابعث بها إلى أخيك النجاشى . وأنشد : إذا لبست مساتقها تغنى فياويح المساتق ما لقينا .

(٤) مكعبان : موشيان .

(٥) أحزق : أشدد .

(٦) الزير : أرفع أوتار العود ، وكانت أربعة فى ذلك العهد .

(٧) البم : أغلظ أوتار العود .

(٨) الأغانى (ج٤ ص ٢ ص ٣٤٩ — ٣٥٠ طبع دار الكتب المصرية) .

« أهديتْ إلى الرشيد جاريةٌ فى غاية الجمال والكمال ، فخلا معها يوماً وأخرج كلَّ قينه فى داره واصطبح ، فكان جميع منْ حضره من جواريه المغنيات والخدَمة فى الشراب زُهاء ألفىْ جارية فى أحسن زىّ من كلّ نوْع من أنواع الثياب والجوْهر ، واتصل الخبر بأمّ جعفر فغلظ عليها ذلك ، فأرسلتْ إلى علية تشكو إليها ، فأرسلت إليها عليةُ : لا يهولنك هذا ، فوالله لأردّنه إليك ، قد عزمتُ أن أصنع شعراً وأصُوغ فيه لحناً وأطرحه على جوارىّ ، فلا تبقى عندك جاريةٌ إلاّ بعثت بها إلىّ وألبسيهنّ ألوانَ الثياب ليأخذْنَ الصوتَ مع جوارىّ ، ففعلتْ أمّ جعفر ما أمرتها به علية . فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلاّ وعلية قد خرجت عليه من حجرتها ، وأمّ جعفر من حجرتها معها زُهاء ألفىْ جارية من جواريها وسائر جوارى القصر ، عليهنّ غرائب اللباس ، وكلهنّ فى لحن واحد هزَج صَنعته علية :

مُنْفَصِلٌ عنِّى وما قلبىَ عنه منفصِلْ

يا قاطعى اليومَ لِمَنْ نويتَ بعدى أن تَصِلْ

فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أمّ جعفر وعلية وهو على غاية السرور وقال : لم أر كاليوم قطّ يا مسرور ، لا تبقينّ فى بيت المال درهماً إلاّ نثرته ، فكان مبلغ ما نثره يومئذ ستة آلاف ألف درهم ، وما سمعَ بمثل ذلك اليوم قطّ (١) » .

(ج) — وصف قلادة ثمينة :

ووصف لنا قلادة ثمينة نادرة أهدتها مؤنسة جارية المأمون إلى متيم الهاشمية المغنية فقال : « وجهت مؤنسة جارية المأمون إلى متيم الهاشمية جارية علىّ بن هشام فى يوم احتجمت فيه مخنقة (٢) فى وسطها حبة لها قيمة جليلة كبيرة ،

---

(١) الأغانى (ج ١٠ ص ١٧٢ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) المخنقة : القلادة .

وعن يمين الحبة ويسارها أربع يواقيت، وأربع زمرّدات، وما بينهما من شذور الذهب وباقى المخنقة قد طيب بغالية [١] »

(د) — حبّ البنفسج والإعجاب به :

ووصف لنا حبّ متيم الهاشمية لزهر البنفسج والإعجاب به ، وكانت مغنية شهيرة فى عصرها ، فقال :

« كانت متيم يعجبها البنفسج جداً ، وكان عندها آثر من كل ريحان وطيب حتى إنها من شدّة إعجابها به لا يكاد يخلو من كمها الرّيحان ، ولا تراه إلاّ كما قطف من البستان [٢] » .

(ه) — سرير مرصّع بالجواهر وثياب منسوجة بالذهب :

ووصف لنا كيف بلغ الترف والنعيم فى عهد الدولة الأموية ، أوعصر الدولة العباسية الى حد أن السرير كان يرصع بالجواهر ، والثياب تنسج بالذهب ، فقال :

حدّث الحارث بن محمد بن بُسْخُنَّر قال :

« كانت لى نوبةٌ فى خدمة الواثق فى كلّ جمعة ، اذا حضرتُ ركبتُ إلى الدار ، فإن نشط إلى الشرب أقمتُ عنده ، وإن لم ينشط انصرفتُ ، وكان رسمنا ألاّ يحضر أحدٌ منا إلا فى يوم نوْبته ، فإنى لفى منزلى فى غير يوم نوْبتى إذا رُسل الخليفة قد هجموا علىّ وقالوا لى : احضر ، فقلتُ : ألخير ؟ قالوا : خير ، فقلتُ : إن هذا يوم لم يحضرنى فيه أمير المؤمنين قطّ ولعلكم غلطتم ، فقالوا : الله المستعان ، لاتطل وبادرْ فقد أمرنا ألاّ ندعك تستقرّ على الأرض ، فداخلنى فزَعٌ شديدٌ وخفت أن يكون ساع قد سعى بى ، أو بليةٌ قد حدَثتْ فى رأى الخليفة علىّ ، فتقدمت بما أردت وركبت حتى وافيت الدار ، فذهبتُ لأدخل

(١) الأغانى (ج ٧ ص ٣٠٦ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الأغانى (ج ٧ ص ٣٠٧ طبع دار الكتب المصرية) .

على رَسْمى من حيث كنتُ أدخل ، فمنعتُ ، وأخذ بيدى الخدمُ فأدخلونى وَعدَلوا بى إلى ممرّات لا أعرفها ، فزاد ذلك فى جزعى وغمّى ، ثم لم يزل الخدَمُ يسلمونى من خدَم إلى خدم حتى أفضيتُ إلى دار مفروشة الصّحن ، ملبسة الحيطان بالوَشْى المنسُوج بالذهب ، ثم أفضيتُ إلى روَاق أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك ، وإذا الواثق فى صدره على سرير مرَصّع بالجوْهر ، وعليه ثيابٌ منسوجة بالذهب ، وإلى جانبه فريدة (١) جاريته ، عليها مثلُ ثيابه وفى حجرها عودٌ ، فلما رآنى قال : جوّدْتَ (٢) والله يا محمد إلينا ، فقبلت الأرضَ ثم قلتُ : يا أمير المؤمنين خيراً ! قال : خيراً ، أما ترانا ! طلبتُ والله ثالثاً يؤنسنا فلم أرَ أحقّ بذلك منك ، فبحياتى بادرْ فكلْ شيئاً وبادر إلينا ، فقلت : قد والله يا سيدى أكلتُ وشربتُ أيضاً ، قال : فاجلس فجلست ، وقال : هاتوا لمحمد رطلا فى قدح فأحضرْتُ ذلك ، واندفعتْ فريدة تغنى :

أهابُكِ إجلالاً وما بك قدرةٌ ... علىّ ولكن ملْءُ عين حبيبُها
وما هجرتْكِ النفسُ يا ليل أنها ... قَلَتْك ولا أن قلّ منك نَصِيبها

فجاءتْ والله بالسحر ، وجعل الواثق يجاذبها ، وفى خلال ذلك تغنى الصوتَ بعد الصوت ، وأغنى أنا فى خلال غنائها ، فمرّ لنا أحسنُ ما مرّ لأحد ، فإنا لكذلك إذ رَفع رِجْله فضرب بها صدرَ فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض وتفتت عودُها ومرّت تعدو وتصيح ، وبقيت أنا كالمنزُوع الرّوح ، ولم أشكّ فى أنّ عينه وقعت علىّ وقد نظرتُ إليها ونظرتْ إلىّ ،

(١) هى فريدة المحسنة ، وكانت لعمرو بن بانة وأهداها إلى الواثق ، وكانت أثيرة عنده ، وحظية لديه جداً ، وكانت من الموصوفات المحسنات ، حسنة الوجه ، حسنة الغناء حادة الفطنة والفهم ، وهى غير فريدة الكبرى التى كانت مولدة ونشأت بالحجاز ، ثم وقعت إلى آل الربيع فعلمت الغناء فى دورهم ، ثم صارت إلى البرامكة فلما قتل جعفر بن يحيى ونكبوا هربت وطلبها الرشيد فلم يجدها ، ثم صارت إلى الأمين . . . إلخ (راجع الأغانى ج ٤ ص ١١٣ ، ١١٥ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) جودت : أسرعت .

فأطرق ساعة إلى الأرض متحيراً وأطرقتُ أتوقع ضربَ العنق ، فإنى لكذلك إذ قال لى : يا محمد ، فوثبتُ ، فقال : وَيحك ! أرأيتَ أغربَ مما تهيأ علينا ! فقلت : يا سيدى ، الساعةَ والله تخرجُ رُوحى ، فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله ! فما كان السبب ؟ ألذنب ؟ قال : لا والله ، ولكن فكرت أنّ جعفراً يقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هى قاعدةٌ معى ، فلم أطق الصبرَ وخامرنى ما أخرجنى إلى ما رأيتَ ، فسرّىَ عنى وقلت : بل يقتل الله جعفراً ، ويحيا أميرُ المؤمنين أبداً ، وقبلتُ الأرض وقلتُ : يا سيدى الله الله ! ارْحمها ومُرْ بردّها ، فقال لبعض الخدَم الوقوف : منْ يجىء بها ؟ فلم يكن بأسرع من أن خرجتْ وفى يدها عودُها وعليها غيرُ الثياب التى كانت عليها ، فلما رآها جذبها وعانقها ، فبكتْ وجعل هو يبكى ، واندفعتُ أنا فى البكاء ، فقالت : ما ذنبى يا مولاى ويا سيدى ! وبأىّ شىء استوجبتُ هذا ! فأعاد عليها ما قاله لى ، وهو يبكى وهى تبكى ، فقالت : سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلاّ ضربتَ عنقى الساعةَ وأرحتنى من الفكر فى هذا ، وأرحتَ قلبك من الهمّ بى ، وجعلت تبكى ويبكى ، ثم مسحا أعينهما ورجعتْ إلى مكانها ، وأومأ إلى خدم وقوف بشىء لا أعرفه ، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عين (١) وورِقٌ (٢) ، ورُزَماً فيها ثياب كثيرة ، وجاء خادم بدُرْج ففتحه وأخرج منه عقداً ما رأيت قطّ مثلَ جوهر كان فيه ، فألبسها إياه ، وأحضرتْ بدْرَةٌ فيها عشرةُ آلاف درهم فجعلتْ بين يدىَ وخمسة تخوت (٣) فيها ثياب ، وعدْنا إلى أمرنا وإلى أحسن مما كنا ، فلم نزل كذلك إلى الليل ، ثم تفرقنا (٤) »

---

(١) العين : الذهب المضروب وهو الدنانير .

(٢) الورق: الدراهم المضروبة من الفضة .

(٣) التخوت : أوعية تصان فيها الثياب .

(٤) الأغانى (ج ٤ ص ١١٥ — ١١٨ طبع دار الكتب المصرية) .

(و)ــ أنواع الثياب وألوانها :

ووصف لنا كثيراً من أنواع الثياب وألوانها ، مما كان معروفاً فى الدولة الأموية أو الدولة العباسية فقال فى وصف ثياب ابن سريج المغنى :

« فإذا رجلٌ جالسٌ على حرْف برْكة ، فارقٌ شعرَه ، حسنُ الوجه ، عليه دُرَّاعةٌ (١) قد صبغها بزعفرَان (٢) ».

وقال :

« ومعبدٌ ساكتٌ وهو فى ثياب السفر ، وعليه فرْوٌ وخفان غليظان وزىّ جاف من زىّ أهل الحجاز (٣) ».

وقال :

« أقبل عمر بن أبى ربيعة فى ثوْبين مصْبوغين مورّدَين أو ممصرين (٤) الخ . »

وقال :

« خرج أهل البصرة يستقون وخرج فيهم السيد الحميرىّ ، وعليه ثيابُ خزّ وجبةٌ ومطرَفٌ وعمامة (٥) . . . الخ » .

---

(١) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم .

(٢) الأغانى (ج ١ ص ٤٦ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) الأغانى (ج ١ ص ٤٩ طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) الأغانى (ج ١ ص ٧٢ طبع دار الكتب المصرية) . والثياب الممصرة : التى فيها شىء من صفرة ليست بالكثيرة .

(٥) الأغانى (ج ٧ ص ٢٥٠ طبع دار الكتب المصرية) .

الباب السابع

كتاب الأغانى وأهميته فى دراسة اللغة والأدب العربىّ

ويشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول

أهمية الأغانى فى دراسة اللغة

١ – الألفاظ والأساليب :

امتاز مؤلف كتاب الأغانى بانتقاء الألفاظ الرشيقة السهلة مع أسمى المعانى ، والتأنق فى صَوْغ العبارات ، وتوثيق الرّبط بينها بأسلوب عربى سليم جعله نسيجَ وَحده ، والألفاظ والأساليب ثيابٌ تكسو المعانى والأفكار وتظهر الخيال .

ألا ترى ما حواه من خصائص النثر الفنى فى هذا العصر ، وما اختاره من جيد النظم ، مما كان له أثرٌ عظيم فى أساس نهضة الأدب العربىّ لمن جاءُوا بعده من المؤلفين ، واغترفوا من معينه . وقد نشرنا أمثلة من ذلك فى فهرس خاص فى آخر هذا الكتاب(١) .

٢ – ثروته اللغوية :

ومن مزايا هذا الكتاب النفيس أن أبا الفرج الأصبهانى أثناء سرده للأخبار انفرد بشرح كلمات لغوية لا وجود لها فى المعاجم اللغوية ، ويذكر ألفاظاً اصطلاحية كانت شائعة فى الدولتين : الأموية والعباسية ، ولا نظير لها فى كتب الأدب ، فهو من هذه الناحية حفظ لنا ثروة لغوية عظيمة لولاه لضاعت مع ما ضاع من تراث الأدب العربىّ . وقد وضعنا لها معجماً خاصاً يشتمل على جميع ما ورد فى أجزاء الأغانى. وقد نشرنا أمثلة من ذلك فى فهرس خاص فى آخر هذا الكتاب (٢) .

(١) انظر فهرس الألفاظ والأساليب (ص٣٣١) .

(٢) انظر فهرس الكلمات اللغوية والألفاظ الاصطلاحية (ص٣٧٠) .

٣ ــ أسلوب أبى الفرج فى دفاعه عن مذهب ابن المعتزّ فى الأدب والشعر :

« وممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدّم جميع أهل عصره فضلا وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرّفاً فى سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن المعتزّ بالله .

وأمره ، مع قرب عهده بعصرنا هذا ، مشهور فى فضائله وآدابه شهرة تشرَكُ فى أكثر فضائله الخاصّ والعامّ ، وشعرُه وإن كان فيه رقةُ الملوكية وغزَلُ الظرفاء وهلهلةُ المحدَثين ، فإنّ فيه أشياءَ كثيرة تجرى فى أسلوب المجيدين ، ولا تقصر عن مدى السابقين ، وأشياءَ ظريفة من أشعار الملوك فى جنس ما هم بسبيله ، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية . فليس يمكن واصفاً لصَبوح فى مجلس شكل ظريف ، بين ندامى وقيان ، وعلى ميادين من النور والبنفسج والنرجس ومنضود من أمثال ذلك ، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفرُش ومختار الآلات ، ورقة الخدَم ، أن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام السبط [1] الرقيق الذى يفهمه كلّ منْ حضر إلى جعد [2] الكلام ووحشيه ، وإلى وصف البيد والمهامه والظبى والظليم [3] والناقة والجمل والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة ، ولا إذا عدل عن ذلك وأحسن قيل له مسىء ، ولا أن يغمط حقه كله إذا أحسن الكثيرَ وتوسط فى البعض وقصر فى اليسير ، وينسب إلى التقصير فى الجميع ، لنشر المقابح وطىّ المحاسن . فلو شاء أن يفعل هذا كلّ أحد بمن تقدّم لوجد مساغاً . ولو أنّ قائلا أراد الطعن على صدور الشعراء ، لقد رأى أن يطعن على الأعشى ــ وهو أحد منْ يقدّمه الأوائل على سائر الشعراء ــ بقوله : فأصاب حبةَ قلبه وطحالها [4] وبقوله :

---

(١) السبط : السهل المرسل .

(٢) الجعد : المعقد .

(٣) الظليم : ذكر النعام .

(٤) العيب فى هذا ورود كلمة الطحال فيه، وهى مما يأباه الذوق .

ويأمرُ لليَحْمُومِ[١] كلَّ عَشِيَّةٍ بقَتٍّ[٢] وتعليقٍ[٣] فقد كاد يَسْنَقُ[٤]

وأمثال لهذا كثيرة . وإنما على الإنسان أن يحفظ من الشىء أحسنه ، ويلغى ما لم يستحسنه ، فليس مأخوذاً به . ولكنّ أقواماً أرادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة ، ويشيدوا بذكرهم الخامل ، ويعلوا أقدارَهم الساقطةَ بالطعن على أهل الفضل والقدْح فيهم ، فلا يزدادون بذلك إلاّ ضعة ، ولا يزداد الآخرُ إلاّ ارتفاعاً ، ألا ترى إلى ابن المعتزّ قد قتل أسوأ قتلة ، ودَرَج فلم يبق له خلفٌ يقرّظه ولا عقبٌ يرفع منه ، وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحسن أخباره وتصرّفه فى كلّ فنّ من العلوم إلاّ رفعة وعلواً ، ولا نظر إلى أضداده كلما ازدادوا فى طعنه وتقريظ أنفسهم وأسلافهم الذين كانوا مثلهم فى ثلبه والطعن عليه ، زادوها سقوطاً وضَعة ، وكلما وصَفوا أشعارهم وقرّظوا آدابهم ، زادوا بها ثقلا ومقتاً . فإذا وقع عليهم المحصّل الموافق ، عدَلوا عن ثلبه فى الآداب ، إلى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء آل أبى طالب ، وهم أوّل منْ فعل ذلك وشنع به على آل أبى طالب عند المكتفى حتى نهاهم عنه ، فعدَلوا عن عيب أنفسهم بذلك إلى عيبه ، وارتكبوا أكثر منه[١] » اهـ .

---

(١) اليحموم : اسم فرسه

(٢) القت : حب برى .

(٣) التعليق : ما تعلقه الدابة من شعير ونحوه .

(٤) يستق : يأكل حتى يصيبه كالبشم .

(٥) الأغانى (ج ١٠ ص ٢٧٤ – ٢٧٦ طبع دار الكتب المصرية) .

الفصل الثانى

أهمية الأغانى فى دراسة الأدب العربى

١ — ثروته التاريخية والأدبية :

ويعتبر كتاب الأغانى أوّل المراجع التاريخية الأدبية الكبيرة التى تغلب عليها صحّة النقل ، وتحرّى الصواب ، ويمتاز بأنه الكتاب الوحيد الذى أسهب الكلام بما لا يزيد عليه فى تاريخ العرب فى الجاهلية والإسلام، فهو أجمع كتاب للأدب العربىّ وتاريخه ، ترجم مؤلفه لأكثر الشعراء من جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ومحدَثين ! وأتى فى كل ذلك بنتف تشاكله ، ولمع تليق به ، وفقر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلا بها من فائدة إلى مثلها ، ومنصرفاً بها بين جدّ وهزْل ، وآثار وأخبار ، وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة ، وأخبارها المأثورة ، وقصص الملوك فى الجاهلية ، والخلفاء فى الإسلام ، يجمل بالمتأدبين معرفتها ، وتحتاج الأحداث إلى دراستها . إذ كانت منتخلة من غرَر الأخبار ، ومنتقاة من عيونها ، ومأخوذة من مظانها ، ومنقولة من أهل الخبرة بها ، لا سيما تاريخ الدولتين اللتين لهما الشأن الأكبر ، والأثر الظاهر فى الإسلام ، وهما الدولة الأموية والدولة العباسية . خصوصاً من الوجهة التاريخية والأدبية والاجتماعية والعمرانية فيعدّ من هذه النواحى ثروة أدبية عظيمة لا نجدها فى كتاب سواه ، وإليك أمثلة من ذلك :

(ا) — قصّة الصّمة القشيرى فى خطبة ابنة عمه :

وصف لنا قصة الصّمة القشيرى ، وكان شاعراً من شعراء الدولة الأموية ،

فى خطبة ابنة عمه ورحلته إلى ثغر من الثغور وشعره فى ذلك فقال :

« خطب الصّمة القشيرى بنت عمه وكان لها محباً ، فاشتطّ عليه عمه فى المهر ، فسأل أباه أن يعاونه ، وكان كثير المال فلم يعنه بشىء ، فسأل عشيرته فأعطوْه ، فأتى بالإبل عمه ، فقال : لا أقبل هذه فى مهر ابنتى ، فاسأل أباك أن يبدلها لك ، فسأل ذلك أباه فأبى عليه ، فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عقلها وخلاّها ، فعاد كل بعير منها إلى ألاّفه ، وتحمل الصّمة راحلا ، فقالت بنت عمه حين رأته يتحمل : تا لله ما رأيت كاليوم رجلا باعته عشيرته بأبعرَة ! ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر ، فقال ، وقد طال مقامه واشتاقها وندم على فعله :

أتبكى على ريَّا ونفسُك باعدت ‏ ‏ مَزارَكَ من ريَّا وشَعْباكُما معا

فما حسنٌ أن تأتىَ الأمرَ طائعا ‏ ‏ وتجزَعَ أنْ داعى الصبابةَ أسمعا[1]

(ب)ـــ قصّة أعشى همْدان مع جارية خالد بن عتاب الرياحىّ :

وحدّثنا عن قصّة أعشى همْدان مع جارية خالد بن عتاب الرّياحىّ والذى قالته له مستهزئة به وردّه عليها . قال محمد الكلبىّ :

« إن أعشى همدان كان مع خالد بن عتاب بن ورْقاء الرّياحىّ بالرّىّ ودَستبى ، وكان الأعشى شاعرَ أهل اليمن بالكوفة وفارسهم ، فلما قدم خالدٌ من مغزاه خرج جواريه يتلقينه وفيهنّ أمّ ولد له كانت رفيعة القدْر عنده ،

(١) الأغانى (ج ٦ ص ٤ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) دستبى (بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق والباء الموحدة) : كورة كانت مقسومة بين الرى وهمذان ، فقسم منها يسمى : دستبى الرازى ، وهو يقارب التسعين قرية ، وقسم منها يسمى : دستبى همذان وهو عدة قرى . وربما أضيف إلى قزوين فى بعض الأوقات لاتصاله بعملها . ولم تزل دستبى على قسميها إلى أن سعى رجل من سكان قزوين من بنى تميم يقال له : حنظلة بن خالد فصيرها بقسميها إلى قزوين .

فجعل الناسُ يمرّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً من النعاس ، فقالت أمّ ولد خالد بن عتاب لجواريها :

إنّ امرأة خالد لتفاخرنى بأبيها وعمها وأخيها ، وهل يزيد ن على أن يكونوا مثلَ هذا الشيخ المرْتعش ، وسمعها الأعشى فقال: منْ هذه ؟ فقال له بعضُ الناس : هذه جارية خالد ، فضحك وقال لها : إليك عنى يالكعاء ! ثم أنشأ يقول :

وما يُدْريكِ ما فرسٌ جَرُورٌ[1] وما يدريكِ ما حَمْلُ السِّلاحِ
وما يُدْريكِ ما شيخٌ كبيرٌ عَدَاه الدهر عن سَنَنِ المراحِ
فأُقْسِم لو ركبتِ الوَرْد يوماً وليلتَه إلى وَضَحِ الصَّباحِ
إذاً لنظرتُ منك إلى مكان كسَحْق[2] البُرْد أو أثرِ الجِراحِ

قال : فأصبحت الجاريةُ فدخلتْ إلى خالد فشكتْ إليه الأعشى ، فقالت : والله ما تكرَم ، ولقد اجترىءَ عليك ! فقال لها : وما ذاك ؟ فأخبرته أنها مرّت برجل فى وجه الصبح ، ووصفته له وأنه سبها ، فقال : ذلك أعشى همْدان فأىّ شىء قال لك ؟ فأنشدته الأبيات. فبعث إلى الأعشى ، فلما دخل عليه قال له: ما تقول ؟ هذه زعمت أنك هجوتها ، فقال : أساءت سمعاً ، إنما قلت :

مررتُ بنســوة متعطِّرات كضوء الصبح أو بَيْض الأداحِى[3]
على شُقْرِ البغال فَصِدْنَ قلبى بحُسْن الدَلِّ والحَدَقِ المِلاَحِ
فقلتُ مَنِ الظباء فقلن سِرْبٌ بدا لك من ظِبَاء بنى رِيَاحِ

---

(١) الفرس الجرور : الذى لا ينقاد ولا يكاد يتبع صاحبه .
(٢) السحق : الثوب البالى ، ويضاف للبيان فيقال : سحق برد وسحق عمامة .
(٣) الأداحى : جمع أدحية وهى مبيض النعام فى الرمل . .

فقالت : لا والله ، ما هكذا قال ، وأعادت الأبيات ، فقال له خالد : أما إنها لولا أنها قد وَلدت منى لوهبتها لك ، ولكنى أفتدى جنايتها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال له : أقسمتُ عليك يا أبا المصبّح ألاّ تعيد فى هذا المعنى شيئاً بعد ما فرَط منك (١) » .

(ج) ــ أسر الحجاج أعشى همْدان وذكره بشعر قاله ليبكته ثم قتله :

وحدّثنا أنّ الحجاج أسر أعشى همْدان وذكره بشعر قاله ليبكته ثم قتله ، قال جماعة :

« لما أتِىَ الحجاج بن يوسف الثقفىّ بأعشى همْدان أسيراً قال : الحمد لله الذى أمكن منك ، ألست القائل :

لمّا سَفوْنا للكَفُور الفتّانْ   بالسيِّد الغِطرِيف عبد الرحمنْ
سار بجَمْعٍ كالقطَا من قَحْطان   ومن مَعَدٍّ قد أتى ابنُ عدْنان
أمكن ربِّى من ثقِيف هَمْدان   يوماً إلى الليل يسَلّى ما كان
إنّ ثقيفاً منهم الكذّابان   كذّابها الماضى وكذابٌ ثان

أو لستَ القائل ؟ :

يا بْن الأشجّ (٢) قَرِيع (٣) كِنْـ   ـدةَ لا أبالى فيـك عَتْبا
أنت الرئيسُ ابنُ الرئيـ   ـس وأنت أعلى النـاس كعبا
نُبِّئْتُ حَجّاجَ بن يو   سف خرّ من زَلَقٍ فتَبّا
فانهضْ فُدِيتَ لعلّـه   يجلو بك الرحمنُ كرْبا

(١) الأغانى (ج ٦ ص ٤٢ – ٤٣ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الأشج : هو الأشعث بن قيس الكندى جد عبد الرحمن بن محمد المعنى فى هذا الشعر.
(٣) القريع : السيد

وأبعث عطيَّــةَ [1] فى الخيــول يكُبُّهنَّ عليه كَبًّا

كلاَّ يا عدوَّ الله ! بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذى خرَّ من زَلق فتبَّ ، وحار وانكبَّ ، وما لقِى ما أحبَّ ، ورفع بها صوته واربدَّ وجهه ، واهتزَّ منكباه ، فلم يبق أحدٌ فى المجلس إلاَّ أهمّته نفسه وارتعدتْ فرائصُه . فقال له الأعشى : بل أنا القائل أيها الأمير :

أبى اللهُ إلا أن يتمَّ نوره … ويُطفِئ نارَ الفاسقين فتخمُدَا
ويُنزل ذُلاًّ بالعراق وأهلِهِ … كما نقضوا العهدَ الوَثيقَ المؤكَّدَا
وما لبث الحجّاجُ أن سلَّ سيفَهُ … علينـا فولَّى جمعُنا وتبدَّدَا
وما زاحفَ الحجَّاجُ إلا رأيتَه … حُساماً مُلَقًّى للحروب مُعَوَّدَا
فكيف رأيتَ الله فرّق جمعَهم … ومزَّقهم عُرْضَ البـلاد وشَرَّدَا
بما نكَثوا من بيْعةٍ بعـد بيعةٍ … إذا ضَمِنوها اليومَ خاسُوا [2] بها غَدا
وما أحدثوا من بدعة وَعظيمة … من القول لم تصعَدْ إلى الله مَصْعَدَا
ولمّا دَلَفْنَا لابن يوسف ضِـلَّةً [3] … وأبرق منا العارضان وأرعدا
قطعنا إليه الخنـدقين وإنما … قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرْصِدا [4]
فصادَمَنا الحجّاجُ دون صفوفنا … كِفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا
بجُند أمير المؤمنين وخيلِهِ … وسلطانه أمسى مُعاناً مؤيَّدا
ليهنِئْ أميرَ المؤمنين ظهورُهُ … على أمة كانوا بُغاةً وحُسَّدا

---

(١) هو عطية بن عمرو العنبرى ، وكان على مقدمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث إلى العراق . وقد بعث إليه الحجاج بالخيل ، فجعل عطية لا يلقى خيلا إلا هزمها فقال الحجاج : من هذا ؟ فقيل عطية . فذلك قول الأعشى : وأبعث عطية . . . إلخ .

(٢) خاس : غدر ونكث .

(٣) الضلة (بالكسر) : ضد الهدى .

(٤) مترصداً : مترقباً .

وجدنا بنى مَرْوَانَ خيرَ أئمّةً   وأعظمَ هذا الخَلْق حلماً وسُؤْدُدا
وخيرَ قريش فى قريش أرُومةً   وأكرمهم إلا النبىَّ محمـدا
إذا ما تدبَّرنا عواقبَ أمرنا   وجدنا أمير المؤمنين المُسدّدا
سيغلب قوماً غالبوا الله جَهْرةً   وإن كايدوه كان أقوى وأكْيدَا
كذاكَ يُضِلّ الله من كان قلبُه   ضعيفاً ومَنْ وَالى النّفاقَ وألْحدَا
فقد تركوا الأموال والأهل خلفهم   وبيضاً عليهن الجلابيب خُرّدا[1]
ينادينهم مستعبرات إليهمُ   ويُذْرِين دمعاً فى الخدود وإثمِدَا
وإلاّ تَنَاوَلْهُنّ منك برحمة   يكنّ سَبَايا والبُعولةُ أعبُدا
تَعطّفْ أميرَ المؤمنين عليهمُ   فقد تركوا أمرَ السفاهة والرَّدى
لعلّهم أن يُحدثوا العامَ توبةً   وتعرفَ نُصحاً منهم وتودُّدا
لقد شَمِتَ يابن الأشعث العامَ مصرَنا   فظلُّوا وما لاقوا من الطير أسْعُدا[2]
كما شاءم الله النُّجَيْرَ[3] وأهلَه   بجدِّك مَنْ كان أشقى وأنكدا

فقال منْ حضر من أهل الشام : قد أحسن أيها الأمير ، فخلّ سبيله ، فقال : أتظنون أنه أراد المدح ! لا والله ! لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه ،

---

(١) الخرد : جمع خريدة ، وهو جمع نادر ، لأن فعيلة لا تجمع على فعل ، بل القياس : خرائد وخرد (بضمتين) والخريدة من النساء : البكر التى لم تمس قط . وقيل : هى الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المستترة قد جاوزت الإعصار ولم تعنس .

(٢) ورد هذا البيت فى تاريخ الطبرى (ص ١١١٧ من القسم الثانى طبع أوربا) هكذا :

لقد شأم المصرين فرخ محمد   بحق وما لاقى من الطير أسعدا

ولعل رواية الأغانى كانت : « لقد شأمت » فسهلت الهمزة ثم حذفت . يقال : شأم فلان أصحابه يشأمهم : إذا أصابهم شؤم من قبله . وقد وردت القصيدة فى الطبرى من (ص ١١١٣ – ١١١٨)

(٣) النجير : حصن باليمن قرب حضر موت منيع ، لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث ابن قيس فى أيام أبى بكر رضى الله عنه فحاصره زياد بن لبيد البياضى حتى افتتحه عنوة وقتل من فيه وأسر الأشعث بن قيس وذلك فى سنة ١٢ للهجرة (راجع معجم البلدان لياقوت) .

وأراد به أن يحرّض أصحابه ، ثم أقبل عليه فقال له : أظننت يا عدو الله أنك تخدَعنى بهذا الشعر ، وتنفلتَ من يدى حتى تنجوَ ! ألستَ القائل ! وَيحك ! :

وإذا سألتَ : المجدُ أين محلُّه فالمجدُ بين محمد وسعيدِ
بين الأغرّ وبين قيس باذخٌ بَخٍ بَخٍ لوالدِه وللمولود

والله لا تبخبخ بعدَها أبداً ، أوَ لستَ القائل :

وأصابنى قومٌ وكنتُ أصيبهم فاليوم أصبِر للزمان وأعرف !

كذبتَ والله ، ما كنت صبوراً ولا عروفاً ، ثم قلت بعده :

وإذا تُصبْك من الحوادث نكبةٌ فاصبرْ فكلّ غَيَابة ستكشّفُ

أما والله لتكونن نكبة لا تنكشف غيابتها عنك أبداً ! يا حرَسىّ ، اضربْ عنقه ، فضرب عنقه (١) .

(د) ــ وفاء عمر بن عبد العزيز بوعده لدُكين الراجز :

ووصف لنا وفاء عمر بن عبد العزيز بوعده لدكين الراجز فقال :

«قال دُكينٌ الراجز : امتدحتُ عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة ، فأمر لى بخمس عشرةَ ناقة كرائمَ ، فكرهتُ أن أرمىَ بهنّ الفجاج ، ولم تطبْ نفسى ببيعهنّ . فقدمتْ علينا رُفقةٌ من مصر ، فسألتهم الصّحبةَ ، فقالوا : ذاك إليك ونحن نخرُج الليلة ، فأتيته فودّعته وعنده شيخان لا أعرفهما ، فقال لى : يا دُكين ، إنّ لى نفساً توّاقه ، فإن صرْتُ إلى أكثر مما أنا فيه فأتنى ولك الإحسان ، قلتُ : أشهدْ لى بذلك ، قال : أشهدُ الله به . قلتُ : ومنْ خلقه ؟ قال : هذين الشيخين . فأقبلتُ على أحدهما فقلت : منْ أنتَ أعرفك ؟ قال : سالم بن عبد الله بن عمر . فقلت له : لقد استسمنت الشاهد .

---

(١) الأغانى (ج ٦ ص ٥٨ – ٦٢ طبع دار الكتب المصرية) .

وقلتُ للآخر : منْ أنت ؟ قال : أبو يحيى مولى الأمير ، فخرجتُ إلى بلدى بهنّ ، فرمى الله فى أذْنابهنّ بالبركة حتى اعتقدتُ (١) منهنّ الإبل والعبيد ، فإنى لبصَحراء فلج (٢) إذا ناع ينعى سليمانَ . قلت : فمن القائمُ بعده ؟ قال : عمر بن عبد العزيز . فتوجهتُ نحوه ، فلقينى جريرٌ منصرفاً من عنده ، فقلت : يا أبا حزْرَة ، من أين ؟ فقال : من عند منْ يعطى الفقراء ، ويمنع الشعراء ، فانطلقتُ فإذا هو فى عرْصة داره وقد أحاط الناسُ به، فلم أخلص إليه فناديتُ

يا عُمَرَ الخيراتِ والمكارِم   وعُمَرَ الدسائِع (٣) العظائِم
إنى امرؤٌ من قَطَنِ بن دارِم   طلبتُ دَيْنى من أخى مكارِم
إذ تَنْتَحِى والليلُ غيرُ نائم   عند أبى يحيى وعند سالم

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، لهذا البدوىّ عندى شهادة عليك ، فقال : أعرفها ، أدْنُ يا دُكين ، أنا كما ذكرتُ لك ، إنّ نفسى لم تنل شيئاً قط إلاّ تاقت لما هو فوقه ، وقد نلت غاية الدنيا فنفسى تتوق إلى الآخرة ، والله ما رزأت من أموال الناس شيئاً ، ولاعندى إلا ألف درهم، فخذ نصفها، قال : فوالله ما رأيت ألفا كان أعظم بركة منه (٤).

(و) — عدم إفادة عمر بن عبد العزيز من ولايته شيئاً :

وأفادنا بأنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز لم يفد من ولايته شيئاً ،وخلف ولده فقراء فقال :

« لما حضرتْ عمرَ بن عبدالعزيز الوفاةُ جمع ولدَه حوْله، فلما رآهم استعبرَ ثم قال : بأبى وأمىّ منْ خلفتهم بعدى فقراء ! . فقال له مسلمة بن عبد الملك :

(١) اعتقد الشىء : اشتراه أو اقتناه .
(٢) فلج : واد بين البصرة وحمى ضرية .
(٣) الدسائع : الشمائل أو العطايا .
(٤) الأغانى (ج ٩ ص ٢٦١ — ٢٦٢ طبع دار الكتب المصرية) .

يا أمير المؤمنين ، فتعقبْ فعلك وأغنهم ، فما يمنعك أحدٌ فى حياتك ولا يرتجعه الوالى بعدك ، فنظر إليه نظرَ مغضَب متعجِّب فقال : يا مسلمة ، منعتهم إياه فى حياتى وأشقى به بعد وفاتى ! . إنّ ولدى بين رجلين : إما مطيع لله فالله مصلح له شأنه ورازقه ما يكفيه ، أو عاصٍ له فما كنتُ لأعينه على معصيته ، يا مسلمة ، إنى حضرتُ أباك لما دُفن فحملتنى عينى عند قبره فرأيته قد أفضى إلى أمر من أمرِ الله راعنى وهالنى ، فعاهدتُ الله ألاّ أعملَ بمثل عمله إن وَليتُ وقد اجتهدتُ فى ذلك طولَ حياتى ، وأرجو أن أفضى إلى عفو من الله وغفران ، قال مسلمة : فلما دُفن حضرتُ دفنه ، فما فرغ من شأنه حتى حُملتنى عينى ، فرأيته فيما يرى النائم وهو فى رَوْضه خضراء نضرة فيحاء ، وأنهار مطردَة وعليه ثيابٌ بيضٌ ، فأقبل علىّ فقال : يا مسلمة ، لمثل هذا فليعمل العاملون[1] » .

وقد سقنا هذا الخبر هنا للعظة والاعتبار .

(ز) ــ آخر خطبة للخليفة العادل عمر بن عبد العزيز :

وساق لنا آخر خطبة خطبها الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، ويجمل بنا أن نذكرها فى هذا المقام لما حوت من الآيات البينات والموعظة الحسنة ، لتكون للقارىء نبراساً وهدى ، وتملأ قلبه بمواعظها خشية وتقى ؛ قال :

« إنّ عمر بن عبد العزيز خطب بخناصرة[2] خطبة لم يخطب بعدها ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى ! وإن لكم معاداً يتولى الله فيه الحكم فيكم ، والفصلَ بينكم ، فخاب وخسر منْ خرج من رحمة الله التى وسعتْ كلَّ شىء ، وحرم الجنةَ التى عرضها السماوات والأرضُ ، واعلموا أنّ الأمان غداً لمن حذر الله وخافهُ ، وباع قليلا بكثير ، ونافداً بباق ، وخوفاً بأمان ، ألاَ تروْنَ أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفها من

---

(١) الأغانى (ج ٩ ص ٢٦٤ – ٢٦٥ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) خناصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين نحو البادية .

بعدكم الباقون ، وكذلك تردّ إلى خير الوارثين . ثم إنكم فى كلّ يوم وليلة تشيِّعون غادياً إلى الله ورائحاً ، قد قضى نحبه ، وانقضى أجلهُ ، ثم تضعونه فى صَدْع من الأرض فى بطن لحد ، ثم تدْعونه غير موّسد ولا ممهد ، قد خلع الأسلاب ، وفارق الأحباب ، ووّجه للحساب ، غنياً عما ترك ، فقيراً إلى ما قدّم ، وايمُ الله إنى لأقول لكم هذه المقالةَ ولا أعلم عند أحد منكم أكثر مما عندى ، وأستغفر الله لى ولكم . وما يبلغنا أحدٌ منكم حاجة يسعها ما عندنا إلاّ سدَدْنا من حاجته ما قدَرنا عليه ، ولا أحدٌ يتسع له ما عندنا إلاّ وَددتُ أنه بدىءَ بى ، وبلحمتى الذين يلوننى حتى يستوىَ عيشنا وعيشكم . وايمُ الله لو أردتُ غيرَ هذا من عيش أو غضَارة لكان اللسانُ به منى ناطقاً ذلولا عالماً بأسبابه ، ولكنه من الله عزّ وجلّ كتابٌ ناطق ، وسنةٌ عادلة ، دَلّ فيهما على طاعته ، ونهى فيهما عن معصيته . ثم بكى فتلقّى دموعه بطرَف ردائه ، ثم نزل ، فلم يرَ على تلك الأعواد بعدُ حتى قبضَهُ اللهُ إليه . رحمة الله عليه (١) » .

(ح) — شراء العِرْض بالمال :

وحدّثنا أن أعشى هَمْدان هجا شجرة العبسىّ بشعر أجازهُ عليه بالمال ، قال حماد الراوية :

«سأل أعشى همْدان شجرة بن سليمان العبسىّ حاجة فردّه عنها ، فقال يهجوه :

لقد كنتَ خيَّاطاً فأصبحتَ فارساً ⁂ تُعَدّ إذا عُدَّ الفوارسُ من مُضَرْ

فإن كنتَ قد أنكرتَ هذا فقلْ كذا ⁂ وبيِّن لى الجُرْحَ الذى كان قد دَثَرْ

وإصبعُكَ الوسطَى عليه شَهِيدةٌ ⁂ وما ذاك إلاّ وَخزُها الثوبَ بالإِبَرْ

قال : وكان يقال : إنّ شجرة كان خياطاً ، وقد كان ولى للحجاج بعض أعمال السواد . فلما قدم على الحجاج قال له : يا شجرة ، أرنى أصبعك أنظرْ

(١) الأغانى (ج ٩ ص ٢٦٧ طبع دار الكتب المصرية) .

إليها ، قال : أصلح الله الأمير ، وما تصنع بها ؟ قال : أنظر إلى صفة الأعشى ! فخجل شجرة ، فقال الحجاج لحاجبه : مر المعطىَ أن يعطىَ الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا . يا شجرة ، إذا أتاك امرُؤ ذو حسب ولسان فاشتر عِرْضَك منه [1] » .

(ط) — وصف أعرابىّ لحفلة عُرْس وصفاً بدوياً بديعاً :

وحدّثنا عن وصف أعرابىّ لحفلة عُرْس وصفاً بدوياً بديعاً عن الفضل بن العباس الهاشمىّ من ولد قثم بن جعفر بن سليمان عن أبيه قال :

« كان ناهضُ بن ثومة الكلابىّ يفد على جدّى قثم فيمدحه ويصله جدّى وغيره ، وكان بدوياً جافياً كأنه من الوحش ، وكان طيب الحديث ، فحدّثه يوماً أنهم انتجعوا ناحية الشأم ، فقصد صديقاً له من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب ، فإذا نزل نواحيها أتاه فمدحه ، وكان براً به .

قال : فمررت بقرية يقال لها : قرية بكر بن عبد الله الهلالىّ ، فرأيت دوراً متباينة وخصاصاً [2] قد ضمّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناسٌ كثير مقبلون ومدْبرون ، عليهم ثيابٌ تحكى ألوانَ الزهر ، فقلت فى نفسى : هذا أحد العيدَين : الأضحى أو الفطر ، ثم ثاب إلىّ ما عزَب عن عقلى ، فقلت : خرجت من أهلى فى بادية البصرة فى صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذى أرى ! فبينا أنا واقفٌ متعجب أتانى رجلٌ فأخذ بيدى فأدخلنى داراً قوْراء [3] ، وأدخلنى منها بيتاً قد نجّد فى وجهه فرُش ومهّدت ، وعليها شابٌ ينالُ فروع شعره منكبيه والناس حوله سماطان [4] ، فقلت فى نفسى : هذا الأمير الذى حكىَ لنا جلوسه وجلوسُ الناس بين يديه ، فقلت

(١) الأغانى (ج ٦ ص ٥٨ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الخصاص : البيوت من القصب .
(٣) القوراء : الواسعة .
(٤) السماطان : الصفان .

وأنا ماثل بين يديه : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ! فجذب رَجلٌ يدى وقال : اجلس فإنّ هذا ليس بأمير ، قلتُ : فما هو ؟ قال : عروس ! فقلت : واثكل أماه ، لربّ عروس رأيته بالبادية أهونَ على أهله من هن أمه ! فلم أنشب (١) أن دَخل رجالٌ يحملون هنات(٢) مدوّرات ، أما ما خفّ منها فيحمل حملا ، وأما ما كبر وثقل فيدحرج ، فوُضع ذلك أمامنا ، وتحلق القومُ عليه حلقاً ، ثم أتينا بخرق بيض فألقيتْ بين أيدينا ، فظننتها ثياباً ، وهممت أن أسأل القوم منها خرَقاً أقطعها قميصاً ، وذلك أنى رأيتُ نسجاً متلاحماً لا يبين له سدى ولا لحمة ، فلما بسطهُ القومُ بين أيديهم إذ هو يتمزّق سريعاً ، وإذا هو — فيما زعموا — صنف من الخبز لا أعرفه ، ثم أتينا بطعام كثير بين حلو وحامض وحارّ وبارد ، فأكثرتُ منه وأنا لا أعلم ما فى عقبه من التخم والبشم ، ثم أتينا بشراب أحمر فى عساس (٣) ، فقلت : لا حاجة لى فيه ، فإنى أخاف أن يقتلنى ، وكان إلى جانبى رجل ناصح لى — أحسن الله جزاءه — فإنه كان ينصح لى من بين أهل المجلس ، فقال : يا أعرابى ، إنك قد أكثرت من الطعام وإن شربت الماء همى(٤) بطنك ، فلما ذكر البطن تذكرتُ شيئاً أوصانى به أبى والأشياخ من أهلى ، قالوا : لا تزال حياً ما كان بطنك شديداً فإذا اختلف فأوص ، فشربتُ من ذلك الشراب لأتداوىَ به ، وجعلتُ أكثر منه فلا أملّ شربه ، فتداخلنى من ذلك صلفٌ لا أعرفه من نفسى ، وبكاءٌ لا أعرف سببه ولا عهدَ لى بمثله ، واقتدارٌ على أمر أظنّ معه أنى لو أردت نيل السقف لبلغته ، ولو ساورتُ الأسد لقتلته ، وجعلتُ ألتفت إلى الرجل الناصح لى فتحدّثنى نفسى بهتم أسنانه

(١) فلم أنشب ، ورد فى القاموس : ما نشبت أفعل كذا ، أى ما زلت .
(٢) الهنات : هى ما يوضع عليها الطعام عند الأكل .
(٣) العساس : القداح الكبيرة .
(٤) همى بطنه : أى انطلق .
(٥) اختلف : أصابه إسهال .
(٦) ساورت الأسد : واثبته .

وهشم أنفه ، وأهمّ أحياناً أن أقول له . . . الخ »

ومن قوله فى وصف العود : « وكان معنا فى البيت شابّ لا آبهُ[١] به ، فعلت الأصوات بالثناء عليه والدعاء ، فخرج فجاء بخشبة عيناها فى صدرها ، فيها خيوط أربعة ، فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلف أذنه ، ثم عرك آذانها وحرّكها بخشبة فى يده فنطقت — وربّ الكعبة — وإذا هى أحسنُ قينة[٢] رأيتها قطّ ، وغنى عليها ، فأطربنى حتى استخفنى من مجلسى ، فوثبتُ فجلست بين يديه وقلتُ : بأبى أنت وأمى ، ماهذه الدابة فلستُ أعرفها للأعراب وما أراها خلقتْ إلاّ قريباً . فقال : هذا البربط[٣] ، فقلت بأبى أنت وأمى ، فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزّير ، قلت : فما الذى يليه ؟ قال : المثنى[٤] ، قلت : فالثالث : قال : المثلث[٥] ، قلت : فالأعلى ؟ قال البمّ[٦] ، قلت : آمنت بالله أولا وبك ثانياً وبالبربط ثالثاً ، وبالبم رابعاً .

قال : فضحك أبى والله حتى سقط ، وجعل ناهض يعجب من ضحكه ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا الحديث ويطرف به إخوانه فيعيده ويضحكون منه[٧] . . . الخ » .

---

(١) لا آبه له : لا أفطن له أو نسيته ثم فطنت .
(٢) القينة : المغنية .
(٣) البربط : العود .
(٤) المثنى : من أوتار العود بعد الأول .
(٥) المثلث : من أوتار العود كذلك .
(٦) البم : الوتر الغليظ من أوتار المزهر (العود) .
(٧) الأغانى (ج ١٢ ص ٣٥ طبع بلاق) .

الفصل الثالث

أهمية الأغانى فى شتى النواحى الأدبية

كالملح والطرف والفوائد والفرائد

١ ــ خزانة ملح ونكت ونوادر :

ومن مزايا هذا الكتاب النفيس ، وفوائده التى لاتقدر أنه خزانة ملح ونكت ونوادر ونبذ وفصول ممتعة فى التاريخ والأدب العربىّ ، منقولة عن أمهات الكتب والآثار الحافلة والمراجع النادرة التى لا وجود لها الآن ، وتدلّ على أنّ أبا الفرج كان عالماً محققاً مدققاً حجة ثقة كما قال ابن النديم فى وصفه :

« وأكثر تعويله كان فى تصنيفه (أى الأغانى) على الكتب المنسوبة الخطوط أو غيرها من الأصول الجياد (١) »

فلولا كتاب الأغانى ، وحفظه طول هذه السنين وتداوله على مرّ العصور والأجيال ، لضاع معظم الشعر القديم ، وفقدنا كثيراً من نصوص النثر العربىّ الصميم ، وتلاشى وصف أشياء قيمة عن الحضارة الإسلامية ، والحياة الاجتماعية والعمرانية ، لذا كان أبو الفرج من العلماء الأفذاذ الذين يهوى العلم والأدب إتقان تصويرهم ، والصدق فى وصفهم وتقديرهم ، ويعتبر كتابه «الأغانى» مدرسة تلقى عنه العلماء والأدباء الأدب العربىّ منذ ألف سنة .

وإليك أمثلة من ملحه وطرفه وفوائده وفرائده :

(ا) ــ هزيمة الزّبير الخثعمىّ بجلولاء وشعر أعشى همْدان فى ذلك :

حدّثنا عن الحرب التى وقعت بين الزّبير بن خزيمة الخثعمىّ والخوارج

---

(١) راجع فهرست ابن النديم (ص ١١٥ طبع أوربا) .

بجلولاء (١) وشعر أعشى همْدان فيها فقال :

« بعث بشرُ بن مرْوان الزّبيرَ بن خُزَيْمة الخثعمىّ إلى الرىّ ، فلقيه الخوارج (٢) بجلولاء ، فقتلوا جيشه ، وهزموه وأبادوا عسكره ، وكان معه أعشى همْدان ، فقال فى ذلك :

أُمِّرَتْ خَثْعَمٌ على غير خَيْرٍ ثم أوصاهمُ الأميرُ بسيرِ
أين ما كنتمُ تعيفون للنا س وما تزجُرون من كلّ طيرِ
ضلّت الطيرُ عنكمُ بجَلُولا ء وغرَّتكمُ أمانى الزُّبير
قدرٌ ما أُتيح لى من فلسطي نَ على فالج (٣) ثقال (٤) وعَيْرِ
خَثْعمىّ مغصّص جرجمانىّ محلّ غزا مع اُبن نُمَيْر (٥) ؟ »

(ب) — أوصاف الحيرَة فى أيام بنى أمية :

وأفادنا عن أوصاف الحيرَة فى أيام بنى أمية ، قال : قال سليمان بن بشر ابن عبد الملك بن مرْوان :

« وكان بعضُ ولاة الكوفة يذمّ الحيرَة ، فى أيام بنى أمية ،

---

(١) جلولاء (بالمد) : طسوج (ناحية) من طساسيج السواد فى طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ ، وبها كانت الواقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ هـ فاستباحهم المسلمون ، فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون

(٢) الخوارج : قوم كانوا فى بداء أمرهم من حزب على بن أبى طالب وأبلوا معه فى صفين بلاء حسناً ، ولما رفعت المصاحف ونادى جيش معاوية بتفويض الحكم إلى كتاب الله لم يخف على علىّ أنها خدعة حرب فاستنفر أحزابه عليهم فأبوا واضطروه إلى قبول التحكيم ، وكان من أمر الحكمين ما كان ، فانتقض هؤلاء القوم عليه وقالوا : « لا حكم إلا لله » وشقوا عصا الطاعة ولم يذعنوا لحجاج الإمام ورفضوا التسليم إلى حكومته ، وتجمهروا فى النهروان فأكره على إلى منازلتهم ففر منهم من لم يكن متصلباً فى رأيه ، وثبت اثنا عشر ألف رجل كانوا أهل صلاة وصيام ولم يظهر عليهم علىّ إلا بعد عناء شديد .

(٣) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين ، يحمل من السند للفحلة .

(٤) الثقال : (بالفتح وبالضم) : الثقيل . والثقال (بالفتح) : البطىء من الدواب والناس

(٥) انظر الأغانى (ج ٦ ص ٥٥ — ٥٦ طبع دار الكتب المصرية) .

فقال له رجلٌ من أهلها — وكان عاقلا ظريفاً — : أتعيبُ بلدة بها يضرَب المثل فى الجاهلية والإسلام ! قال : وبماذا تمدَح ؟ قال : بصحة هوائها ، وطيب مائها ، ونزْهة ظاهرها ، تصلُح للخُفّ والظلف ، سهلٌ وجبلٌ ، وباديةٌ وبستان ، وبَرّ وبَحر ، محلّ الملوك ومزارهم ، ومسكنهم ومثواهم ، وقد قدمتها — أصلحك الله — مخفاً فرجعتَ مثقلا ، ووردْتها مقلاّ فأصارتك مكثراً ، قال : فكيف نعرفُ ما وصَفتها به من الفضل ؟ قال : بأن تصير إلىّ ، ثم ادعُ ما شئتَ من لذّات العيش ، فوالله لا أجوزُ بك الحيرةَ فيه ، قال : اصنعْ لنا صنيعا واخرج من قولك ، قال : أفعلُ ، فصنع لهم طعاماً وأطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وَحشها : من ظباء ونعام وأرانبَ وحبارَى [١] ، وسقاهم ماءَها فى قلالَها ، وخمرها فى آنيتها وأجلسهم على رَقمها [٢] — وكان يتخذ بها من الفرُش أشياء ظريفة — ولم يستخدم لهم حرّا ولا عبداً إلاّ من موَلديها ومُولداتها ، من خدَم ووصائف [٣] ووصفاء [٤] كأنهم اللؤلؤ ، لغتهم لغةُ أهلها ، ثم غناهم حنين وأصحابه فى شعر عدىّ بن زيد شاعرهم وأعشى همْدان لم يتجاوزهما ، وحيّاهم بريَاحينها ، ونقلهم [٥] على خمَرها ، وقد شربوا بفواكهها ، ثم قال له : هل رأيتنى استعنتُ على شىء مما رأيتَ وأكلتَ وشربتَ وافترشتَ وشممتَ وسمعتَ بغير ما فى الحيرة ؟ قال : لا والله ، ولقد أحسنتَ صفةَ بلدك ونصرْته فأحسنتَ نصرَته ، والخروجَ مما تضَمنته ، فبارك الله لكم فى بلدكم [٦] »

---

(١) الحبارى : طائر ، قال فى كتاب الحيوان : إنه طويل العنق ، رمادى اللون ، فى منقاره بعض طول ، وهو يقع على الذكر والأنثى ، واحده وجمعه سواء ، وإن شئت قلت فى الجمع : حباريات ، وهو ممنوع من الصرف معرفاً ومنكراً .

(٢) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز .

(٣) الوصائف : جمع وصيفة ، وهى الجارية البالغة حد الخدمة .

(٤) الوصفاء : جمع وصيف ، وهو الغلام البالغ حد الخدمة أيضاً .

(٥) نقلهم : أطعمهم النقل . والنقل : ما يتنقل به على الشراب من فستق وتفاح وغيرهما .

(٦) راجع الأغانى (ج ٢ ص ٣٥١ — ٣٥٢ طبع دار الكتب المصرية) .

(ج) – حرب نصيبين بين المهلب ويزيد بن أبى صخر :

ووصف لنا حرب نصيبين[١] بين المهلب ويزيد بن أبى صخر وشعر أعشىَ همْدان فى ذلك ، فقال :

قال الهيثم بن عدىّ : « حاصرَ المهلبُ بن أبى صفرة نصيبين ، وفيها أبو قارب يزيد بن أبى صخر ومعه الخشبية .[٢] فقال المهلب : يأيها الناس ، لا يهولنكم هؤلاء القوم فإنما هم العبيد بأيديها العصىّ . فحمل عليهم المهلبُ وأصحابه فلقوهم بالعصىّ فهزموهم حتّى أزالوهم عن موقفهم . فدَسّ المهلبُ رجلا من عبد القيس إلى يزيد بن أبى صخر ليغتاله ، وجعل له على ذلك جعلا سنياً – قال الهيثم : بلغنى أنه أعطاه مائتى ألف درهم قبلَ أن يمضى ووعده بمثلها إذا عاد – فاندسّ له العبدىّ فاغتاله فقتله وقتل بعده ، فقال أعشىَ همْدان فى ذلك :

يُسَمَّوْن أصحاب العِصِىّ وما أرى ... مع القوم إلاّ المشرفيّة مِنْ عَصَا
ألاَ أيّها اللّيثُ الذى جاء حاذِراً[٣] ... وألقى بنا جرمى الخيامَ وعرَّصا
أتحسب غَزْو الشأم يوماً وحربَه ... كبِيض يُنَظِّمْنَ الجُمان المُفَصَّصا
وسَيْرِكَ بالأهواز إذ أنت آمِنٌ ... وشربِكَ البانَ الخَلايَا[٤] المُقَرَّصا[٥]
فأقسمتُ لا تَجْبِى لكَ الدهرَ درهماً ... نَصِيبُون حتّى تُبْتلَى وتُمَحَّصَا

---

(١) نصيبين : من بلاد الجزيرة ، وهى على نهر اسمه « هرماس » من روافد نهر الخابور قال ابن سعيد : وهى مخصوصة بالورد الأبيض ، ولا يوجد فيها وردة حمراء . وفى شمالها جبل كبير هو الجودى ، وهو الذى يقال : إن سفينة نوح استقرت عليه (راجع تقويم البلدان لأبى الفدا ص ٢٨٣ طبع أوربا) .

(٢) الخشبية : أتباع المختار بن أبى عبيد .

(٣) حاذرا : متأهباً مستعداً .

(٤) الخلايا : الإبل المخلاة للحلب ، الواحدة خلية .

(٥) المقرص : اللبن الذى يجعل فى المقارص ليصير قارصاً ، أى حامضاً . والمقارص الأوعية التى يقرص فيها اللبن .

ولا أنتَ من أثوابها الخُضْرِ لابِسٌ ولكن خُشْباناً شِداداً ومِشْقَصاً(١)
فكم ردّ من ذى حاجةٍ لا ينالها جُذَيْع العتيك ردّه الله أبْرَصا
وشيّد بنيـانا وظاهَر كسوةً وطال جُذَيْع(٢) بعد ما كان أوْقَصا(٣)

(د) — أوّل مأتم فى الإسلام :

ووصف لنا أوّل مأتم فى الإسلام وما فعله النساء فى موت عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى بولولتهنّ ولطم خدودهنّ ، وهو أوّل ما حدث فى الإسلام فقال :

« لما مات عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفىّ رثاه ابن مناذر بقوله :

لأقيمنّ مأتماً كنجوم الليـ ـل يلطمنَ حرّ الخدود
موجعات يبكين للكبد الحرا عليـه وللفؤاد العميد

قالت أمّ عبد المجيد : والله لأبرنّ قسمه ، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتماً عليه ، وقامت تصيح عليه : إى ويه ! وإى ويه ! ، فيقال : إنه أوّل من فعل ذلك وقاله فى الإسلام(٤) »

(هـ) — عدم وفاء خالد بن عتاب بما وعد به أعشى هَمْدان :

وساق لنا خبر أعشى همْدان أيضاً مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحىّ حين ما كان خالد يمنّى الأعشى ويعدُه ثم جفاه وتناساه ، قال :
« وكان خالد يقول للأعشى فى بعض ما يمنّيه إياه ويعدُه به : إن وُليتُ عملا كان لك ما دون الناس جميعاً ، فتى استعملتُ فخذ خاتمى واقض فى أمور

(١) المشقص : نصل عريض ، وقيل : سهم فيه ذلك يرمى به الوحش .
(٢) جديع (بالدال المهملة) تصغير جدع
(٣) راجع الأغانى (ج ٦ ص ٥٠ – ٥١ طبع دار الكتب المصرية) .
(٤) الأغانى (ج ١٨ ص ١٤ طبع بلاق) .

الناس كيف شئتَ . قال : فاستعمل خالدٌ على أصبهان وصار معه الأعشى ، فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه ، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه :

تُمَنِّينِى إمارتَها تَميم وما أُمِّى بأمِّ بنى تميم
وكان أبو سليمانٍ أخاً لى ولكنَّ الشِّراكَ[1] من الأديم
أتينا أصبهانَ فهزَّلتْنا وكنَّا قبل ذلك فى نعيم
أتذكُرنا ومُرَّةَ إذ غَزَوْنَا وأنتَ على بُغَيلِك ذى الوُشُوم
ويركب رأسه فى كلِّ وَحْل ويعثُر فى الطريق المستقيم
وليس عليك إلّا طَيْلَسانٌ نَصِيبِىٌّ وإلّا سَحْقُ نِيم[2]
فقد أصبحتَ فى خَزٍّ وقَزٍّ تَبَخْتَر ما تَرى لك من حميم
وتحسب أن تلقَّاها زمانا كذبتَ وربِّ مكة والحطيم

° ° °

وكانت أصبهانُ كخير أرضٍ لمُغْترب وصُعلوكٍ عَدِيمِ
ولكنَّا أتيناها وفيها ذوو الأضغان والحِقْد القديم
فأنكرتُ الوجوهَ وأنكرتْنى وجوهٌ ما تُخَبِّر عن كريم
وكان سفاهة منّى وجهلاً مَسِيرى لا أسير إلى حميم
فلو كان ابن عتّابٍ كريما سما لذؤابة[3] الأمر الجسيم
وكيف رجاء من غَلَبتْ عليه تنائى الدارِ كالرَّحِم العقيم

فبعث إليه خالد : من مرّة هذا الذى ادّعيتَ أنى وأنتَ غزوْنا معه على

---

(١) الشراك : أحد سيور النعل التى تكون على وجهها .

(٢) النيم : الفروة ، أو هو ثوب ينام فيه من القطيفة .

(٣) فى الأغانى : « لرواية » . والمعنى يقتضى ما أثبتناه . وذؤابة الشيء : أعلاه . وتستعار للعز والشرف وعلو الرتبة .

بغل ذى وُشوم ؟ ومتى كان ذلك ؟ ومتى رأيتَ علىّ الطيلسان والنيم اللذين وصفتهما ! فأرسل إليه : هذا كلامٌ أردتُ وصفك بظاهره ، فأما تفسيره : فإنّ مرّة مرارةُ ثمرةِ ما غرست عندى من القبيح . والبغل : المركبُ الذى ارتكبته منّى لا يزال يعثر بك فى كلّ وَعث وَجدَد ووَعر وسهل . وأما الطيلسان فما ألبسك إياه من العار والذمّ . وإن شئتَ راجعتَ الجميل فراجعته لك ، فقال : لا ، بل أراجع الجميلَ وتراجعه ! فوصَله بمال عظيم وترضّاه [١] » .

بانتهاء هذا الفصل ينتهى الكتاب والحمد لله أوّلا وآخراً

---

(١) الأغانى (ج ٦ ص ٤٣ - ٤٤ طبع دار الكتب المصرية) .

تقدير ووفاء

فى أثناء طبع هذا الكتاب فقدت اللغة والأدب مصححاً ممتازاً ، وأديباً فذاً هو الأخ الكريم ، والصديق الوفى ، الأستاذ العبقرى :

المرحوم «عبد الرحيم محمود»

انتقل إلى رحمة مولاه فى صباح يوم الإثنين ٥ شوال سنة ١٣٧٠ هـ (٩ يوليه سنة ١٩٥١ م) ودفن مبكياً عليه من أصدقائه الكثيرين بمقره الأخير بمدفن المغفور له الأمير إبراهيم الرزاز بجوار قبة الإمام الشافعى — رضى الله عنه — تحقيقاً لرغبته ، وتنفيذاً لوصيته .

ولما كان فقيدنا الكريم اشتغل مصححاً معنا بدار الكتب المصرية قريباً من ثلاثين عاماً وله اليد البيضاء فى تصحيح وتحقيق معظم ما أخرجته الدار من الآثار الأدبية لا سيما « كتاب الأغانى » فى حلته الجديدة ، وبذل من المجهود الفكرى والأدبى فى تحقيقه ما لا يعرفه إلا المشتغلون بمثل هذه الأمور وقليل ما هم .

فجدير بنا أن نسجل فى ختام كتابنا : « أبو الفرج الأصبهانى وكتابه الأغانى » بمناسبة ظهوره فى عالم المطبوعات ، تقديرنا لما بذله الفقيد العزيز من مجهود فكرىّ شاق فى تصحيح بعض أجزاء كتاب الأغانى ، وكتابة تعليقاته عليها وتحقيقاته حتى أخرجها للعلماء والأدباء بهذه الصورة الواضحة الجميلة .

وقد وافته المنية أثناء تصحيحه تجارب الجزء الثانى عشر من تجزئة الدار .

° ° °

كان — رحمه الله — كريم الأخلاق ، حميد السجايا ، جميل الطبع ، عفّ اللسان . .

ومن أخص صفاته أنه كان أديباً ممتازاً ، حادّ الذهن ، مرهف الحسّ ، رقيق الذوق ، حافظاً لكثير من المفردات اللغوية وشرح معانيها الغامضة ، والشواهد عليها من الشعر العربى الرصين حتى إنه يعد فى هذه الناحية — قاموساً حياً . لم نسأله فى مرة من المرات عن شرح كلمة مبهمة وردت فى بيت إلا وذكر معناها وسرد شاهداً من محفوظاته .

* * *

وكان مجهوده الفكرىّ والأدبى موزعاً فى تصحيح وتحقيق الكتب التى تقوم بنشرها الدار لا سيما كتاب الأغانى ، وفى الكتب التى يخرجها صفوة الكتاب المصريين ، وقادة النهضة الأدبية الحديثة أمثال الأستاذ الأكبر صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر ، وصاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف ، وسعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا وغيرهم .

* * *

ولما كنا قد سجلنا فى كتابنا هذا رأى زعيم أدباء هذا العصر صاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف فى أبى الفرج الأصبهانى وكتابه الأغانى فجدير بنا أن نسجل رأيه فى مصحح كتاب الأغانى عند ما علم معاليه بنبأ وفاته وهو فى « سويسرا » فحزن عليه حزناً شديداً ، وقد اقتطفناه من رثائه الخالد الذى نشر فى جريدة الأهرام بتاريخ ١١ أغسطس سنة ١٩٥١ بعنوان : « صديق » .

١ — خُلُقه :

« كان أودع من عرفت نفساً ، وأرضاهم خلقاً ، وأشدهم بأحداث الحياة سخرية . وكان يفى للصديق ما وفى له الصديق ، فإذا تنكر له وأعرض عنه زاده وفاء وإخلاصاً وبراً ؛ فإذا جزاه من وفائه كيداً ، ومن إخلاصه مكراً ، ومن بره عقوقاً لم يزد على أن يضحك ضحك الإشفاق والرحمة ، أو يبتسم ابتسامة الرثاء والشفقة ، ثم يمضى فى وفائه للصديق الغادر الماكر كأنه لم يلق منه إلا خيراً وبراً ومعروفاً » .

٢ــ أدبه :

« وكان مع ذلك أديباً بأدق معنى هذه الكلمة وأوسعها ، كان أفهم الناس لنص قديم أو حديث ، وكان أرق الناس ذوقاً ، وأرهفهم حساً ، وأصفاهم طبعاً وأنفذهم بصيرة ، وأنقاهم ضميراً ، كان جندياً مجهولا كما يقول الناس فى هذه الأيام من جنود الأدب ، أو كان قائداً ممتازاً مجهولا من قادة الأدب إن صح أن يكون القادة الممتازون مجهولين » .

٣ ــ عمله فى الدار :

« اشتغل مصححاً فى دار الكتب المصرية قريباً من ثلاثين عاماً فليس مما أخرجته الدار من بارع أدبنا القديم نصّ إلا قرأه مرة ومرة مقوّماً لما اعوج منه ، مصححاً لما التوى فيه ، والذين يقرءون هذه الآثار الكثيرة التى أخرجتها الدار فى ربع قرن جديرون أن يذكروه كلما قرأوا فى واحد منها ، فهم مدينون له ولزملائه باستقامة ما يقرءون » .

٤ ــ نظره فى الحياة :

« وكانت الحياة كلها عند عبد الرحيم وسيلة إلى ثلاث غايات لم يكن يريد لها رابعة :

(ا) ــ حب الأصدقاء والوفاء لهم .

(ب) ــ تقويم نصّ أدبى قديم ، وتصحيح كتاب عربى حديث .

(ج) ــ لعب الشطرنج » ا هـ .

يرحمك الله أيها الأخ الكريم ، والصديق الوفىّ ، وأسكنك فسيح جناته .

زميلك المخلص

محمد عبد الجواد الأصمعى

بدار الكتب المصرية

فهرس

الألفاظ والأساليب

أمثلة من الألفاظ الرشيقة السهلة التى صاغها أبو الفرج فى كتابه الأغانى(١)
وهى مرتبة ترتيباً هجائياً (٢)

حرف الألف

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
أدب	وصف من عقلها وأدبها وجمالها	١	٩٥	٤	دار الكتب المصرية
أدم	آدم أحمر ظاهر الدم	١	٢٤٩	٥	» » »
أرك	ظباء الأراك	١	١٦٣	١	» » »
أزج	الأزج المدور كالقبة	١	١٦٥	٢٢	» » »
أزر	مغفلة فى مئزر لم تدرع	١	١٧٩	٥	» » »
أسد	قلوب أسود	٤	١٠٥	٥	» » »
أسر	والأسارى محبوسون فى الوثاق	٤	٢٠٦	١٣	» » »
أصل	الرأى الأصيل	٤	٣٧	١	» » »
أنس	أستأنس بالوحدة	٤	١٠٦	٤	» » »
أهل	أهلا وسهلا بكم من زائر زارا	١	١٨٠	٦	» » »
أيش	أيش هذا اللحن الجديد	١	٦٠	١٧	» » »

(١) تقدمت الإشارة إلى هذا الفهرس ؛ انظر (ص ٣٠٥) .

(٢) راعينا فى هذا الترتيب أن نذكر المادة الأصلية وندرج تحتها الكلمة أو العبارة التى جاءت فيها ألفاظ ترجع إلى تلك المادة .

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
حجب	الحجاب	١	٥٣	١٥	دار الكتب المصرية
	وقد أبدت الخدّ والحاجبا	١	١٦٣	٢	» » »
حجر	محاجر عينى	١	٢٩٢	٢	» » »
	فى ناحية الحجرة مجموعة يداه				
	إلى عنقه بحبل	٤	٢٠٤	٥	» » »
حجز	فجئْن إلى مضرب قد حجزن				
	به دون بابها	١	١٧١	١٠	» » »
حجل	ربات الحجال	١	٧٤	٨	» » »
	أدهم أغر محجّل	١	٢٥٩	١٠	» » »
حجم	الحجامة	٤	٨	٥	» » »
حدث	الأحداث	٤	٩	٩	» » »
	طبقة المحدثين	٤	٩٠	١٤	» » »
	مذهب المحدثين	٤	٩١	١	» » »
حدد	حادة الفطنة والفهم	٤	١١٥	٤	» » »
	حديد اللسان	٤	١٧٣	٨	» » »
حدد	حديد النظر	٤	١٧٣	٨	» » »
	حديد الوجه	٤	١٧٣	٨	» » »
حدق	ملتف الحدائق أخضر	١	٨٢	٣	» » »
حرب	المحراب	١	٢٤٠	٣	» » »
حرر	حرة الوجه والشمائل	١	١٢٥	٤	» » »
حرس	حوله الأحراس	١	١٩٧	٥	» » »

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
حمق	بعض حماقاته	٤	١٠٨	١٥	دار الكتب المصرية
حمل	شق محمل مسجى	٤	١٠	١٠	» » »
حمم	حمام مكة	١	٢٢	٤	» » »
	حمامات الشام	١	٥٥	٥	» » »
	صاحب الحمام	١	٥٥	٦	» » »
	فعدل إلى حمام كان بقربه	٤	٣٦١	١١	» » »
حمى	وأنا فى غمرة من الحمّى	١	٢٨٧	٥	» » »
حنت	الحوانيت (بيوت الخمارين)	١	١٧٧	١٢	» » »
حنن	وفى يده الحناء	١	٢٧٤	٤	» » »
حوص	وكان أحمر أحوص العينين	٤	٢٣٢	١	» » »
حوض	حوضاً فتملأه ماء	٤	١٨٤	٤	» » »
حوط	ملبسة الحيطان بالوشى المنسوج بالذهب	٤	١١٦	٦	» » »
حيل	حيل ابن آدم	٤	١٤	١٤	» » »
	احتال عبد الله بن معن على أبى العتاهية	٤	٢٥	٢	» » »

حرف الخاء

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
خبز	بمائدة عليها خبز سميذ وخل وبقل	٤	١٠٧	١٦	» » »
خبا	خباء من أخبية العسكر	٤	١٨٢	٤	» » »
ختم	فأخرجت إلىّ صندوقاً لطيفاً مقفلا مختوماً	١	١٦٩	٩	» » »
	يتختمن فى أصابعهن العشر	١	٢٣٠	١١	» » »

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
	مخضوب بالحنّاء	١	٢٥٩	٨	دار الكتب المصرية
	لأخضبن يدى إلى المرفقين	٤	٢١٩	١٢	» » »
	فأخرج يديه مخضوبتين	٤	٢٢٠	٩	» » »
خضر	أحدهما أخضر يسكن خارجاً من بطحان ، والآخر أحمر كأنه وحرة على برودة فى شعره	٤	٢٣٢	٦	» » »
خطر	نحن والله على خطر من هذا الغناء	٢	٢٩٢	١١	» » »
خطم	أخذت بخطام راحلته فزعزعها وأنخها	١	٢٥٢	١٠	» » »
خفف	خفان غليظان	١	٤٩	٢	» » »
خفى	أخفت نفسها فى نسوة	١	١٦٦	١٥	» » »
خلخل	الخلخال	١	١٩٦	٣	» » »
خلع	بخلعة سنية	٤	٤١٣	١٠	» » »
خلق	أخلاق المساكين	٤	٥٠	١٢	» » »
خلل	سنبوسجة مغموسة فى الخل	١	٨٣	٩	» » »
	ثريدة بخل وزيت	٤	١٧	٥	» » »
خمر	بيت خمار بالشام	٤	١٦٧	١٦	» » »
خوخ	الخوخ	١	٥٦	٤	» » »
	خوخة قد فتحت	٤	٢٢٢	٦	» » »
خون	أول خان نزلته	٤	٣٢٧	١	» » »
	الخانات فارغة	٤	٣٢٧	٨	» » »

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
دستنبوية	دستنبوية	١٨	٣٨		بلاق
دفتر	ومعى دفتر	١	٧٨	٥	دار الكتب المصرية
دفف	فنقر بالدف	١	٢٧٨	١٠	» » »
دقق	دقة المعنى وصواب المصدر	١	١٢٠	٥	» » »
	فدق على عمر بابه	١	٢٢٣	٦	» » »
دكن	الدكّان	٤	٣٧١	١	» » »
دلل	دلّ حجازىّ	١	٦٦	٥	» » »
دنر	وأرسل إلى أمها بخمسمائةدينار	١	٩٠	٢	» » »
	بثلاثة آلاف دينار	٤	٣٦٥	٦	» » »
	صرة فيها ألف دينار	٤	٣٦٤	٥	» » »
دنق	دانق	٤	١٧	١٦	» » »
دمى	كالدمى	١	١٤٥	١	» » »
دهش	بالدهش والحيرة	٤	٩٣	٣	» » »
دهلز	الدهليز	٤	٥٢	١٧	» » »
دهن	لوزينجة شرقة بالدهن	١	٨٣	١٠	» » »
دور	يدور مع الصبيان	١	٦٩	٤	» » »
	يادار دوّرينى ٭ ياقرقرامسكينى	١	٦٨	١٧	» » »
دوى	وأعطيته دواة وقرطاساً	١	٨	٤	» » »
ديه	فقالت لداية لها سوداء	١	٢٢٠	١٣	» » »

حرف الذال

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
ذبذب	مذبذباً	٤	٦	١٥	» » »
ذرع	يقيس ذراعاً كلها قسن إصبعاً	١	١٣٩	١٥	» » »

حرف الراء

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
	برزمة من ثياب	٤	٣٨١	٩	دار الكتب المصرية
رسف	يرسف فى قيده	٤	٣١٩	٨	» » »
رصع	على سرير مرصع بالجوهر	٤	١١٦	٧	» » »
رعد	يكتب ويده ترعد من الفرح	١	١٠٨	٤	» » »
	الرعود القاصفات	٤	١٥	٩	» » »
رغف	رغيفان	٤	١٨	٢	» » »
رفق	حتى لحق بالرفقة	١	١٧٢	٧	» » »
	وأمر له بمرفقة توضع تحته				
	عليها صورة الملك	١٢	٤٨	٢٥	بولاق
رقص	ما معك من مرقصاته	١	٢٧٧	١٥	دار الكتب المصرية
رقع	ترقعن الخروق	٤	٢٤	٨	» » »
رقق	الرقيق الصوت	١	٢٨١	٨	» » »
رمض	شهر رمضان المعظم	٤	١٧٥	١٠	» » »
رمل	عدد الرمل والحصى والتراب	١	٧٩	٥	» » »
رم	فلم تظهر لحبيب رمة حتى				
	الساعة	٤	٢٣٠	٣	» » »
رمى	رمى بالحناء من يديه وأصابعه	١	٢٧٤	١٣	» » »
رهن	مرتهن	٤	٤٢	١٧	» » »
	رهائن	٤	١٠٥	١١	» » »
	فارهنه عنده	٤	٣٧٣	١٠	» » »
روح	روائح الجنة فى الشباب	٤	٣٦	٥	» » »
روق	رواق أرضه وحيطانه ملبسة				

حرف الزاى

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
سرول	مقام السراويل	٤	١٠٨	١٨	دار الكتب المصرية
سطن	الأسطوانة	٢	٢٤٨	١٩	» » »
سعل	زكمة وسعالا	٤	٣٨٧	١٢	» » »
سفل	واتبعهم العبيد والصبيان والسفلة	١	٢٥	٤	» » »
سفن	السفينة	٤	١٠٦	١٧	» » »
سقف	ألا استترت بسقائف المسجد	١	١٠٠	٧	» » »
سقى	سقاء يحمل قربة	١	٣٩	١٠	» » »
	نسقى الخمور	٤	١٨٢	١٠	» » »
سكر	من أتاك بابن هرمة سكران				
	فاضربه مائة واضرب ابن				
	هرمة ثمانين	٤	٣٧٥	٨	» » »
	وصياح الصبيان: يا سكران	٤	٣٩٧	٤	» » »
سلر	سلور فى القدر ويلى علوه	١	٥٥	١٣	» » »
	السلور (السمك الجرِّىّ بلغة				
	أهل الشام)	١	٥٦	١	» » »
سلسل	أسير فى السلاسل	١	٣١	١١	» » »
سمر	يسمر ليلة على ظهر سطح	٤	٢٧٣	٢	» » »
سمك	السمك الجرِّىّ	١	٥٦	١	» » »
	بسمك مشوىّ	٤	١٠٧	١٧	» » »
سمن	فباعت السمن وراحلتين كان				
	عليهما وشربت بثمنها الخمر	١	٢٠٩	١٢	» » »
	فبعثها بأنحاء سمن	١	٢٠٩	١٢	» » »

حرف الضاد

حرف الطاء

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
	فرأيت عليه مطرف خزّ أسود ما رأيت قط أحسن منه	١٠	١٢٠	١٨	دار الكتب المصرية
طست	واضع رجله فى طست لوجع كان يجده	١	٢٦	٣	» » »
طلب	طلاّب الغريب	٤	٧٠	١٠	» » »
طلس	أطلس (اللون الذى فيه غبرة إلى السواد)	١	٢٧٥	١٤	» » »
طلق	امرأته طالق	١	٨٣	٨	» » »
طوق	طوق ذهب	١	٢٥٩	١١	» » »
طيب	وابتاع بها حللا وطيباً فأهداه إليها	١	١٦٧	١	» » »
	أودع طيباً أو جوهراً	١	١٦٩	١٠	» » »
	وفرّق على الجلساء كلهم الجوائز والطيب والخلع	١٠	١٢٠	١٨	» » »

حرف الظاء

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
ظرف	ومعى صاحب لى ظريف	١	١٧٤	٦	» » »
	شاعر أديب ظريف	٤	٩١	١٢	» » »
ظعن	نواعم الأظعان	١	١٣٩	١٧	» » »
ظلل	يقولون للعب خيال الظل : بابة	١	١٨٠	١٣	» » »
	بابات خيال الظل (أى لـُعب)	١	١٨٠	١٤	» » »
	ومظلة	٤	٣٨١	٧	» » »
ظهر	بين يديه ظهراً (قلما) ودواة	٤	٣٠	٥	» » »

حرف العين

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
عصب	وعصابة من ذهب	٤	٢١٨	٦	دار الكتب المصرية
عصفر	ملحفة معصفرة	١	٢٧٨	٤	» » »
	غلالة ورداء معصفران	٤	٢٧٤	١٨	» » »
عصو	وإذا بعجوز قد طلعت علينا				
	عوراء متكئة على عصا	١	١٦٤	٢	» » »
	فضربه الرشيد ستين عصا	٤	٢٩	١٩	» » »
عضض	فعضّت منكبي ، فما وجدت				
	ألم عضّها من لذّة	١	١١٢	١٣	» » »
	عضضت أناملى	٤	١١٠	٢	» » »
عطر	عطّارة بالمدينة	١	٦٤	١٧	» » »
	تجارة العطر بالمدينة	١	٦٥	٥	» » »
	تبيع العطر بالمدينة	١	٦٥	٥	» » »
	ما رأيت عطراً أطيب من عطرها	١	٦٥	١٢	» » »
	حسبت وسط رجال القوم				
	عطاراً	١	١٨٠	٤	» » »
عفر	بالبراق العفر	١	٢٨٠	٤	» » »
عفف	عفة المقال	١	١٢٠	٦	» » »
عقل	وصفن عقلها وأدبها وجمالها	١	٩٥	٤	» » »
علف	تحمل علفاً	٤	٣٨٢	٤	» » »
	واشتر لنا علفاً	٤	٣٩٠	٣	» » »
علم	فيتذاكرون العلم	١	٧٥	١٢	» » »
	وكان عالماً بالغناء فلا يُبارى فيه	١	٢٥١	١٠	» » »

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
	أهلكنى وأهلك عيالى ومالى	٤	١٨	٩	دار الكتب المصرية
	ما أنفق على عيالى إلا من زكاة مالى	٤	١٩	١١	» » »
	كثير العيال	٤	٣٤٩	١٣	» » »
عين	وأحضروا أكياساً فيها عين وورق	٤	١١٧	١٦	» » »

حرف الغين

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
غدا	فالغداء حاضر كثير	١	٢٥	١١	» » »
	قدّامهم الغداء	٤	١٧	٥	» » »
	وهيئوا غداءهم	٤	٣٢٧	٢	» » »
	ودعوت بالغداء	٤	٣٢٧	٣	» » »
	دعا بالغداء	٤	٣٤٧	١	» » »
غرد	يغرّد قمرى	١	١١١	٤	» » »
غرف	غرف الجنان	٤	٦٠	١٨	» » »
غرم	مغرم بالصيد	٤	٤٩	٣	» » »
غزر	أغزر الناس دموعاً فى وقت الموعظة	٤	١٠٤	٤	» » »
غزل	غزل يمان	١	٦٦	٥	» » »
	حسن الغزل فى مخاطبة النساء	١	١٢٠	٦	» » »
غسل	إلاّ مرجلا يُسخن لكم فيه الماء للغسل	١	١٦٦	١١	» » »
	مغسلٌ وكوزُ ماء	٥	٢٢٢	٦	» » »

حرف الفاء

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
فحش	والله ما أعلم أنى ركبت فاحشة قط	١	٧٧	٣	دار الكتب المصرية
	أذعت الفاحشة	٤	٢٢٢	٧	» » »
فخر	وعلى ظهره قفص فيه فخار يدور به فى الكوفة	٤	٤٧	٣	» » »
فرش	تقلبت فى الفراش	١	١٤٠	٢	» » »
	فى إزار وفراش	٤	١٨	٩	» » »
	فرش نظيف	٤	١٠٧	١٦	» » »
	دار مفروشة الصحن	٤	١١٦	٥	» » »
	فاخر الفرش	١٠	٢٧٤	١٠	» » »
فرع	فرعهم طولا	١	١٦٠	٧	» » »
فرغ	فى وقت فراغى	٤	٨٩	٩	» » »
فرو	وعليه فرو وخفان غليظان	١	٤٩	١	» » »
فستق	الفستق المقشر	١	٧٥	٨	» » »
فسط	وفساطيطه بمنى	١	٢٦٠	٨	» » »
فطر	من رقاق فطير	٤	١٦	٢٠	» » »
فقه	فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهونا فى الدين	٤	٢٢٥	٢	» » »
فكه	يحملون الفاكهة	١	٢١٢	٣	» » »
	وجاءونا بفاكهة وريحان وألوان من الأنبذة	٤	١٠٧	١٨	» » »
فلج	أصابه الفالج وارتعش وبطل	١	٣٦	١٢	» » »

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
قضب	يوقع بقضيب	١	٢٥٠	١٢	دار الكتب المصرية
	ووقع بالقضيب	١	٢٧٩	١	» » »
	قضبان كرم	١	٣٠٤	٦	» » »
قطط	جاء القط أكله ويلى علُوه	١	٥٥	١٣	» » »
قطع	القطوع والديباج	١	٢٢١	٤	» » »
قفص	وعلى ظهره قفص فيه فخار	٤	٤٧	٣	» » »
قفل	فأخرجت إلى صندوقاً لطيفاً مقفلا مختوماً	١	١٦٩	٩	» » »
	صوت الأقفال	٤	٩٣	٩	» » »
قفو	القوافى السهلة	٤	٤٠	١٣	» » »
	القوافى الصعبة	٤	٤٠	١٣	» » »
قلنس	قلنسية طويلة	٢	٣٤٢	٢	» » »
قمر	يغرد قمرى	١	١١١	٤	» » »
قمص	بقميصها الذى يلى جلدها	١	١٩٣	١٢	» » »
	مقام القميص	٤	١٠٨	١٧	» » »
	شقّ قميصه	٤	١٧٣	١١	» » »
	مشتملا على قميصه	٤	٣٧٥	١٥	» » »
قمقم	ولم يجدوا قمقما حتى استعاروه	٧	١٦	٥	» » »
قندل	قناديل تسقيها السليط (الزيت) الهياكل	٤	٣٣٨	١٣	» » »
قنطر	قنطرة الزياتين	٤	١١١	٦	» » »
قنع	سدل قناعه على وجهه	١	٢٥٠	١١	» » »

حرف الكاف

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
كرى	اذهب فتكار حمارين	٤	٣٧٥	١٢	دار الكتب المصرية
كسو	وممشى فتاة بالكساء	١	١٥٥	٩	» » »
كعب	فرش له فى ظهر الكعبةوجلس	١	١١٩	١٤	» » »
كفر	بكافور ومسك وعنبر	١	٢٣٦	٥	» » »
كفف	الأكف النواعم	١	١٢٧	١١	» » »
كفن	كفن بدينار	٤	١٨	١١	» » »
كلف	خفضى عليك بعض الغرم والكلفة	١	٢٥١	٨	» » »
كم	بل ّ كه	٤	١٠٦	١٨	» » »
كمن	أللقوم كمين أو مدد	٤	١٨٥	١٦	» » »
كنز	كنوز البر	٤	١٠٠	١	» » »
كهن	الكهان	٤	٣٠٤	١٥	» » »
كور	يحملن ركباناً وأكواراً	١	١٨١	٩	» » »
كوز	كوز ماء	٥	٢٢٢	٦	» » »
كيل	مكيالكم	١	١١٠	٩	» » »

حرف اللام

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
لألأ	وفى عنقها فصلان من لؤلؤ وزبرجد	٤	٢٧٥	١	» » »
لبس	تلبس لبسة أعرابى	١	١٧٥	١٤	» » »
	ملبستان بالديباج	١	٢٥٨	٨	» » »
لجم	دابة بسرجها ولجامها	٤	١٠٠	١٢	» » »

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
	ونجا برأس طمرة ولجام	٤	١٧٠	٣	دار الكتب المصرية
لحف	وعليه ملحفة معصفرة	١	٢٧٨	٤	» » »
لحن	اللحن الجديد	١	٦٠	١٧	» » »
	بفساد كلامهم ولحنهم	٤	١٠٢	١٣	» » »
	مفترق الألحان	٤	١١٩	٦	» » »
لحى	مقبل على شيخ حسن اللحية	٤	٥٢	٥	» » »
	وجه قد بدا تتبعه لحية حمراء	٤	٢٢٢	٦	» » »
لذذ	لذة النظر	١	١٤٧	٤	» » »
	باللذات مشغول	٤	٧١	٥	» » »
لطأ	على رأسه لاطئة	٤	٥٢	٦	» » »
لعب	يقولون للعب خيال الظل: بابة	١	١٨٠	١٣	» » »
لها	الملاهى	٤	١٠١	١٠	» » »
لوح	عند رأسه لوح من ذهب	٤	٢١٨	٦	» » »
لوز	لوزينجة شرقة بالدهن	١	٨٣	١٠	» » »
لون	أربعة ألوان من الحزن فى				
	بيت واحد	١	٢٧٤	٧	» » »

حرف الميم

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
مجن	مجّان مكة	١	١٦٩	١١	» » »
	تماجن علىّ ونفذ لهن	١	١٦٩	١٣	» » »
مدد	مداد (بكافور ومسك وعنبر)	١	٢٣٦	٥	» » »
	متكىء ممدود الرجل	٤	٧١	١٣	» » »

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
	نمدّكم بسلاح ورجال	٤	١٨٥	٥	دار الكتب المصرية
مرج	المرجان	١	٩٥	١٢	» » »
مرو	مروانيتى ومروانية أبى	٤	٤١٠	٥	» » »
مزح	وما زالوا يتمازحون بذلك دهراً				
	طويلا ويضحكون منه	١	١٧٠	٦	» » »
	وكان المزح بدء بليتى	٤	١١٩	٧	» » »
مسح	يا صاحب المسح تبيع المسحا	٤	٣٩	٩	» » »
مسك	بمسك وزعفران	١	٥٣	١٣	» » »
	نفحة المسك	١	١٨٠	٢٢	» » »
	بكافور ومسك وعنبر	١	٢٣٦	٥	» » »
	من المسك والجاوى	٤	١٦٨	٦	» » »
	فإذا عسل مجدوح بمسك				
	وكافور	٤	٢١٢	١٤	» » »
مشى	تمشى بها بغلاتها	١	٢٠١	٦	» » »
مطر	فتحدثوا مليا ومطروا	١	١٥٠	١٤	» » »
	بممطرى	١	٢٥٩	١٤	» » »
مقل	أحور المقلة	١	١٥٧	١٣	» » »
	مقلة تدمع	٤	٩٨	١٨	» » »
ملاء	ملاءة مطيبة	١	٥٢	١٦	» » »
ملح	الملاح (قائد السفينة)	١	٤٨	١٨	» » »
	غناء الملاحين	٤	١٠٢	١٨	» » »
	لون الملح	٤	١٦٦	١٤	» » »

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
نبل	إن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل	٤	١٩٠	٧	دار الكتب المصرية
نتف	ينتف الريش	١	٢٧٥	٥	» » »
نجب	النجائب المخضوبة بالحناء	١	٢٢١	٣	» » »
	دفعه إلى منجاب	٤	١٠٤	٨	» » »
نجم	نجوم سعود	٤	١٠٥	٦	» » »
نحر	تنحر الجزر	٤	١٨٢	٩	» » »
نرجس	وعلى ميادين من النور والبنفسج والنرجس	١٠	٢٧٤	١٠	» » »
نزه	المتنزهات	٤	١٧	٤	» » »
نسف	عمامته على رأسه مثل المنسف	٤	٢٥٧	١٠	» » »
نشب	النشاب	١	١٦٢	٥	» » »
نشر	من طيب نشر	١	١٨٠	٢٢	» » »
نشط	نشط إلى الشرب	٤	١١٥	١٥	» » »
نشو	أخو نشوة	١	١٧٧	١٢	» » »
نطع	بسيف ونطع	٤	٢٧٥	١٦	» » »
نطف	وناطف المعصار	٤	٣٧٣	١	» » »
نظر	عالم نظار	١	٢٣٠	٥	» » »
	تنظّر (بمعنى تأن وتريث)	١	٥٨	١١	» » »
نعج	ما نعجة من وحش ذى بقر	١	١٥٩	٧	» » »
	نعاج الملا	١	٢٨٤	٦	» » »
نعل	حذوك النعل بالنعل	١	١١٥	٥	» » »

حرف الهاء

حرف الواو

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
وضأ	فدعا بوضوءفجاءت بهجارية	٤	٢٧٣	٢	دار الكتب المصرية
وظف	ولا بعث إليه بالوظيفة	٤	٥٣	١٧	» » »
وقع	يوقع بقضيب	١	٢٤٩	١١	» » »
	فوقع بقهقهة	١	٢٩١	٤	» » »
وكب	فى موكب عظيم	٤	٦٦	٣	» » »
	وابن زين المواكب	١	١٤٦	١٢	» » »
	موكب أحد الوزيرين	٤	٤٧١	٦	» » »

حرف الياء

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
يسم	من الورد أو الياسمينا	١	١٤٧	١١	» » »
يقت	بعقد من الياقوت	١	٢٣٦	٦	» » »

فهرس

الكلمات اللغوية المشروحة والألفاظ الاصطلاحية (١)

(أمثلة منها)

وهى مرتبة ترتيبا هجائيا (٢)

حرف الألف

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
آس	الآسى .	١	٢٩	١	دار الكتب المصرية
أدم	والأدماء	١٠	٢٩٨	١٢	» » »
أزد	الأزد	٤	١٣٤	٦	» » »
أزر	آزر	١	١٣	١١	» » »
أسس	الأساس	١	٢٩	١	» » »
أطم	الآطام	١	٢٨	١٦	» » »
أمم	الأمم	١٠	٣٠١	١٠	» » »
انن	ان	١	١٦	٩	» » »
أوس	أواس	١	٢٨	١٩	» » »
أوش	أواش	١	٢٨	١٧	» » »
أون	صدر الإيوان	٥	٢١٨	١٤	» » »
أيي	آيانهن	١٠	٣٠٠	١٠	» » »

(١) تقدمت الإشارة إلى هذا الفهرس ؛ انظر (ص ٣٠٥) .

(٢) راعينا فى هذا الترتيب أن نذكر المادة الأصلية وندرج تحتها الكلمات التى جاءت فيها كلمات أو ألفاظ ترجع إلى تلك المادة .

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
حبل	والحبل	١٠	٢٩٨	١١	دار الكتب المصرية
حتف	الحتوف	٨	٢٤٢	٣	» » »
حجب	خرج الحاجب	٥	٣٠٩	٨	» » »
حجم	أحجمت	٨	٢٤٢	٧	» » »
حذلق	المتحذلق	٤	٢	١١	» » »
حذل	والحاذلة	١٠	٢٩٨	١٣	» » »
حرج	الحرج	٤	٣٦٦	٧	» » »
حرش	المحرش	١	١٣٠	٧	» » »
حرض	ذو حرض	١٠	٣٠٠	٩	» » »
	الحرض	١٠	٣٠٠	١٠	» » »
حرق	بنو حراق	٤	٢٧٦	١٣	» » »
حصر	حصور	٤	١٦٢	٧	» » »
حكم	أم حكيم	٤	١٦٣	٦	» » »
حفى	فأحفى المسئلة	١	١٦٤	٣	» » »
حوم	حومة الماء	٤	٣٧٨	١٧	» » »
	الحومانة	١٠	٢٨٧	٤	» » »

حرف الخاء

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
خبل	الخبل	٤	٢٦٠	٢	» » »

حرف الراء

١

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
رجل	يا للرجال	٤	٢٥٩	١١	دار الكتب المصرية
ردد	وارتد	٤	٣١٨	١٣	» » »
	الردة	٤	٣٧٨	١٧	» » »
رضخ	مرضخة النوى	٤	٢٠٠	٣	» » »
رعل	الرعيل	٨	٢٤٢	١١	» » »
رقص	أحسن رقصاً من كبيش وعبد السلام	٥	٣٥٣	١	» » »
رمح	ذو الرمحين	١	٦١	٨	» » »
ريط	ريطة	١	٦٢	١٣	» » »

حرف الزاى

زجج	الزجاج	١٠	٢٨٧	٩	» » »
زرق	الزرقاء	١	٣٤	٧	» » »
زعزع	فزعزعتها	١	٢٥٢	١٠	» » »
زمر	المزمار	٥	٢٢٧	١٠	» » »
	من للمزامير	٥	٢٢٧	١١	» » »

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
صرم	بسقط صريمة	١	١٥٩	٧	دار الكتب المصرية
صفر	الصفراء	٤	١٧٦	١١	» » »

حرف الضاد

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
ضرب	المضارب	١	١٦٩	١١	» » »
ضرر	ضرار	٤	١٣٥	١	» » »
ضنك	الضنك	٨	٢٤٢	٥	» » »
ضيق	لا أبادر فى المضيق فوارسى	٨	٢٤٢	١٠	» » »

حرف الطاء

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
طرق	نطرق عليك	٤	٣١٧	٩	» » »
طوى	أبيت على الطوى وأظله	٨	٢٤٢	١٥	» » »
طوى	الطوى	٨	٢٤٣	٢	» » »
طيف	الطائف	٤	٣٠٤	٩	» » »

حرف العين

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
عبر	وعبرة	١٠	٣٠١	٩	» » »
عبل	العبلات	١	٢٠٩	٦	» » »
	عبلة	١	٢٠٩	٧	» » »

حرف الغين

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
منف	أبو عبد مناف	١	٦٢	١٣	دار الكتب المصرية
منن	ما ليس بمن	١	١٥٧	١١	» » »

حرف النون

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
نأى	النأى	٤	٣٦٦	٧	» » »
نخس	بنخّاس يبيع الرقيق	١٠	٢٥٠	١٤	» » »
نخل	النخل	١	١١	١١	» » »
ندب	الندوب	٤	٣٦٦	٨	» » »
نزح	نزحن	١	١١	١٥	» » »
	النازح	١	١١	١٥	» » »
نزف	شرب النزيف	١	١٩١	٥	» » »
نصب	ينصب	١	١٦٠	١٠	» » »
	المنصب	٨	٢٤٢	٦	» » »
نصل	المنصل	٨	٢٤٢	٧	» » »
نظم	النظم	١٠	٣٠١	١١	» » »
نفخ	حتى تنفخ فى الناى وأمرّ يدى عليه	١٠	١٣٩	٦	» » »
نهل	منهل	٨	٢٤٢	٤	» » »
نير	بنو النار	٤	١٧٦	١٣	» » »

حرف الهاء

المادة	الكلمة أو العبارة	جزء	صفحة	سطر	طبع
هون	الهون	١	١١	١٥	» » »

حرف الواو

فهرس

أسماء المراجع التى ذكرها أبو الفرج فى كتابه الأغانى واعتمد عليها
وهى مرتبة ترتيبا هجائيا

حرف الألف

الاسم	جزء	صفحة	سطر	طبع
الآداب الرفيعة — لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وهو كتاب فى النغم وعلل الأغانى (قال أبو الفرج : وهو كتاب مشهور جليل الفائدة دالّ	٩	٤١	١٧	دار الكتب المصرية
على فضل مؤلفه)		، ٤٤	١١	» » »
الاختيار الواثقى — ليحيى بن على	٣	١٨	١١	» » »
		، ٤٤	٩	» » »
		، ٥١	٢	» » »

حرف الباء

الاسم	جزء	صفحة	سطر	طبع
البيان والتبيين — للجاحظ	٣	١٤٥	٣	» » »

حرف الجيم

الاسم	جزء	صفحة	سطر	طبع
جامع إبراهيم	٢	١٩٩	١١	دار الكتب المصرية

حرف الدال

ديوان أغانى حكم الوادى	١٠	١١١	٤	» » »

حرف الراء

الرخصة – لإسحاق بن إبراهيم الموصلى	١	٥	١٤	» » »
رسالة فى علل النغم – لأبى الفرج الأصبهانى	٨	٣٧٤	١٢	» » »
الروضة – لأبى العباس المبرد	٨	٣٥٢	١٦	» » »

حرف الكاف

كتاب إبراهيم الموصلى	١	١٠٧	٩	» » »
		١٢٤،	١	» » »
		١٣٣،	٩	» » »
		١٧٧،	٢و٧	» » »
	٣	٢٦٣	١٠	» » »
كتاب أبى أيوب المدينى	٩	٢٢٢	٢	» » »
كتاب ابن أبى خيثمة	١١	٣٨	١٥	» » »
كتاب أبى العباس بن ثوابة	١١	٣٣٧	١٨	» » »

الاسم	جزء	صفحة	سطر	طبع
كتاب الحرني بن أبي العلاء	٢	١٦٤	٤	دار الكتب المصرية
		، ١٦٦	٦	» » »
كتاب حماد	١	٤٠	١و٧	» » »
		، ٤١	٧	» » »
		، ٤٤	١	» » »
كتاب الشهيني	٩	٢٨٨	١٨	» » »
كتاب شجا لابن الهربذ	٧	٩٤	٩	» » »
كتاب الشركة = كتاب الأغاني الكبير لإسحاق الموصلي				
كتاب العتابي	١	٣١٥	٩	» » »
كتاب عبد الله بن خلف	١١	٢٥٧	١	» » »
كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي	١١	٢٥٨	١١	» » »
كتاب علُّوَيه	١٠	١٧٦	٧	» » »
كتاب علي بن يحيى	١١	٣٢٠	١١	» » »
كتاب علية	١٠	١٧٩	٦	» » »
كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني	٣	٢٧٢	١١	» » »
كتاب عمرو بن بانة	٣	٣٢٢	١٧	» » »
كتاب الغناء ـ لإبراهيم بن المهدي	٨	٣٦٢	٦	» » »
كتاب في النغم ـ لأبي الفرج الأصبهاني	١٠	٩٧	٩	» » »
الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق	٤	٢١٠	٧	» » »
كتاب ابن الكرنبي	٩	٢٥٢	٨	» » »
كتاب المثالب ـ للهيثم بن عدي	١	١٢	٥	» » »

الاسم	جزء	صفحة	سطر	طبع
كتاب محمد بن الحسن الكاتب	٩	٢٣٨	١٠–١١	دار الكتب المصرية
	«	٢٥١	١٩	» » »
	«	٢٧٢	٧	» » »
	١٠	١٨٥	٢	» » »
كتاب محمد بن طاهر	١٠	١٧٥	٧	» » »
كتاب محمد بن الليث	٢	١٩٥	٨	» » »
كتاب محمد بن موسى بن حماد	١١	١٦٩	٨	» » »
كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات	١٠	١٦٢	٤	» » »
كتاب معبد	٩	١٣٢	١٧	» » »
كتاب ابن المعتز	٤	٤١	١٩	» » »
كتاب المغتالين(١) لمحمد بن حبيب	٢	١٤٠	١٠	» » »
	٦	٢٤٤	١٩	» » »
	١٠	١٩٧	١	» » »
كتاب ابن المكى	١٠	٣٢٣	٤	» » »
كتاب منسوب إلى الهيثم بن عدى	١	٢١	٦	» » »
كتاب النسب لأبى الفرج الأصبهانى	١	١٤	٥	» » »
	٤	٤٠٢	٣	» » »
كتاب ابن النّطاح	١٠	٢٣٦	٩	» » »
كتاب النغم—ليحيى بن على بن يحيى	٨	٣٧٤	٨	» » »
كتاب هارون بن الزيات	٩	٢٢٢	٥	» » »

(١) هو كتاب المغتالين من العرب فى الجاهلية والإسلام لمحمد بن حبيب ، وتوجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨ ش أدب .

الاسم	جزء	صفحة	سطر	طبع
كتاب هارون بن على بن يحيى	٣	١٩٢	١	دار الكتب المصرية
		، ١٩٤	١٠	» » »
		، ٢٠١	٤	» » »
	٤	١٧	١٣	» » »
		، ٣١	١١	» » »
		، ٥٢	١٨	» » »
كتاب هارون بن محمد الزيات	١٠	١٨٣	٥	» » »
كتاب الهشامى	٣	٤٣	١٠	» » »
		، ٣٢٣	١٣	» » »
كتاب يحيى بن حازم	٩	١٦٣	١	» » »
		، ١٧٣	٢	» » »
كتاب يحيى المكىّ وابنه أحمد فى الغناء القديم والحديث	٥	٢٧٠	٣	» » »
كتاب يونس	١	١٣٤	٦	» » »
		، ١٨٦	١٠	» » »
	٢	٢١٧	٧	» » »
		، ٣٩٥	٥	» » »

حرف الميم

الاسم	جزء	صفحة	سطر	طبع
مجرّد إسحاق	١١	١٢٤	١١	» » »
المجرد ــ لأبى الفرج الأصبهانى	٢	٢٣٤	١	» » »
مجموع إسحاق	١١	٢٨٤	٩	» » »
المحدث ــ لعلى بن يحيى المنجّم	١١	٦٠	٩	» » »

فهرس

يشتمل على أوّل من دوّن فى الغناء كتاباً

وأسماء المراجع التى كتبت فى الغناء والنغم وأخبار المغنّين

وهى مرتبة ترتيباً هجائيا

حرف الألف

أخبار الطنبوريين — تأليف أبى جعفر محمد بن على بن أمية (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٥)

أخبار طويس — تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

أخبار ظرفاء المدينة — تأليف أبى أيوب المدينى سليمان بن أيوب بن محمد (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٨)

أخبار ابن عائشة — تأليف أبى أيوب المدينى سليمان بن أيوب بن محمد (عن فهرست ابن النديم ص ١٣٨)

أخبار عزّة الميلاء — تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

أخبار الغريض — تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

أخبار محمد بن عائشة — تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

أغانى معبد — تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

أخبار معبد وابن سُريج وأغانيهما — تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

أخبار الندامى — تأليف حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٣)

الاختيار من الأغانى للواثق — تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ١٤١)

أدب السماع — تأليف أبى القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٩)

الأغانى — تأليف حسن بن موسى ، وهو كتاب مرتب على حروف المعجم ،

ألفه للمتوكل ، وذكر فى هذا الكتاب أشياء من الأغانى لم يذكرها إسحاق ولا عمرو بن بانة . وذكر فيه من أسماء المغنين والمغنيات فى الجاهلية والإسلام كل طريف وغريب (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٥)

الأغانى (مرتب على الحروف) – تأليف يحيى بن أبى منصور الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٩)

أغانى إسحاق التى غنى بها – تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

الأغانى الكبير – تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (اختلف فى نسبته إليه) عن فهرست ابن النديم ص ١٤٠ – ١٤١

الإنعام فى معرفة الأنغام – لشمس الدين الصيداوى الدمشقى (كتاب مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٢ فنون جميلة)

حرف الجيم

الجلساء والندماء – تأليف أبى عبد الله بن خلف بن المرزبان (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٩)

حرف الذال

ذمّ الملاهى – تأليف أبى بكر عبيد الله بن محمد عبيد بن أبى الدنيا (عن فهرست ابن النديم ص ١٨٥)

حرف الراء

الرخصة – تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

الرسالة إلى على بن هشام – تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية – لصفى الدين بن أبى المفاخر الأرموى البغدادى

المتوفى سنة ٦٩٣ هـ (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ فنون جميلة)

رسالة فى خبر تأليف الألحان – ليعقوب بن إسحاق الكندى المتوفى سنة ٢٤٨ هـ (طبع ليبسك سنة ١٩٣١ محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٤٧ فنون جميلة)

رسالة فى الفرق بين إبراهيم بن المهدى وإسحاق الموصلى فى الغناء – تأليف أبى الحسن على بن هارون بن على بن يحيى المنجم (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٤)

رسالة فى النغم – لأبى الفرج ، يردّ فيها على كتاب يحيى المكى وابنه أحمد فى الغناء القديم والحديث . أشار إليها فى كتابه الأغانى (ج ١٠ ص ٩٧ طبع دار الكتب المصرية)

الرقص والزفن – تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

حرف الشين

الشراب – تأليف أبى القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٩)

الشركة لإسحاق بن إبراهيم الموصلى = الرخصة لإسحاق بن إبراهيم الموصلى .

حرف الصاد

صناعة الغناء وأخبار المغنين وذكر الأصوات التى غنى فيها (مرتب على الحروف ولم يتمه) – تأليف قريص الجراحى المغنِّى (عن فهرست ابن النديم ص ١٥٦)

حرف الطاء

طبقات المغنين – تأليف أبي أيوب المديني سليمان بن أيوب بن محمد (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٨)

حرف العين

العود والملاهي – تأليف العلامة المفضل بن سلمة بن عاصم النحوي اللغوي الكوفي

(مأخوذ بالتصوير الشمسي عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة طوب قبو سراي بالآستانة المكتوبة بخط ياقوت المستعصي أحد محسّني الخط العربي ومحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣٣ فنون جميلة).

العود والملاهي – تأليف يحيى بن أبي منصور الموصلي (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٩)

حرف القاف

القيان – تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلي (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

قيان الحجاز – تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلي (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

قيان الحجاز – تأليف أبي أيوب المديني سليمان بن أيوب بن محمد (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٨)

قيان مكة – تأليف أبي أيوب المديني سليمان بن أيوب بن محمد (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٨)

حرف الكاف

كتاب ابن أبى عتيق — تأليف أبى أيوب المدينى سليمان بن أيوب بن محمد (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٨)

كتاب الأدوار فى علم الموسيقى — للعلامة عبد المؤمن بن أبى المفاخر الأرموى البغدادى المتوفى سنة ٦٩٣ هـ . (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨ فنون جميلة)

كتاب ابن سريج — تأليف أبى أيوب المدينى سليمان بن أيوب بن محمد (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٨)

كتاب الشراب — تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى . يروى فيه عن العباس بن معن الحصّاص وحماد بن مسرة (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١) .

كتاب الشراب — لابن خرداذبه (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٩)

كتاب الشراب — تأليف أبى زكريا الرازى (عن فهرست ابن النديم ص ١٧١)

كتاب الطنبوريين — تأليف أبى الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن خالد بن برمك جحظة المغنى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٥) .

كتاب الغريض — تأليف أبى أيوب المدينى سليمان بن أيوب بن محمد (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٨)

كتاب الندماء — تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

كتاب النديم — تأليف أبى الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن خالد بن برمك جحظة المغنى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٥)

كتاب يحيى المكى وابنه أحمد فى الغناء القديم والحديث — أشار إليه أبو الفرج فى كتابه الأغانى (ج ١٠ ص ٩٧ طبع دار الكتب المصرية)

كمال أدب الغناء – تأليف الحسن بن أحمد بن على الكاتب (محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٥ فنون جميلة)

حرف اللام

اللحظ والإشارات – تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)

اللهو والملاهى – تأليف أبى القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٩)

حرف الميم

المؤنس فى الموسيقى – لمنصور بن طلحة بن طاهر بن الحسين (عن فهرست ابن النديم ص ١١٧)

المتظرفات والمتظرفون – تأليف أبى الحسين عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٧)

مجرّد الأغانى – تأليف عمر بن محمد بن سليمان بن راشد مولى يوسف بن عمر الثقفى المعروف بعمرو بن بانة . وبانة أمه ابنة روح كاتب سلمة الوصيف وكان عمرو خصيصاً بالمتوكل أنيساً به وعاش إلى أيام المعتضد . وكان منزله ببغداد وتوفى سنة ٢٧٨هـ (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٥)

مجرّد يونس – تأليف أبى سليمان يونس بن سليمان المغنى أدرك الدولة العباسية (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٥)

مجردات المغنين – تأليف حسن بن موسى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٥)

مختار غناء إبراهيم الموصلى – تأليف حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٣)

مختار فى الأغانى — تأليف أبى عبد الله هارون بن على بن هارون (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٤)
المغنى المجيد — تأليف أبى جعفر محمد بن على بن أمية (رآه ابن النديم بخط عتيق . فهرست ابن النديم ص ١٤٥)
المنادمات — تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص١٤١)
منادمة الإخوان وتسامر الخلاّن — تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن النديم ص ١٤١)
المنادمون — تأليف أبى أيوب المدينى سليمان بن أيوب بن محمد (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٨)

حرف النون

الندماء والجلساء — تأليف حمدون بن إسماعيل بن داود الكاتب (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٤)
الندماء والجلساء — تأليف أبى القاسم عبد الله بن أحمد بن خرداذبه (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٩) .
النغم — تأليف أبى سليمان يونس بن سليمان المغنى . أدرك الدولة العباسية (فهرست ابن النديم ص ١٤٥) .
النغم والإيقاع — تأليف أبى أيوب المدينى سليمان بن أيوب بن محمد (عن فهرست ابن النديم ص ١٤٨)
النغم والإيقاع وعدد مهاله — تأليف إسحاق بن إبراهيم الموصلى (عن فهرست ابن الندم ص ١٤١)

فهرس

الخرائط والصور

صفحة

فهرس

أسماء المراجع التى اعتمدنا عليها فى تأليف هذا الكتاب

وهى مرتبة ترتيباً هجائيا

حرف الألف

أحسن التقاسيم للمقدسى (طبع أوربا)
أخبار أبى نواس لابن منظور (مخطوط بدار الكتب المصرية)
أدب النديم لكشاجم (طبع بولاق)
إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب انظر معجم الأدباء لياقوت
أسامى للمعلم ناجى (تركى)
أصل الشيعة وأصولها للعلامة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفى
الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى (طبع دار الكتب المصرية)
الألفاظ الفارسية المعرّبة لأدّى شير (طبع بيروت)
أمالى القالى (طبع دار الكتب المصرية)
إنباه الرواة للقفطى (بالتصوير الشمسى بالدار)
الإنعام فى معرفة الأنغام لشمس الدين الصيداوى الدمشقى (مخطوط بالدار)

حرف الباء

البداية والنهاية لابن كثير (بالتصوير الشمسى بالدار)
بغية الوعاة للسيوطى (طبع مصر)

حرف التاء

التاج فى أخلاق الملوك للجاحظ (طبع بولاق)
تاريخ الآداب العربية لجرجى زيدان (طبع مصر)
تاريخ الآداب العربية من نشأتها إلى أيامنا لأحد الآباء اليسوعيين (طبع الإسكندرية)
تاريخ أبى الفدا (طبع الآستانة)
تاريخ ابن الأثير انظر الكامل لابن الأثير
تاريخ الإسلام السياسى للدكتور حسن إبراهيم حسن بك (طبع مصر)
تاريخ ابن إياس (طبع بولاق)
تاريخ بغداد للخطيب (طبع مصر)
تاريخ التربية عند العرب لطوطح خليل (طبع القدس سنة ١٩٣٣)
تاريخ التربية لمصطفى أمين بك (طبع مصر)
تاريخ التمدن الإسلامى لجرجى زيدان (طبع مصر)
تاريخ الحكماء للقفطى (طبع أوربا)
تاريخ ابن خلكان انظر وفيات الأعيان
تاريخ الطبرى (طبع أوربا)
تاريخ ابن قاضى شهبة (بالتصوير الشمسى بالدار)
تاريخ مكة للأزرقى (طبع أوربا)
تاريخ ابن الوردى (طبع مصر)
تجريد الأغانى لابن واصل الحموى (بالتصوير الشمسى بالدار)
تذكرة الحفّاظ للذهبى (طبع حيدر آباد بالهند)
التشريع الإسلامى للمرحوم الأستاذ محمد الخضرى بك (طبع مصر)
التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول للأستاذ خطاب عطية على (طبع مصر)

التعليم فى مصر للمرحوم أمين سامى باشا (طبع بولاق)
تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل (طبع أوربا)

حرف الجيم

جلاء العينين للسيد نعمان ابن السيد محمود الآلوسى (طبع بولاق)
الجماهر فى معرفة الجواهر للبيرونى (طبع حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٥ هـ)
الجمهرة لابن حزم (مخطوط بالخزانة التيمورية)
جواهر البيرونى انظر (الجماهر فى معرفة الجواهر)

حرف الحاء

حب ابن أبى ربيعة وشعره للدكتور زكى مبارك (طبع مصر)
حديث الأربعاء للدكتور طه حسين باشا (طبع مصر)
حسن المحاضرة للسيوطى (طبع بولاق)
الحضارة الإسلامية للمرحوم أحمد زكى باشا (طبع مصر)
الحيوان للجاحظ انظر كتاب الحيوان للجاحظ

حرف الخاء

خزانة الأدب للبغدادى (طبع بولاق)
الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك (طبع بولاق)
خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر للمحبّى (طبع بولاق)

حرف الدال

الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر (طبع حيدر آباد)
الديارات للشابشتى انظر كتاب الديارات للشابشتى
ديوان الإسلام للعلامة ابن الغزى (مخطوط بالدار)

حرف الراء

رحلة ابن بطوطة (طبع باريس)

رحلة ابن جبير (طبع أوربا)

الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية للأرموى (مخطوطة بالدار)

روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات للعلامة محمد باقر الموسوى الخوانسارى (طبع فارس سنة ١٣٠٧)

حرف السين

السجل العثمانى (تركى)

سقط الزند (طبع بولاق)

حرف الشين

شذرات الذهب لابن العماد الكاتب (طبع مصر)

شرح القاموس للزبيدى (طبع مصر)

الشعر والشعراء لابن قتيبة (طبع أوربا)

الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية لطاشكبرى زاده بهامش وفيات الأعيان لابن خلكان

حرف الصاد

صبح الأعشى للقلقشندى (طبع دار الكتب المصرية)

صور جديدة من الأدب العربى للأستاذ كامل كيلانى (طبع مصر)

صور من التاريخ العربى لنقولا زيادة (طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٦م)

حرف الضاد

ضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين بك (طبع مصر)

الضوء اللامع للسخاوى (طبع مصر)

حرف الطاء

الطالع السعيد للأدفوى (طبع مصر)

طبقات السبكى انظر طبقات الشافعية الكبرى

طبقات الشافعية الكبرى للعلامة السبكى (طبع مصر)

حرف العين

العرب وأطوارهم لمحمد عبد الجواد الأصمعى (طبع مصر)
عقد الجمان للعلامة العينى (بالتصوير الشمسى بالدار)
العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم لعلى أفندى ابن لالى بالى
وهو ذيل للشقائق النعمانية (طبع بهامش وفيات الأعيان لابن خلكان)
عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى (مخطوط بالدار)

حرف الفاء

فاتحة العلوم للإمام الغزالى (طبع مصر سنة ١٣٢٢ ﻫ)
الفاطميون فى مصر للدكتور حسن إبراهيم حسن بك (طبع مصر)
فجر الإسلام للدكتور أحمد أمين بك (طبع مصر)
الفهرست لابن النديم (طبع أوربا)
الفوائد البهية فى تراجم الحنفية لأبى الحسنات محمد بن عبد الحىّ
اللكنوى (طبع مصر مع التعليقات بأسفل الصحائف سنة ١٣٢٤ ﻫ)
فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى (طبع مصر)

حرف القاف

قاموس الأعلام لشمس الدين سامى (تركى)
القاموس المحيط للفيروزابادى (طبع مصر)

حرف الكاف

الكامل لابن الأثير (طبع أوربا)
كتاب الأدوار فى علم الموسيقى لصفى الدين عبد المؤمن بن أبى المفاخر
الأرموى البغدادى (مخطوط بالدار)
كتاب الحيوان للجاحظ (طبع مصر)
كتاب صور الأقاليم السبعة لأبى زيد البلخى (مخطوط بالدار)

كتاب الديارات للشابشتى (بالتصوير الشمسى بالدار)
كشف الظنون لكاتب جلبى (طبع الآستانة)
كوكب الشرق (جريدة يومية)

حرف اللام

لسان العرب لابن منظور (طبع بولاق)

حرف الميم

مجلة الزاهراء (من بحث للأب أنستاس الكرملى) المجلد الثانى
مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق
مجلة المقتبس (المجلد الخاص)
مجلة الهلال (العدد الصادر فى أول أغسطس سنة ١٩٣٦)
المختار للمرحوم الأستاذ عبد العزيز البشرى (طبع بولاق)
مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى لابن منظور (بالتصوير الشمسى بالدار)
مروج الذهب للمسعودى (طبع بولاق)
مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى (طبع بولاق)
المسالك والممالك لابن حوقل (بالتصوير الشمسى بالدار)
مطبعة المعارف وأصدقاؤها من نشأتها إلى الآن (طبع مصر)
معاهد التنصيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسى (طبع بولاق)
معجم الأدباء لياقوت (طبع مصر)
معجم البلدان لياقوت (طبع أوربا)
معجم الخريطة الإسلامية للمرحوم أمين واصف بك (طبع مصر)
مفتاح السعادة ومصباح السيادة للعلامة طاشكبرى زاده (طبع حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٨هـ)

مقدمة ابن خلدون (طبع بلاق سنة ١٢٨٤ هـ)
المقطم (جريدة يومية)
المنتظم لابن الجوزى (بالتصوير الشمسى بالدار)
المنهل الصافى لابن تغرى بردى (مخطوط بالدار)
المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب لأحمد بك النائب الأنصارى الطرابلسى (طبع الجزائر سنة ١٣١٧ هـ)
موسوعات العلوم العربية للمرحوم أحمد زكى باشا (طبع بولاق)
الموسيقى الشرقية للأستاذ قسطندى رزق (طبع مصر)

حرف النون

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (طبع دار الكتب المصرية)
نزهة الألبا فى طبقات الأدبا لابن الأنبارى (طبع حجر بمصر)
نشوار المحاضرة للقاضى التنوخى (طبع أوربا)
نفع الطيب للمقّرى (طبع أوربا)
نكت الهميان فى نكت العميان للعلامة الصفدى (طبع مصر)
نهاية الأرب للنويرى (بالتصوير الشمسى بالدار)
نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتى (طبع فاس سنة ١٣١٧هـ)

حرف الواو

وفيات الأعيان لابن خلكان (طبع بولاق)

حرف الياء

يتيمة الدهر للعلامة الثعالبى (طبع بيروت)

فهرس

موضوعات الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

١٩٥١/٣١٢١